

فتح الصغرى
شرح نهج البلاغة

تأليف
العلامة المحقق الشيخ محمد باقر المجلسي
دام ظلته

الجزء الأول

طبع على نفقة صاحب محمد علي خواجه

عند مكتبته مكتبة الصدر

طهران شارع ناصر خسرو

١٣٩٠ هـ - رقم القيد ٥٧٦٩٦

Princeton University Library



32101 047142904

فتح الغنما

في

شرح نهج البلاغة

تأليف

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري

دامت له

الجزء الأول

طبع على نفقة حاج محمد علي خواجه

عبد بنيشة مكتبة الصدوق

طهران شارع ناصر خسرو

١٣٩٠ هـ - رقم التليفون ٥٧٦٩٦

مطبعة الحيدري طهران

(RBCAP)

2264

1067

955

2

V.1

الحمد لله الذي أيدني ، وسهّل لي ما كان في هواجس
ضميري ألا وهو نشر ما وصل إلينا من آثار العلماء والمحققين
من عباقرة الأمة ، والى الآن وفقت لنشر عدة كتب قيمة
ثمينة ، وله الحمد والشكر .

ولمن وازرونا من الفضلاء في هذه الفكرة المقدّسة شكر
متواصل غير مقطوع .

السيد كاظم . صدر السادات الدزفولي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة على محمد وآله الطاهرين ، و بعد فإن علماء الإسلام الخاص منهم و العام وإن صنفوا من الصدر الأول في كل فن إلا أنه لم يؤلف أحد مثل كتاب الشريف الرضى هذا . فإن أهمية كل كتاب بمقدار فائدته ، و قيمته بقدر عائدته ، و لم يبلغ بكتابه هذا بعد كتاب الله تعالى كتاب . فإنه تاليه في الفصاحة و البلاغة ، و في الاشتغال على كل نصح و حكمة ، و لقد أجاد من قال فيه :

كتاب كأن الله رصع لفظه
 بجوهر آيات الكتاب المنزّل
 حوى حكماً كالدر ينطق صادقاً
 فلا فرق إلا أنه غير منزل
 و يأتي [في ٢٣ الفصل الأول] خبر في أن دعبلاً لما أجاب عليه السلام سؤاله : « هل رأيت ربك » بخطبة . قال : تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب و خر مغشياً عليه .
 و يأتي في [١١ من فصل الجمل] أن قوله عليه السلام : « ان الحق لا يعرف بالرجال » و قوله عليه السلام : « انظر إلى ما قال ، و لا تنظر إلى من قال » بلا قيمة .
 و قال الجاحظ : أجمعوا على أنهم لم يجدوا كلمة أقل حرفاً ، و لا أكثر ريعاً ، و لا أعم نفعاً ، و لا أحت على تبين ، و لا أهجى لمن ترك التفهيم و قصر في الافهام من قول علي عليه السلام : « قيمة كل امرء ما يحسنه » .
 و قال الخليل : قول أمير المؤمنين عليه السلام : « قيمة كل امرء ما يحسنه » أحت كلمة على طلب علم .
 و قال الرضى في خصائصه : قوله عليه السلام : « كلمة حق يراد بها الباطل » في رد

٢-٦-٦٢ ١٩٣٢

قول الخوارج « لا حكم إلا لله » أبلغ عبارة عن أمر الخوارج لما جمعوا من حسن الاعتزاء والشعار ، وقبح الايطان والاضمار .

وقال أيضاً فيه في قوله عليه السلام « لم يذهب من مالك ما وعظك » : سبحان الله ما أقصر هذه الكلمة من كلمة ، و أطول شأوها في مضمار الحكمة .

وقال في هذا الكتاب في قوله عليه السلام في [١٥ - ١] « فلئن أمر الباطل لقد يما فعل » : فيه من المواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان ، وإن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به ، وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ، و لا يطلع فحجها إنسان ، ولا يعرف ما أقول إلا من ضرب في هذه الصناعة بحق ، وجرى فيها على عرق ، و ما يعقلها إلا العالمون .

وقال في قوله عليه السلام في [٢٠ - ١] « فإن الغاية أمامكم » - إلخ - : هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه ، و بعد كلام رسوله عليه السلام بكل كلام لمال به راجحاً ، وبرز عليه سابقاً . فأما قوله عليه السلام « تخففوا تلحقوا » فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً ، و ما أبعد غورها من كلمة ، و أنقع نطقها من حكمة .

وقال في [٢٧ - ١] : لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا و يضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام ، و كفى به قاطعاً لعلائق الآمال ، و قادحاً زناد الاتعاض ، و الازدجار . إلى آخر ما يأتي ثمة .

وقال في [٧٩ - ١] : إذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام « من أبصر بها بصرتة » وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا يبلغ غايته ، ولا يدرك غوره ، ولا سيما إذا قرن إليه قوله عليه السلام : « و من أبصر إليها أعمته » - إلخ - .

وقال في قوله عليه السلام : « لا تكن ممن يرجوا الآخرة بغير عمل » إلخ [١٥٠ - ٣] : لو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة و حكمة بالغة .

إلى غير ذلك من كلماتهم في كلامه عليه السلام مما لو استقصيت لصارت كتاباً . فله دره في جمعه هذا الكتاب . فكم اهتدى به من يوم تأليفه إلى يومنا هذا ، و كم يهتدى به إلى الأبد . مع أنه أتقن به لغة العرب ، و أمتن به قواعد الأدب - فشكر الله سعيه و

أعطاه خير جزاء .

لكنه - عفا الله عنه - لما كان مهالكا على نقل كل كلام فصيح منسوب إليه عليه السلام لم يتفطن أن الخصم قد يحتال و يزور على لسانه عليه السلام بتزويق كلامه كما ترى ذلك في ما نقله من [١٦٣ - ١] وقد شرحناه في [٢٤ من فصل عثمان] ، و كما ترى ذلك في ما نقله من [٢٢٣ - ١] وقد شرحناه في [٢٦] منه ، و كذلك في ما نقله من [٨٨ - ١] و قد تكلمنا عليه في [٨ من فصل بيعته عليه السلام] و كلما ترى ذلك في ما نقله من [١ - ٥] لما أشر عليه ألا يتبع طلحة والزبير ، وقد شرحناه في [٣ من فصل الجمل] كما أنه - عفا الله عنه - لما كان نظره في اختياره من كلامه عليه السلام على الكلمة الفصيحة قد يقتصر من نقل كلامه عليه السلام على مثل الاقتصار على قوله تعالى « ولا تقربوا الصلوة » بدون « و أنتم سكارى » كما تراه في ما نقل من [٤٦٧] وقد شرحناه في [٢٧ من فصل عثمان] .

كما أنه - عفا الله عنه - لكون مراجعته إلى كتب العامة ورواياتهم فقط غالباً قد ينقل ما تكذب به روايات الخاصة كما تراه في ما نقل من [١ - ٥٦] وقد شرحناه في [١٥ من فصل إخباره عليه السلام بالملاحم] .

كما أنه - عفا الله عنه - قد ينسب إليه عليه السلام ما لغيره كما تراه في ما نقل من [٣ - ٢٢٧] فاتفقت الروايات على أنه لا بنه الحسن عليه السلام كما أوضحناه في [١٥ من فصل الايمان] و كما تراه في ما نقل من [٣ - ٢٢٧] فاتفقت الروايات على أنه عليه السلام نقله عن النبي صلى الله عليه وآله ، وقد أوضحناه في [٥ من ذلك الفصل] .

كما أنه قد ينسب إليه عليه السلام ما روى عنه عليه السلام في المنام كما تراه في [٢٥ من فصل المختلف] .

كما أنه قد ينسب الشيء إلى غير محله . فقال في [٢ - ٦٢] : ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشر . مع أنه روى الثقفى في غاراته ، و ابن قتيبة في خلفائه ، و الكليني في رسائله ، و ابن جرير الطبري في مسترده : أنه كان خطبة له عليه السلام في التحريض على الجهاد لما فتحت مصر و قتل محمد بن أبي بكر .

كما أنه قد يحرف لعدم تدبره أو لسقم نسخة مستنده . فنقل في [٥٧ - ٢]
 « خرجت من حبي هذا » فإنه محرف « خرجت مخرجي هذا » كما شرحناه في [٧
 فصل الجمل] و نقل في [٣٧١ - ٣] « والشر جامع لمساوي العيوب » فإنه محرف
 « والبخل جامع لمساوي العيوب » كما نقله نفسه في [٣٧٨ - ٣] ونقل في [٦٢ - ١] « و
 لاوقف به عجز عما خلق » فإن الظاهر أنه محرف « ولا وقف به عجز عما لم يخلق »
 وقد شرحناه في [٥ - ١] ونقل في [٤٨ - ١] « فلا عين من لم يره تنكره ، ولا قلب من
 أثبتة يبصره » فإنه محرف « فلا قلب من لم يره ينكره ، ولا عين من أثبتة تبصره »
 وقد نقله بعضهم عن رواية .

و قد صنّف قبل المصنّف جمع في خطبه عليه السلام ذكرهم فهرست الشيخ ، و فهرست
 النجاشي ، و منهم إبراهيم بن إسحاق الفزاري ، و اسماعيل بن مهران ، و زيد بن وهب ،
 و عبد العظيم الحسني ، و مسعدة بن صدقة ، و المدائني ، و عبد العزيز الجلودي إلا أن
 كتبهم لم تصل إلينا .

و أظن أن أول من صنّف فيها الحارث الأعمور الذي كان من خواصه عليه السلام
 و قال عليه السلام له : « لا يموت عبد يحبني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يحب ، ولا يموت
 عبد يبغضني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يكره » كما رواه الكشي ، و قال عليه السلام له :
 تعرفني عند الممات ، و عند الصراط ، و عند الحوض ، و عند المقاسمة مقاسمة النار
 أقول : هذا ولي فاتركيه ، و هذا عدوي فخذيه كما رواه أماليا الشيخين ، و قد نظم
 الحميري في قوله : يا حار همدان - الأبيات المعروفة - مضمون الخبرين .

فروي الكليني والصدوق بأسنادهما عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث أن أمير-
 المؤمنين عليه السلام خطب يوماً بعد العصر خطبة عجب الناس من حسن صقته ، و ما ذكره
 من تعظيم الله تعالى . قال أبو إسحاق : فقلت لحارث : أو ما حفظتها ؟ قال : كتبتها قال
 السبيعي : فأملأها علينا الحارث من كتابه - إلخ - ثم زيد بن وهب الذي كان من أصحابه
عليه السلام أيضاً .

وقد شرح الكتاب جمع كثير من أراد الوقوف عليها راجع الذريعة ، ولكن أبسطها

وأمتنها شرح ابن أبي الحديد . ثم شرح أبي ميثم . ثم شرح الخوئي ، و لكن لم يكن أحد منها جامعاً مع أن الأخير غير تام فإنه إلى [٢٢٨ - ١] و أما شرح الرواندى المسمى منهاج البراعة كما يفهم من طرائف ابن طاووس فلم يوجد منه إلا نسخ في بعض المكتبات ، و منها نسخة في المكتبة الرضوية كشرح أبي الحسن الكيديرى الذى ينقل عنه كثيراً ابن ميثم ، و منها في الشقشقية في كتاب السوادى فلم يوجد إلا في بعض المكتبات ، و منها نسخة في المكتبة الأميريّة ، و هو جمع بين شرح الراوندى و شرح البيهقى كما نقل .

و شرح ابن أبي الحديد و إن ادعى أنه تاريخى أدبى إلا أن فيه معائب ، ففي بعض الموارد يفرط في نقل التاريخ حتى يمكن أن يجعل ما نقل تاريخاً مستقلاً و كان عليه أن يقتصر على المقدار المناسب للعنوان ، و في بعض الموارد لا ينقل شيئاً أصلاً . كما أنه في الأدب كذلك قديفرطوقديفرط بل ينقل كثيراً ما لا يربط له أصلاً كما ترى عند شرحه لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في الإخبار عن الخوارج « كلاً أنهم نطف في أصلاب الرجال و قرارات النساء » و قد يغفل عن شيء في محله و يذكره في غيره كما تراه في أول فصل الجمل في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « رب عالم قتله جهله ، و معه علمه لا ينفعه » .

و له أوهام كثيرة فنسب العنوان [١-٣٨] إلى كونه في غارة النعمان مع أنه كان في قتل محمد بن أبي بكر ، و نسب العنوان [١-٢٨] إلى كونه في غارة الضحاك مع أنه كان بعد النهر في الشخوص إلى معاوية ، و نسب العنوان [٢-٣٦] إلى كونه في غارة بسر مع أنه كان في غارة الضحاك كما أوضحنا ذلك في فصل الغارات في العناوين [٥ و ٦ و ١٢] و نسب قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في العنوان الثانى من فصل غريب النهج : « هذا الخطيب الشحشح » إلى أنه قاله في صعصة مع أنه قاله في رجل من أهل الجمل من أصحاب عايشة كما بيناه في فصل المختلقات في العنوان [٦٤] منه ، و له تفسيرات باطلة كما ستقف عليها في المطاوى كراراً .

و هو و إن نقل في شرحه أشياء حسنة ، و ذكر فيه أموراً مهمّة إلا أنه لم يراع المناسبة في الغالب .

وأما ابن ميثم فمذاقة مذاق الفلاسفة يرتكب كثيراً وأويلات غير صحيحة ، ويعلم بلعل علية كما في شرحه لقوله عليه السلام : « و لعلّي وزيراً لكم خيراً لكم منّي أميراً » و يخبط كثيراً في فهم المراد كما في شرحه لقوله عليه السلام في [١٠٢-١] « وأيم الله لو فرّ قوكم تحت كلّ كوكب لجمعكم الله لشرّ يوم لهم » كما تراه في العنوان [٢٨ من فصل الإخبار بالملاحم] مع قلّة اطلاعه من التاريخ فيخبط فيه كما ترى ذلك عند شرحه لقوله عليه السلام مشيراً إلى الكوفة في [٤٦-١] « ما أراد بك جبار سوءاً » وقد ذكرناه في العنوان [١٤ من ذاك الفصل] وعند شرحه لقوله عليه السلام في [٢١٤-١] « أدركت و ترى من بني عبد مناف و أفلنتني أعيار بني جمح » و قد ذكرناه في العنوان [١١ من فصل الجمل] و عند شرحه قوله عليه السلام في [١٨٧-١] « و إن فيكم من يطرح في القلب » إلخ ، و قد ذكرناه في العنوان [٤٢ من فصل النبوة الخاصة] .

و أغرب في شرح قوله عليه السلام في [٢٥-٢] « منّا النبيّ و منكم المكذّب » و قد ذكرناه في العنوان [١١ من فصل الإمامة العامة] و في شرح قوله عليه السلام في العنوان [٥٨-٢] « و من تمّ على ذلك » و قد ذكرناه في العنوان [٢٥ من فصل عثمان] و في شرح قوله عليه السلام في [٦٢-٢] « الذي قد شرب فيكم الحرام و جلد حدّاً في الإسلام » و قد ذكرناه في [٢٢ من ذاك الفصل] .

و من العجب أنّه مع عدّة نفسه من الفلاسفة يأتي باللجاج ، ففي كثير من تلك الموارد رأى أن ابن أبي الحديد قال : إن الراوندي خبط فيها ، و أنّه استهزء به بعدم اطلاعه من التاريخ ، و مع ذلك أصرّ على متابعة الراوندي . فلو كان الراوندي وقف على ما خطى فيه لرجع . كما أنّه تبع الكيدري في أوهامه .

و شرح الخوئي ليس فيه سوى الإكثار من الأخبار الضعيفة مع اقتضاره على ما ورد من طريقنا الذي لا يكون حجّة على غيرنا مع قلّة اطلاعه من التاريخ . فتبع ابن ميثم في كثير من خطباته المتقدمة .

فرايت أن أكتب بعون الله تعالى شرحاً جامعاً فيه من التاريخ والأدب ، والأخبار القويّة . والآثار التي تكون حجّة بقدر الحاجة ، و في محلّ يكون فيه مناسبة مع

ذكر مدارك عناوين الكتاب بقدر الوسع .

وأما الشراح المتقدمون فلم يقفوا في كثير منها على مداركها أصلاً ، وفي يسير منها لم يقفوا غالباً إلا على بعضها .

واقترعت في شرح الفقرات من الإعراب واللغة والتفسير على المشكلات التي تحتاج إلى ذلك لاني كل فقرة كما فعله بعضهم لكونه لغوياً . كما أنه ذكرت اللغة عند كل فقرة وكلمة ، ولم أجمعها بعد العنوان كما فعل الشراح لئلا يكون الفهم في محل الحاجة صعباً .

وذكر البحراني في أول كتابه مقداراً من مباحث علم البيان ، وتبعه الخوئي ، وهو لغو فتجنبته لأنه صنف في ذلك الفن كتب . فكان عليهما حيث ذكرا مباحث البيان أن يذكر مباحث الصرف والنحو واللغة .

وليس دأبي دأب أكثر الشراح يذكر اللاحق ما قاله السابق في صورة الإنشاء منه فإنه نوع سرقة . فما كان من غيري أنسبه إليه ، وما فيه بلانسبة فهو مني .

ورمزنا لابن أبي الحديد (حد) ولابن ميثم (ثم) وللخوئي (خو) اختصاراً للكلام وحيث إن ترتيب المصنف للكتاب بالخطب والكتب والكلمات القصار ترتيب لفظي أحببت ترتيبه بالمعنى . فجمعت ما يكون راجعاً إلى التوحيد مثلاً في موضع ، وما يكون راجعاً إلى النبوة في موضع ، وإلى الإمامة في موضع ، وهكذا كل موضوع . وهاك تفصيل فصولها :

الأول : في التوحيد ، وفيه (٥٣) عنواناً .

الثاني : في خلق السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والعرش والكرسي

وفي (٦) عناوين .

الثالث : في خلق الملائكة ، وفيه (٣) عناوين .

الرابع : في خلق آدم عليه السلام ، وفيه (٣) عناوين .

الخامس : في النبوة العامة ، وفيه (٩) عناوين .

السادس : في النبوة الخاصة ، وفيه (٤٧) عنواناً .

- السابع : في الإمامة العامة ، وفيه (٣٤) عنوانا .
- الثامن : في الإمامة الخاصة ، وفيه (٣٣) عنوانا ، وفي أواخرها كلامه عليه السلام في الشفعية ، وفي دفن سيده النساء ، وفي فدك .
- التاسع : في إخباره عليه السلام بالملاحم ، وما يقع في المستقبل ، وفيه (٢٧) عنوانا .
- العاشر : في علمه عليه السلام ومكارم أخلاقه ، وفيه (٤) عناوين .
- الحادي عشر : في تفسيراته عليه السلام ، وفيه (٧) عناوين .
- الثاني عشر : في قضاياها عليه السلام ، وفيه عنوانان .
- الثالث عشر : في أجوبته التمثيلية ، وأدب السؤال ، وفيه (١٠) عناوين .
- الرابع عشر : في زهده و عدله و تواضعه ، وفيه (١٥) عنوانا .
- الخامس عشر : في التزامه عليه السلام بالحق ، وفيه (٨) عناوين .
- السادس عشر : في أدعيته عليه السلام ، وفيه (٨) عناوين .
- السابع عشر : في وصفه عليه السلام لعجائب خلقه تعالى ، وفيه (٣) عناوين .
- الثامن عشر : في بيانه عليه السلام للعلوم المذمومة ، وغيرها ، وفيه (٢٥) عنوانا .
- التاسع عشر : في إرشاد الثاني ، وفيه عنوانان .
- العشرون : في حبه وبغضه ، وفيه عنوانان .
- الواحد والعشرون : في شجاعته عليه السلام ، وفيه (٤) عناوين .
- الثاني والعشرون : في أوليائه وأعدائه ، وفيه (١٢) عنوانا .
- الثالث والعشرون : في عتاباته لعماله ، وفيه (١١) عنوانا .
- الرابع والعشرون : في حلقه و تقيته ، وفيه عنوانان .
- الخامس والعشرون : في شكايته من أهل عصره ، وفيه (٤) عناوين .
- السادس والعشرون : في ما يبينه من نقص الناس ، وعجائب قلوبهم وصفات أروالهم ، وفيه (٩) عناوين ، ومنها قوله عليه السلام لمن سأله أن يعظه .
- السابع والعشرون : في ما قاله عليه السلام في القضاء والقدر ، وفيه عنوانان .
- الثامن والعشرون : في كلامه الجامع لأمر الدين والدنيا ، وفيه (٨) عناوين ،

و منها وصيته عليه السلام لابنه ، و عهده للأشتر لما ولّاه مصر .

التاسع والعشرون : كلامه عليه السلام في ما يتعلق بعثمان وعمر ، و فيه (٢٧) عنوانا .

الثلاثون : كلامه عليه السلام في بيعته عليه السلام ، و فيه (١٥) عنوانا .

الواحد والثلاثون : كلامه عليه السلام في الجمل ، و فيه (١٥) عنوانا .

الثاني والثلاثون : كلامه عليه السلام في صفين ، و فيه (١٢) عنوانا .

الثالث والثلاثون : كلامه عليه السلام في النهروان ، و فيه (١٠) عناوين .

الرابع والثلاثون : كلامه عليه السلام في غارات معاوية ، و فيه (١٢) عنوانا .

الخامس والثلاثون : كلامه عليه السلام في وصاياه ومقتله ، و فيه (٨) عناوين .

السادس والثلاثون : كلامه عليه السلام في الموت ، و فيه (٣٢) عنوانا ، و في آخرها

« سبحانك خالقاً و معبوداً » ،

السابع والثلاثون : كلامه عليه السلام في ذمّ الدنيا ، و فيه (٤٢) عنوانا .

الثامن والثلاثون : كلامه عليه السلام في القيامة و الجنة و النار ، و فيه (٢١)

عنوانا .

التاسع والثلاثون : كلامه عليه السلام في ما يجب على العبد لربه ، و فيه (١٧)

عنوانا .

الأربعون : في الايمان و التقوى و الكفر و النفاق ، و فيه (٢٩) عنوانا .

الواحد والأربعون : في القرآن ، و فيه (١٣) عنوانا .

الثاني والأربعون : في العبادات و المعاملات ، و الخير و الشر ، و فيه (٣١)

عنوانا .

الثالث والأربعون : كلامه عليه السلام في مكام الأخلاق ، و فيه (٢٧) عنواناً .

الرابع والأربعون : كلامه عليه السلام في ذمائم الصفات مع المحامد ، و فيه (٣٣)

عنواناً .

الخامس والأربعون : كلامه عليه السلام في آداب المعاشرة ، و فيه (١٠) عناوين .

السادس والأربعون : كلامه عليه السلام في الأصدقاء ، و فيه (١٤) عنواناً .

- السابع والأربعون : في التغايز والتهاني ، وفيه (٦) عناوين .
 الثامن والأربعون : في آداب الحرب ، وفيه (١٥) عنواناً .
 التاسع والأربعون : في ذم الشام ومدح الكوفة ، وفيه عنوانان .
 الخمسون : في الأنصار وطوائف قريش و تميم والشعراء ، وفيه (٤) عناوين .
 الواحد والخمسون : في الاستسقاء والأضحية ، وفيه (٤) عناوين .
 الثاني والخمسون : في الإقبال والإدبار ، وفيه (٥) عناوين .
 الثالث والخمسون : في الفتن والشبه البدع ، وفيه (٧) عناوين .
 الرابع والخمسون : في العقل ، وفيه (٧) عناوين .
 الخامس والخمسون : في القلوب ، وفيه (٥) عناوين .
 السادس والخمسون : في الحقائق ، وفيه (١٤) عنواناً .
 السابع والخمسون : في الفقر ، وفيه (٤) عناوين .
 الثامن والخمسون : في النساء ، وفيه (٧) عناوين .
 التاسع والخمسون : في إبليس ، وفيه (٣) عناوين .
 الستون : في موضوعات مختلفة ، وفيه (١٠٤) عنوان .

ثم إن النسخ المطبوعة من النهج أحسنها نشر مطبعة الاستقامة المشتملة على الأرقام في أبوابه الثلاثة ، و مع ذلك فهي مشحونة من التصحيف في العناوين والمتون والمواضع كما يظهر من تطبيقها على نقل (حد، وثم) و على النسخ الخطية المصححة و منها عندي نسخة مورخة بسنة [١٠٧٥] و إن كان ناشرها قال : تمتاز هذه من المطبوعات السابقة بتمام العناية بضبطها و تصحيحها . فقد سقط منها قول المصنف بعد العنوان [١٨ - ١] : يريد عليه السلام أنه أسر في الكفر مرة وفي الإسلام مرة ، وأما قوله عليه السلام : « دل على قومه السيف فأراد به حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غرب فيه قومه ، و مكر بهم حتى أوقع بهم خالد ، و كان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار ، و هو اسم للغادر عندهم .

و بعد [٤٥ - ١] و ابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد قفاه

عَلَيْهِ السَّلَامُ بأبلغ كلام و تسممه بأحسن تمام من قوله : « ولا يجمعهما غيرك » إلى آخر الفصل ، و بعد قوله : و من كلام له عَلَيْهِ السَّلَامُ في [١٣١ - ١] وقد وقعت مشاجرة بينه و بين عثمان . فقال المغيرة بن الأحنس : أنا أكفيك . فقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ للمغيرة .

وسقط منها قوله في [٨٧ - ١] روى مسعدة بن صدقة . إلخ ، و خلطت الحواشي بالمتن . ففيها في آخر [١٢ - ١] و في رواية أخرى « بلادكم أتن بلاد الله تربة أقربها من الماء ، و أبعد ها من السماء ، و بها تسعة أعشار الشر المحبب فيها بذنبه و الخارج بعفو الله كأنني أنظر إلى قريبتكم هذه قد طبقتها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤ جؤ طير في لجة بحر .

فليس في (حد ، و ثم ، و الخطيئة) أثر منه وإنما أخذه بعض المحشئين من نقل (ثم) رواية طويلة أخذ المصنف منها كلامه فيها ذاك الكلام .

و فيها في عنوان آخر الكتاب : قال الرضي : يقال : حشمه و أحشمه إذا أغضبه ، و قيل : أحجله ، و احتشمه طلب ذلك له و هو مظنة مفارقتة .

و بعد عنوان قبل الآخر : قال الرضي : لأن التكليف مستلزم للمشقة ، و هو شر لازم عن الأخ المتكلف له فهو شر الإخوان .

و ليس واحد منهما كلام الرضي بل من حواش مختلفة لخلو (حد ، و ثم ، و الخطيئة) عن الكلامين ، لأن الرضي - رضوان الله عليه - أجل من أن يتكلم بمثل ذاك الكلام الساقط المذكور فيهما ، و لأنه لا يفسر إلا المشكل لا مثله .

و أيضاً زادت في ما نقل كلاماً للمصنف من الأوّل إلى الآخر جملة « قال الرضي » مع أنه ليس كلام المصنف حتى يجعل جزء النهج ، و إنما هو إنشاء الشرايح (حد ، و ثم) و غيرها ، فالخطيئة خالية منها ، و (ثم) غالباً يقول : قال السيد ، و (حد) يعبر مختلفاً .

و خلطت في عهده عَلَيْهِ السَّلَامُ للأشتر لما و لاه على مصر في [٥٣ - ٢] حواشي مأخوذة من رواية تحف العقول للعهد ، بالمتن منها « وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام و الاستعانة بالله ، و توطين نفسه على لزوم الحق و الصبر عليه في

ما خفّ عليه أو ثقل « خلطه بين » و لكلّ « على الوالى حقّ بقدر ما يصلحه » و « فوّل من جنودك أنصحهم في نفسك » .

و منها « و إنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ، و ظهور مودة الرعيّة ، و أنّه لا تظهر مودتهم إلاّ بسلامة صدورهم ، خلطه بين « فانّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك » و « ولا تصحّ نصيحتهم إلاّ بحيطه على ولاة أمورهم » .
و منها « رياضة منك لنفسك و رفقاء برعيّتك » خلطه بين « فانّ في ذلك » و « أعداراً تبلغ به حاجتك » .

فانّ النهج كان خالياً من الفقرات الثلاث بدليل خلوّ (حد ، و ثم ، و الخطيّة) عنها ، و إن فرض كونها من كلامه عليه السلام و جزء العهد .

و قدّمت و أخّرت و حرّفت العناوين عن مواضعها ففي (حد ، و ثم) عنوان « و من كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن العباس ، و قد جاءه برسالة من عثمان و هو محصور » إلخ . قبل عنوان « و من كلام له عليه السلام اقتصّ فيه ما كان منه عليه السلام بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله » إلخ ، و في المصرية العنوان الأوّل تحت الرقم [٢٣٥] و الثاني تحت الرقم [٢٣١] .

و في (حد ، و ثم) عنوان « أن هذه القلوب تملّ » بعد عنوان « أو ضع العلم ما وقف على اللسان » و في المصرية بالعكس الأوّل [٩١ - ٣] و الثاني [٩٢ - ٣] .

كما أنّها قد تجعل جزء عنوان عنواناً مستقلاًّ ففي (حد ، و ثم ، و الخطيّة) [٩٥ - ٣] من رقم المصرية جزء [٣ - ٤٩] منه ، و في (حد ، و ثم) [١٢٣ - ٣] من رقم المصرية جزء [٣ - ١٢٢] منه ، و في (حد ، و ثم ، و الخطيّة) « طويبي لمن ذكر المعاد » [٤٤ - ٣] من المصرية جزء « يرحم الله خبّاباً » [٤٣] منها ، و لم تكنف المصرية بالخلط بل زادت فقرتين من الثاني في الأوّل أيضاً .

كما أنّها قد تفعل بالعكس فتجعل المستقلّ جزء ففي المصرية « إنّ الدنيا والآخرة عدوّان متفاوتان » جزء [١٠٣ - ٣] « و رثي عليه عليه السلام إزار خلق مرقوع » و في (حد ، و ثم ، و الخطيّة) مستقلّ ليس جزؤه .

كما أنها نقلت أشياء تفرّد بنقلها من النهج (حد) ونبهت على ذلك بجعلها تحت قوسين لكنّها و همت في محلّ نقلها منها « الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي الناس » ففي (حد) هو بعد [٣٣٣ - ٣] والمصريّة جعلته بعد [٣٤١ - ٣] .
و منها « المسئول حرّ حتى يعد » فإنّه في (حد) قبل [٣٣٤ - ٣] والمصريّة جعلته [٣٣٦ - ٣] .

ومنها قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « نعم الطيب المسك » وقوله « ضع فخرك » جعلتهما المصريّة [٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣] مع أنّهما في (حد) قبل [٣٩٣] .
و ما جعلته المصريّة [٣٨٩] هوفي (حد) قبل [٣٨٦] و ما جعلته [٣٩٩] و [٤٠٠] هما في (حد) بعد [٣٩٦] إلى غير ذلك من تحريفاتها .

ولو أردنا استقصاء ما فيها من التصحيف والتحريف ، والتغيير والتبديل ، والزيادة والنقصان لطال الكلام حيث إنّه قلّ عنوان منها من أوّلها إلى آخرها لم يكن بمحرّف و منها كلام المصنّف في آخر الكتاب فلم يكن بعد [٤٨٠] كما في المصريّة بل بعد [٤٦٢] كما ستقف عليه في ذكر اختلاف نسخ النهج .

ثمّ إنّ نسخ النهج كانت مختلفة من الصدر الأوّل قال (ثم) بعد خطبة همام المذكورة تحت الرقم [١٨٨] من المصريّة : من ههنا اختلفت نسخ النهج فكثير منها تكون هذه الخطبة فيها أوّل المجلّد الثاني بعد الخطبة المسماة بالقاصعة ، ويكون عقيب كلامه للبرج قوله « الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد » و كثير من النسخ تكون هذه الخطبة فيها متصلة بكلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ للبرج وتأخّر تلك الخطبة فتكون بعد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ومن كلام له عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يلي غسل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و يتصل ذلك إلى تمام الخطبة المسماة بالقاصعة . ثمّ يليه قوله « باب المختار من كتبه » و عليه جماعة من الشارحين كالإمام قطب الدين أبي الحسن الكيبرى ، والفاضل عبد الحميد بن أبي الحديد ، و وافقتهم في هذا الترتيب لغلبة الظنّ باعتمادهم على النسخ الصحيحة .

قلت : والمفهوم منه أنّ نسخته لم تكن كنسخة (حد) و نسخة الكيبرى فتبعهما لما قاله من غلبة ظنّه باعتمادهما على النسخ الصحيحة لكن ذلك منه عجيب فصرّح في

مواضع من كتابه بأن نسخته من النهج بخط مصنفه ، ومنها في القاصعة . فقال في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « ولا لزمتم الأسماء معانيها » : الاعراب في نسخة الرضي كذا .
وقال أيضا في قوله : « لا يدري أمن سني الدنيا » : من نسخة الرضي يدري
بالبناء للفاعل .

ومنها في [١٨٥ - ١] في فقرة « و كان ليلهم في دنيا هم نهاراً » في نسخة الرضي
بخطه « كأن ليلهم نهار » والترجيح إنما يعقل بين نسخ غير المصنف ، وأما المصنف
فلا يعقل الترجيح بينه وبين غيره .

وفي شرح الراوندي خطبة همام قبل « الحمد لله المعروف من غير رؤية الخالق
من غير منسوبة » [١٧٨ - ١] في نسختنا خطبة همام بعد القاصعة كما قاله (ثم) أولاً :
وكيف كان فوجه الاختلاف ظاهراً أن المصنف كتب النهج في نسخ متعددة ،
وزاد ونقص ، وقدم وأخر في النسخ الأخيرة حسب شأن المصنفين في ما لو كتبوا
نسخاً من كتاب . فلو فرض أن مصنفاً كتب كتابه مائة مرة لغير في كل من المائة بحسب
ما يراه أحسن ، ويشهد لما قلنا أن (حد) قال في عنوان « وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ في نعي الأشر »
[٤٤٣ - ٣] : يقال إن الرضي ختم النهج به ، وكتبت به نسخ . ثم زاد ما بعده
إلى وفاته .

وقال في عنوان « رب مفتون بحسن القول فيه » [٤٤٢ - ٣] : قطع المصنف
الكتاب عليه قائلاً : « وهذا حين انتهاء الغاية بنا . إلى : و نعم الوكيل نعم المولى و
نعم النصير .

وقال (ثم) في العنوان الثاني : قال السيد : وهذا حين انتهاء الغاية بنا . إلى قطع
المختار من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - حامدين لله سبحانه
على ما من به من توفيقاته بضم ما انتشر من أطرافه ، ومقررين العزم كما
شرطناه أولاً على تفضيل أوراق بياض في آخر كل باب من الأبواب ليكون لا تقتناص
الشارد ، واستلحاق الوارد ، وما عساه أن يظهر لنا بعد الغموض ، ويقع إلينا بعد
الشدوذ ، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا ، وهو حسبنا و نعم الوكيل .

و أقول : إنّه - رضى الله عنه - بلغ في اختيار كلامه ﷺ إلى هذه الغاية ، و قطعه عليها . ثم كتبت على عهده زيادات من محاسن الكلمات إما باختياره هو أو بعض من كان بحضرته من أهل العلم ، و تلك الزيادة تارة توجد خارجة عن المتن ، و تارة موضوعة فيه ملحقة بمنقطع اختياره ، و روى أنّها قرئت عليه ، و أمر بالحاقها بالمتن ، و أوّلها : « وقال ﷺ : إن الدنيا خلقت لغيرها » .

وقال الراوندي بعد كلامه ﷺ في الاستغفار [١٧٤ - ٣] : قال السيد : و هذا حين انتهاء الغاية بنا . إلى أن قال : و ذلك من رجب سنة أربعمأة ، و الحمد لله و صلواته على رسوله محمد وآله و سلامه . ثم قال الراوندي : زيادة من نسخة كتبت على عهد المصنّف - رحمه الله - قال ﷺ « الدنيا خلقت لغيرها و لم تخلق لنفسها » ثم ذكر العناوين . إلى « إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه » .

و قال أيضاً في [٢٣٥ - ١] في كلامه ﷺ لابن عباس : زيادة في نسخة كتبت على عهد المصنّف .

و قال في [٢٣٤ - ١] و كان في نسخة بغدادية زيادة وهي « و من خطبة له ﷺ يذكر فيها آل محمد ﷺ . إلى و رعائه قليل » ثم قال : و قد مضى مثل ذلك في ما تقدم و زاد الراوندي في بيان المصنّف في الشقشقية كما يأتي فيها .

و في (ثم) في آخر الباب الأوّل : و هذا آخر الخطب والأوامر ، و يتلوه المختار من الكتب و الرسائل - إن شاء الله تعالى بعونه و عصمته و توفيقه و هدايته - .

و في (الخطبة) « و الحمد لله كثيراً » و ليس في (حد) شيء أصلاً كما أن في المصرية « و صلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، و على آلِهِ مصاييح الدجى و العروة الوثقى و سلم تسليماً كثيراً » كما أن بين (حد ، و ثم) اختلافات فمما تفرّد به (حد) نقله بعد عنوان [٥١ - ١] عن الرضى : قد تقدّم مختارها برواية أخرى ، و نذكرها ههنا لتغاير الروايتين .

و مما تفرّد به أيضاً نقل آخر الخطب [٢٣٦] « و الله مستأديكم شكره » - إلخ - بعد

[٢١٥] « قد أحيى عقله » .

و تفرّد في جعل « و نعم القرين الرضا » أوّل ٤ - ٣ آخر ٣ منه ، و في جعل « و من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه » آخر [٣ - ٥] أوّل [٦] منه ، و في جعل [٣ - ١٧] بعد [١١] منه ، و في جعل [٣ - ٩٢] قبل [٩١] منه ، و في جعل جزء [١٢٧] « و لا حاجة لله في من ليس في نفسه و ماله نصيب » مستقلاً ، و في جعل [٣ - ١٥٤] بعد [١٥١] منه ، و في جعل [٣ - ١٥٥] و [٣ - ١٥٦] بعد [١٨٨] منه ، و في جعل [٣ - ١٥٧] بعد [١٨٤] منه ، و في جعل كل من « و من لم يعط قاعداً لم يعط قائماً » و « و الدهر يومان » و هما جزء [٣ - ٣٩٦] « المنية و لا الدنية » مستقلاً .

و تفرّد أيضاً بنقل عناوين في أواخر الباب الثالث مرّ بعضهما ، و يأتي باقيها في آخر الكتاب ، و يأتي في [١٢] من الفصل [٤٠] تصريح (ثم) بتفرّد (حد) بنقل فقرة « و من الإيمان ما يكون عوارى في القلوب » .

و ممّا تفرّد به (ثم) عدم نقل كلام المصنّف في آخر الشقشيّة ، و عدم نقل ما في العنوان الرابع من « لما » إلى « بالخلافة » و عدم نقل كلام المصنّف في [١ - ٣٨] و في [١ - ٣١] و في [١ - ٦٧] و في [١ - ١٦٠] و في [٣ - ٨١] .

و تفرّد في [١ - ٨٧] في زيادة في العنوان كما يأتي في [١ - ٨] و تفرّد في جعل (ومنها) الثانية في [١ - ٢٥] مستقلاً . فقال بدل « ومنها » : و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها عمرو بن العاص .

و تفرّد بعدم ذكر [٢ - ٤٠] « أمّا بعد فقد بلغنى عنك أمر » - إلخ - رأساً . و جعل (ثم ، و الخطيّة) من [٢] إلى [٦] من [٣] تحت عنوان واحد ، و جعل [٤٤] من [٣] جزء [٤٣] منه .

و جعل [٣ - ٣٤٤] بعد [٤٤١] منه ، و جعل [١٤٢] و [١٤٣] من [٣] جزء [١٤١] منه بزيادة حرف عطف في أوّلها . إلى غير ذلك ممّا تفرّد به كل من (حد ، و ثم) لو أريد استقصائه لطال الكلام .

ثم لو اتّفقا في شيء على خلاف نسخنا يكون ما في نسخنا تصحيحاً قطعاً لصحة نسخهما دون نسخنا ، و أمّا لو تفرّد كل واحد منهما فيشكل الترجيح ، و لا يبعد

ترجيح نقل (ثم) لما عرفت من كون نسخته بخط المصنف ، وإن كان هو رجع عند خطبة همام ترتيب نسخة (حد) ولأن كثيراً مما تفرّد بزيادته يبعد اختيار الرضى له لعدم كونه بتلك البلاغة .

والاشكال إنما هو في ما لو وافقت نسخنا أحدهما ، وأما لو خالفتهما كما في [٢] إلى [٦] من [٣] على ما عرفت فلا اعتبار بها لكونها على خلاف ما من قبيل الإجماع المركّب .

هذا و لكون شرحى على صوغ بهج على ما من الله تعالى سمّيته بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة . قال ابن دريد : يقال : بهجنى هذا الأمر ، وأبهجنى : إذا سرك .



قال المصنف - قدس سره -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

روى العيون عن الرضا عليه السلام أن البسملة أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها .

و روى العياشي عن الصادق عليه السلام ما أنزل الله من السماء كتاباً إلا وفتحته بالبسملة وإنما كان يعرف انقضاء السورة بنزول البسملة ابتداءً للآخرى .

أما بعد .

في تاريخ الطبري عن الهيثم بن عدي أول من قال : « أما بعد » فس بن ساعدة الأيادي .

و عن أبي موسى الأشعري : أول من قال : « أما بعد » داود النبي عليه السلام وهي فصل الخطاب الذي ذكره الله تعالى عنه في ما آتاه .

و روى الصولي في أدب كتابه : أن أول من قاله كعب بن لوى .

حَمْدُ اللَّهِ .

أتى بلفظ الإضافة تنبيهاً على كمال اختصاص الحمد به تعالى ، وإلا فالمناسب لقوله بعد : « والصلاة على رسوله » الحمد لله .

الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ ثَمَنًا لِنِعْمَائِهِ .

روى الصدوق عن الصادق عليه السلام من قال في كل يوم سبع مرات : الحمد لله علي

كل نعمة كانت أو هي كائنة فقد أدى شكر ما مضى وشكر ما بقي .

وعنه عليه السلام من قال : أربع مرات إذا أصبح : الحمد لله رب العالمين . فقد أدى

شكر يومه ، و من قالها إذا أمسى . فقد أدى شكر ليلته ، و عنه عليه السلام ما أنعم الله على عبده بنعمة صغرت أو كبرت . فقال : « الحمد لله » إلا أدى شكرها .

و مَعَاذًا مِّنْ بَلَاءِهِ .

المستتبع لترك حمده و شكره . قال تعالى « و لئن كفرتم إن عذابى لشديد » (١) .
و سَبِيلاً .

هكذا في المصرية ، والصواب « ووسيلاً » كما في (حد ، و ثم ، والخطية)
والوسيل : مفرد كالواصل ، و لغة في الوسيلة كما نقله المصباح لاجمع وسيلة كما توهمه
الصحاح ، و تبعه (حد ، و ثم ، و خو) ولو كان جمعاً لصار المعنى : جعل الحمد وسائل
إلى جنانه ، و لا معنى له ، والمصنف أيضاً جعله مفرداً كما يشهد له قوله قبل : « ثمناً و
معاذاً » و بعد « سبباً » .

إِلَى جِنَانِهِ .

و عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أُسرى بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قيعاناً
يقق من مسك ، و رأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ، و لبنة من فضة ، و ربما
أمسكوا . فقلت لهم : ما بالكم ولائى شيء تبنون مرة و تسكنون أخرى ؟ قالوا : حتى
تأتينا النفقة . قلت : وما نفقتكم ؟ قالوا : قول المؤمن : « سبحان الله ، و الحمد لله ، و
لا إله إلا الله ، و الله أكبر » فإذا قالها بنينا ، و إذا سكت أمسكنا .

و في خبر آخر : إذا أصبحت وأمست فقل « سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله
و الله أكبر » فإن لك بذلك إن قلته بكل تسبيحة عشر شجرات من أنواع الفاكية ، و
هن من الباقيات الصالحات .

و سَبَبًا لِّزِيَادَةِ إِحْسَانِهِ .

قال الله تعالى « لئن شكرتم لأزيدنكم » (٢) .

وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ .

قال تعالى « وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين » (١) .

وَ إِمَامِ الْأَئِمَّةِ، وَ سِرَاجِ الْأُمَّةِ .

قال تعالى « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » (٢) .

الْمُنْتَجَبِ مِنْ طِينَةِ الْكَرَمِ ، وَ سُلَالَةِ الْمَجْدِ الْأَقْدَمِ ، وَ مَغْرَسِ الْفِخَارِ

الْمَعْرِقِ ، وَ فَرْعِ الْعَلَاءِ الْمُمْرِ الْمُورِقِ .

ال فقرات الأربع مأخوذة من زيارة جامعة مروية عن الهادي عليه السلام ، والسلالة : ما يستخرج من الشيء باللفظ والخفاء . قال تعالى « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » (٣) وقال الشاعر :

وما هند إلا مهرة عربية ☆ سليلة أفراس تجلّ لها بغل

ومنه قوله تعالى « يتسللون منكم لو اذنا » (٤) ولذا يقال للسرقة الخفية : السلّة

قال (حد) : سلالة الشيء فرعه ، وهو كما ترى ، والفيخار بالفتح : اسم مصدر من

فخر كما قاله المصباح لا مصدره كما قال (حد) لعدم صحّة معنى المصدر هنا ، ولأنّ

قبله وبعده أسماء لا مصادر كالطينة والسلالة والعلاء ، وما قاله (حد) : من أنّ الفعل إذا

كان عينه أو لامه حرف حلق يكون مصدره فعّالا بالفتح نحو ذهب وسمح لا يوجب

أن يكون كلّ فعّال بالفتح مصدرًا لأعميته مع أنّه ليس لأصله كليتة فإنّ (سأل) ليس

مصدره بالفتح .

(١) الانبياء ١٠٧ .

(٢) الاحزاب ٤٥ .

(٣) المؤمنون ١٢ .

(٤) النور ٦٣ .

وَعَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ مَصَابِيحِ الظُّلَمِ ، وَ عِصْمِ الْأُمَمِ ، وَ مَنَارِ الدِّينِ .

قال (حد) : المنار : الأعلام واحدها منارة . وقال (خو) : لم يقل أحد من اللغويين : إن المنار جمع المنارة . فهذا القاموس والمصباح قالا : جمع المنارة المناور والمناثر قلت : لم لم يراجع النهاية . فإنه قال في الحديث : لعن الله من غير منار الأرض : المنار : جمع المنارة ، ومنار الحرم أعلامه التي ضربها الخليل عليه السلام على أقطاره ، ومنه حديث أبي هريرة : إن للإسلام ضوى و مناراً : أي علامات يعرف بها ، ولم لم يراجع الأساس ؟ فقال : و اهدتوا بمنار الأرض : أي بأعلامها ، و هدم فلان منار المساجد . منار : جمع منارة ، ولم لم يراجع تهذيب الأزهرى ؟ فقال كما في اللسان : المنار : جمع المنارة ، وهي العلامة تجعل بين الحديثين ، و منار الحرم أعلامه التي ضربها إبراهيم الخليل عليه السلام على أقطار الحرم و نواحيه ، و بها تعرف حدود الحرم من حدود الحل و لم خص اعتراضه بـ (حد) والأصل فيه المصنّف حيث جعله وصفاً لأهل بيته كمصابيح و عصم قبلها ، و مثاقيل بعدها .

الْوَأْضِحَةُ .

صفة المنار ، و هو أيضاً شاهد لكون المنار جمعاً ، و يشهد لقول المصنّف قول الشاعر :

لعلك في مناسمها منار ✽ إلى عدنان واضحة السبيل

وَ مَثَاقِيلِ :

الأصل في مثقال الشيء لغة وزانه من مثله ، وهو من الأسماء اللازمة الإضافة بحسب المعنى قال تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره » ^(١) و قال تعالى « و إن يك مثقال حبة من خردل آتيناها و كفى بنا حاسبين » ^(٢) ثم نقل بالعرف العام إلى وزن الدينار فيقال : هذا مثقال : أي مثقال دينار . فيقطع عن

. (١) الزلزلة ٧ .

. (٢) الانبياء ٤٧ .

الاضافة و ينوي المضاف إليه المعهود ، وإذا ذكر المضاف إليه كما هو أصله و كما استعمله المصنّف ينسب إلى كل شيء .

الْفَضْلِ الرَّاجِحَةِ .

على فضل العالمين .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . صَلَاةٌ تَكُونُ إِزَاءً .

أَيُّ وَفَاقًا .

لِفَضْلِهِمْ .

أَيُّ فَضَائِلِهِمُ النَّفْسَانِيَّةِ .

وَمُكَافَأَةً .

أَيُّ جِزَاءً .

لِعَمَلِهِمْ .

أَيُّ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ .

وَكِفَاءً .

أَيُّ كِفْوَاءً وَنَظِيرًا . قَالَ حَسَّانُ : وَرُوحَ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ .

لِطَبِيبٍ فَرَعِيهِمْ وَ أَصْلِهِمْ .

روى الكافي عن معاوية بن وهب عن الصادق عليه السلام في علائم الإمام : طهارة الولادة

وحسن المنشأ ، ولا يلهو ولا يلعب ، وفي خبر آخر : إن الإمام لا يستطيع أحد أن يطعن

عليه في فم ولا بطن ولا فرج .

مَا أَنَارَ فَجْرُ سَاطِعُ .

أَيُّ مَرْتَفَعٌ .

وَ خَوَى نَجْمٌ طَالِعٌ .

أي سقط و غرب .

فَانِي .

جواب أما .

كُنْتُ فِي عُنُقِ الْوَانِ السَّنِّ .

أي أو له .

وَ غَضَّاضَةَ الْعُصْنِ .

أي طراوته، و غضاضة العنص: كناية عن أيام الشباب كما أن نعومة الأظفار كناية عن أيام الطفولية .

أَبْتَدَأْتُ بِتَأْلِيفِ كِتَابٍ فِي خِصَائِصِ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

إن المصنف مع أنه لم يصل إلى حد الشيخوخة لأن تولده كما قال الثعالبي كان في سنة ٣٥٩ و توفي سادس المحرم سنة ٤٠٦ كما قال هو والخطيب والنجاشي والجزري و قول (حد) مات سنة ٤٠٤ و هم . فيكون توفي عن سبع و أربعين سنة ، ولذا قال أخوه المرتضى في رثاء :

لله عمرك من قصير طاهر ۞ ولرب عمر طال بالأرجاس

كانت له كتب نفيسة غير الخصائص الذي أشار إليه ، وغير نهجه هذا ، ومنها : كتاب حقائق التنزيل الذي قال في حقه شيخه ابن جنبي ، وأحمد بن عمر بن روح : يتعدّد وجود مثله ، و كتاب مجاز القرآن ، و كتاب مجازات الآثار النبوية ، و قد وصل إلينا جزء من الأوّل ، و تمام الأخيرين ، و منها يظهر مقام أدبيته كما يظهر من بياناته في النهج و كتاب تعليق خلاف الفقهاء ، و كتاب تعليقه على إيضاح أبي علي الفارسي ، و كتاب الجيد من شعرا بن الحجّاج ، و كتاب مختار شعر أبي إسحاق الصابي ، و كتاب ما دار بينه وبين الصابي من الرسائل ، و لم تصل هذه إلينا ، و كتاب ديوان شعره ، و قد وصل إلينا ،

ومنه يظهر صدق ما قيل : إن الرضى " أشعر الطالبين بل أشعر قريش أجمعين . فقالوا :
ليس في قريش مُجيد مكثر سوى الرضى " - رضوان الله عليه .

يَشْتَمِلُ عَلَى مَحَاسِنِ أَخْبَارِهِمْ وَ جَوَاهِرِ كَلَامِهِمْ .

يعني جعل ذلك موضوع كتابه .

حَدَانِي

أَي بَعَثَنِي .

عَلَيْهِ .

أَي عَلَى تَأْلِيْفِ ذَاكَ الْكِتَابِ .

غَرَضٌ

أَي مَقْصِدٌ ، وَالْأَصْلُ فِي مَعْنَى الْغَرَضِ الْهَدْفُ .

ذَكَرْتَهُ .

أَي ذَكَرْتُ ذَاكَ الْغَرَضَ .

فِي صَدْرِ الْكِتَابِ .

ذَاكَ .

وَجَعَلْتَهُ أَمَامَ الْكَلَامِ .

في المقاصد ، و غرضه الذي ذكره ثمة دفاعه عن رمى مخالفه له بالواقفية ، و
هذا نصه ثمة : سألتني أن أصنف لك كتاباً يشتمل على خصائص الأختيار الأئمة
الإثنى عشر على ترتيب أيامهم ، و تدريج طبقاتهم . إلى أن قال : فعاقنى عن إجابة
ملتمسك ما لا يزال يعوق من نوائب الزمان ، و معارضات الأيام إلى أن أنهضني إلى
ذلك اتفاق اتفق لي فاستثار حميتي ، و قوتى نيّتي ، و استخرج نشاطي ، و قدح
زنادي ، و ذلك أن بعض الرؤساء ممن غرضه القدح في صفاتي ، و الغمز لقناتي ، و التغطية
على مناقبي ، و الدلالة على مثلبة إن كانت لي ، لقيني وأنا متوجه عشية عرفة من سنة

ثلاث وثمانين و ثلاثمائة هجرية إلى مشهد مونا أبي الحسن موسى بن جعفر ، وأبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهما السلام للتعريف هناك . فسألني عن متوجهي فذكرت له إلى أين قصدي . فقال لي : متى كان ذلك . يعنى : أن جمهور الموسويين جارون علي منهاج واحد في القول بالوقف والبرائة ممن قال بالقطع ، وهو عارف أن الإمامة مذهبي و عليها عقدي و معتقدي ، وإنما أراد التبكيث لي والطعن على تديني . فأجبت في الحال بما اقتضاه كلامه و استدعاه خطابه ، و عدت و قد قويت عزمي على عمل هذا الكتاب إعلاناً لمذهبي ، و كشافاً عن مغيبتي ، و ردّاً على العدو الذي يتطلب عيبي ، و يروم نهي و قسبي ،

و فرغت

في ذاك الكتاب .

مِنَ الْخَصَائِصِ الَّتِي تَخُصُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ .

في فواتح الميبدي سماه أبوه علياً و قال :

سميته بعلي كى يدوم له ☆ عز العلو و غير العز أدومه

وفيه روى أبو حمراء عن النبي صلى الله عليه وآله قال : رأيت ليلة المعراج مكتوباً على العرش :

لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده الله بعلي ، و قال :

اسم على العرش مكتوب كما نقلوا ☆ من يستطيع له محواً و ترفينا
وقال الميبدى بالفارسية :

از مهر على كسيكه يابد عرفان ☆ نامش همه دم نقش کند بردل و جان

اين نکته طرفه بين كه ار باب كمال ☆ يابند ز بيئات نامش ايمان

و عاقت .

أي حبست .

عَنْ اِتِّمَامِ بَقِيَّةِ الْكِتَابِ .

في خصائص باقي الأئمة عليهم السلام .

مُحَاجِرَاتُ .

أي ممانعات .

الزَّمانِ .

هكذا في المصرية ، والصواب : الأيَّام كما في (حد ، و ثم ، والخطبية) .

وَمُماطَلاتُ .

أي مدافعات .

الأيَّامِ .

هكذا في المصرية ، والصواب : الزمان كما في (حد ، و ثم ، والخطبية) .

وَ كُنْتُ قَدْ بَوَّبْتُ مَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ .

في خصائص أمير المؤمنين عليه السلام .

أَبُواباً ، وَ فَصَّلْتُهُ فُصُولاً فَجَاءَ فِي آخِرِهَا .

أي آخر الفصول .

فَصَلُّ يَتَضَمَّنُ مُحَاسِنَ مَا نُقِلَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْكَلَامِ الْقَصِيرِ فِي

الْحُكْمِ .

هكذا في المصرية ، والصواب : في المواعظ والحكم كما في (حد ، و ثم ،

والخطبية) .

وَ الْأَمْثالِ وَ الْأَدبِ .

و ما في ذلك الفصل هو الذي جعله في النهج الباب الثالث منه .

دُونَ الْخُطْبِ الطَّوِيلَةِ ، وَ الْكُتُبِ الْمَبْسُوطَةِ .

كما هو موضوع البابين الأولين من النهج .
فَاسْتَحْسَنَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَصْدِقَاءِ .

له .

وَ الْأَخْوَانَ .

هكذا في المصريّة ، و الصواب : زيادة الكلمة لعدم وجودها في (حد ، و ثم ، و
الخطيّة) .

ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره .

المتضمن ما نقل عنه عنه من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال
والأدب .

مَعْجِبِينَ بِبَدَائِعِهِ ، وَ مَتَعَجِبِينَ .

الفرق بين الإعجاب والتعجب أن الإعجاب بشيء الاستحسان له ، والتعجب
من شيء استغرابه سواء كان من حسن أو قبح ، والاسم من الأول العُجب بالضم فالسكون
و من الثاني العَجَب بفتحين . قال الشاعر :
و آل ما كان من عُجب إلى عَجَب : أي انقلب عجبه بشبابه تعجبه من شبته .

مِنْ نَوَاصِعِهِ .

أي سواطعه . قال : ولم يأتك الحق الذي هو ناصع .

وَ سَأَلُونِي عِنْدَ ذَلِكَ .

أي استحسانهم لذلك الفصل من كتاب الخصائص .

أَنْ أِبْتَدَأُ بِتَأْلِيفِ كِتَابٍ يَحْتَوِي عَلَى مُخْتَارِ كَلَامٍ .

لا كل كلام نقل عنه عنه .

مَوْلَانَا .

هكذا في المصرية ، والكلمة زائدة لعدم وجودها في (حد ، و ثم ، والخطبية) .

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَمِيعِ فُنُونِهِ وَ مَتَشَعَّبَاتِ غُصُونِهِ .

ولا يختص بشيء دون شيء .

مِنْ خُطْبٍ .

خطب بها الناس .

وَ كُتِبَ .

كتبها إلى أوليائه و أعدائه و عماله .

وَ مَوَاعِظَ .

الوعظ : التذكير بالعواقب .

وَ آدَابٍ .

هكذا في المصرية ، والصواب : و أدب كما في (حد ، و ثم ، والخطبية) .

عِلْمًا .

مفعول له لقوله قبل : و سألوني .

أَنَّ ذَلِكَ .

أى كتاب من كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كُلِّ فَنٍّ .

يَتَضَمَّنُ مِنْ عَجَائِبِ الْبَلَاغَةِ ، وَ غَرَائِبِ الْفَصَاحَةِ .

والأصل في الفصاحة انطلاق اللسان خالصاً عن اللكنة كما أن الأصل في البلاغة

بلوغ المراد في بيانه . ثم نقلاً عند أهل البيان بما اشتهر .

وَ جَوَاهِرِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَ تَوَاقِبِ الْكَلِمِ الدِّينِيَّةِ .

أى متلاً لآتها من قولهم : كوكب ناقب : أى شديد التلاؤ ، ويقال : در منقّب ،

وبرقع مثقّب ، وسمى شاعر مثقّباً بقوله :

أرّين محاسناً وكنن أخرى ☆ و ثقبين الوصاوص للعيون
وَالدُّنْيَوِيَّةَ .

هكذا في المصرية ، و الصواب : والدياوية كما في (حد ، و ثم ، والخطية)
و إن كان الأوّل أيضاً صحيحاً . قال الجوهري : النسبة إلى الدنيا : دناوى . ويقال :
دناوى و دنياى .

هَالَا يُوجَدُ مُجْتَمِعاً فِي كَلَامٍ ، وَلَا مَجْمُوعُ الْأَطْرَافِ فِي كِتَابٍ .

فإنّ الكلام إنّما يحسن بحسن لفظه أو معناه ، فكيف إذا كان جامعاً بين
الحسين ككلامه ﷺ ، فليقل في ألفاظ كلامه ﷺ ، و في معاني كلماته ما قيل :
ألفاظ كعزمات الالحاظ ☆ و معان كأثها فك عان
ألفاظ كما نورت الأشجار ☆ و معان كما تنفست الأسحار

ألفاظ قد استعارت حلوة العتاب بين الأحاب ، و معان استلانت كتشكى العشاق
يوم الفراق ، ألفاظ كالبشرى مسموعة أو أزهير الرياض مجموعة ، و معان كأنفاس الرياح
تعبق بالريحان والراح ، ألفاظ هي خدع الدهر ، و معان هي عقدا السحر ، ألفاظ تأنق
الخاطر في تذهيبها ، و معان عنى الفهم بتذهيبها ، ألفاظ حسبها من رقمتها منسوخة في
صحيفة الصبى ، و معان ظننتها من سلاستها مكتوبة في نجر الهوى . ألفاظ أنوار ، و معان
ثمار ، و كيف لا يكون كلامه ﷺ ، و كلامه دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوق ،
و كلامه من ملوك الكلام ، و قال أبو أحمد العسكري في زواجه بعد نقل وصيته ﷺ
لابنه : لو كان من الحكمة ما يجب أن يكتب بالذهب لكانت هذه .

إِذْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَشْرَعٌ .

الأصل في المشرع شرع الماء ، و به سميت الشرائع ، و قالوا : الشرائع نعم
الشرائع من وردها روى ، و إلا دوى .

الفصاحة .

في أمالي الشيخ سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن أفصح الناس . فقال : المجيب المسكت عند بديهة السؤال .

وَمَوْرَدَهَا .

الأصل في المورد و رود الماء كالمصدر الصدور عنه .

وَمَنْشَأُ الْبَلَاغَةِ وَمَوْلِدَهَا .

في خلفاء ابن قتيبة : فر " محفن منه عليه السلام إلى معاوية ، فقال له معاوية : من أين جئت ؟ قال : من عند أعيى الناس . فقال له معاوية : ويحك ماسن الفصاحة لقريش غير علي " ، وفي الخصال عن الشعبي قال تكلم أمير المؤمنين علي عليه السلام بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالاً ، فقأن عيون البلاغة ، وأيتمن جواهر الحكمة ، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهن " : ثلاث في المناجات ، و ثلاث في الحكمة ، و ثلاث في الأدب . أما اللائي في المناجاة . فقال : « اللهم كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً ، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً . أنت كما أحب فاجعلني كما تحب " ، و أما اللائي في الحكمة . فقال : قيمة كل امرء ما يحسنه ، و ما هلك امرء عرف قدره ، و المرء مخبوء تحت لسانه ، و أما اللائي في الأدب . فقال : امنن علي من شئت تكن أميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره و احتج " إلى من شئت تكن أسيره ، و قال (حد) عند قوله عليه السلام « سلكوا في بطون البرزخ » - إلخ - : لو اجتمع فصحاء العرب في مجلس قاطبة و تلى عليهم هذا الكلام ينبغي أن يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عدي بن الرقاع : قلم أصاب من الدواة مداها . فلما قيل لهم في ذلك . قالوا : إننا نعرف مواضع السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن .

هذا ، و في الأغاني كان إبراهيم بن المهدي شديد الانحراف عن علي عليه السلام .

فقال يوماً للمأمون : إنني رأيت علياً في النوم . فقلت له : من أنت ؟ فقال : علي . فمشينا

حتى جئنا فنظرة . فذهب يتقدمنى لعبورها فأمسكته ، وقلت له : إنما أنت رجل تدعى هذا الأمر بأمرته ، ونحن أحق به منك . فما رأيت له فى الجواب بلاغة كما يوصف عنه . فقال له المأمون : وأى شيء قال لك ؟ فقال : ما زادنى على أن قال : سلاماً سلاماً فقال له المأمون : قد والله أجابك أبلغ جواب . قال : وكيف ؟ قال : عرفك أنك جاهل لا يجاب بمثلك قال تعالى « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » (١) فنجعل إبراهيم وقال للمأمون : ليتنى لم أجدك بهذا الحديث .

وَمِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ظَهَرَ مَكْنُونُهَا .

أي مستورها .

وَعَنْهُ أَخَذَتْ قَوَانِينُهَا .

مر أن معاوية قال : ما سن الفصاحة لقريش غير على .

وَعَلَى أَمْثَلْتِهِ .

أمثلة : جمع المثل .

حَذَا .

من حذوت النعل بالنعل : إذا قطعها مماثله .

كُلُّ قَائِلٍ خَطِيبٍ .

فى مروج المسعودى الذى حفظ الناس عن على عليه السلام من خطبه فى سائر مقاماته أربعمائة و نيف و ثمانون خطبة يوردها على البديهة تداول الناس عنه ذلك قولاً وعملاً .

وَبِكَلَامِهِ اسْتَعَانَ كُلُّ وَاِعْظُ بَلِيغٍ .

قال ابن نباته - الواعظ المعروف : وهو أستاذ المصنف - : حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيدده الانفاق إلا سعة وكثرة . حفظت مائة فصل من مواضع على ابن أبي طالب

عليه السلام ، وكذا استعان بكلامه عليه السلام كل كاتب مجيد . قال عبد الحميد الكاتب - كاتب مروان بن محمد وهو الذي قيل فيه : إن الكتابة فتحت به - : حفظت سبعين خطبة من خطب الأ صلح ففاضت ثم فاضت .

و في صناعة أبي هلال العسكري أخذ إبراهيم بن العباس الصولى قوله : « إذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه ، و للمسيء من العقاب ما يقمعه ازداد المحسن في الإحسان رغبة ، و انقاد المسيء للحق رهبة » من قول علي بن أبي طالب عليه السلام « يجب على الوالى أن يتعهد أموره ، و يتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ، و لإسائة مسيء » .

و قال الجاحظ : كان جعفر بن يحيى البرمكى من أبلغ الناس و أفصحهم للقول و الكتابة يضم اللفظة إلى أختها ، و سمعته يقول : ناهيك حسناً بقول علي بن أبي طالب عليه السلام : « هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو قرار أو مجاز » و كان يتعجب من قول علي عليه السلام : « أين من جد و اجتهد ، و جمع و احتشد ، و بنى و شيّد ، و فرش فمهّد ، و زخرف فنجد » قال : ألا ترى أن كل لفظة منها أخذت بعنق قرينتها . جاذبة إليها إلى نفسها ، دالة عليها بذاتها ، و قال محمد بن يعقوب الكليني في كفيه بعد ذكر خطبة له عليه السلام في باب جوامع التوحيد : هذه الخطبة كفيه لمن طلب علم التوحيد إذا تدبرها ، و فهم ما فيها . فلوا جمع السنة الجن و الإنس ليس فيها لسان نبي علي أن يبسوا التوحيد على ما أتى عليه به ما قد روا عليه ، و لو لا إباته عليه السلام ما علم الناس كيف يسلكون سبل التوحيد .

قلت : هو عليه السلام مصداق ما قيل : إذا نهضت فأنت نجم ثاقب ، و إذا جلست فأنت ليث رابض ، فبك التمثل حين ينعت فاضل ، و إليك يرجع حين يشكل غامض .

و ممن استعان بكلامه عليه السلام عبد الملك بن صالح العباسى ، و كان من خطبائهم في وصاياه لابنه - و نقلها الجاحظ في بيانه - أخذها من وصاياه عليه السلام لابنه ، و كذلك طاهر بن الحسين ذو اليمينين الذي كتب وصية طويلة لابنه عبد الله بن طاهر ، فأمر المأمون بحفظها و كتابتها . أخذها من وصيته عليه السلام تلك الجامعة . بل كان بعض الخطباء يخطب

بعين خطبه عليه السلام كخطبة يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على الكوفة : اتقوا الله عباد الله فكم من مؤمل أملأ لا يبلغه ، وجامع مالا لا يأكله ، و مانع ماسوف يتركه ، و لعله من باطل جمعه ، و من حق منعه ، و كخطبة قطري بن فجائة أحداً مرء الخوارج : أما بعد فإنني أخذت ركم الدنيا فإنها حلوة خضرة ، حففت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، و تحببت بالعاجلة ، و حليت بالآمال ، و تزينت بالغرور . لاندوم حبرتها ، و لا تؤمن فجعتهما . ذكر خطبتيهما الجاحظ في بيانه .

و كخطبة المأمون يوم الجمعة ذكرها ابن قتيبة في عيونہ ، و أخذ فضيل بن عياض المعروف بالزهد كلامه عليه السلام لشريح القاضي لما اشترى داراً . فقاله بعينه لفيض بن إسحاق لما اشترى داراً كما نقله الحلبي ، و أخذ تفسيره عليه السلام لقوله تعالى «إنا لله وإنا إليه راجعون» ^(١) أبو يزيد البسطامي كما نقله أيضاً .

و في وزراء الجهشيارى قيل لعبد الحميد بن يحيى : ما الذي مكنتك من البلاغة و خرّجك ؟ فقال : حفظ كلام الأصلح . يعنى : أمير المؤمنين عليه السلام .

و قال (حد) في شرح قوله عليه السلام «ألا وإن اللسان بضعة من الإنسان : قد أخذ هذه الألفاظ بعينها أبو مسلم الخراساني . فخطب بها في خطبة مشهورة من خطبه .
و مع ذلك فقد سبق و قصرُوا و تقدّم و تأخروا .

أي في ما أخذوا من كلماته عليه السلام في كلامهم ، و في ما استعانوا بجملاته عليه السلام في مقالاتهم . قال (حد) عند قوله عليه السلام «أما بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة» : إنّ التحريض على الجهاد ، و الحرض عليه قد قال فيه الناس فأكثرُوا ، و كلّمهم أخذوا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام . فمن جيّد ذلك ما قاله ابن نباته الخطيب : أيّها الناس إلى كم تسمعون الذكر فلا تعون . إلى أن قال (حد) : هذا آخر خطبة ابن نباته . فانظر إليها و إلى خطبته عليه السلام : أي المتقدمة تجدها بالنسبة إليها كمنخنت بالنسبة إلى فحل . أو كسيف من رصاص بالإضافة إلى سيف من حديد ، و انظر ما عليها من أثر

التوليد ، و شين التكلف ، ومجاجة كثير من الألفاظ . ألا ترى إلى مجاجة قوله : كأن
 أسمعكم تمج^١ ودائع الوعظ ، و كأن^٢ قلوبكم بها استكبار عن الحفظ . إلى أن قال :
 إنني أضرب لك مثلاً تتخذهُ دستوراً في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، و كلام الكتاب
 والخطباء بعده كابن نباته والصابيء . انظر إلى نسبة شعر أبي تمام ، والبحترى ، وأبي نواس ،
 ومسلم إلى شعرامرء القيس ، والناعبة ، وزهير ، والأعشى . إلى أن قال بعد ذكر تضمين ابن
 نباته جملة قوله عليه السلام «ماغزى قوم في عقردارهم إلا ذكوا» : انظر كيف تصيح من بين الخطبة
 صياحاً أنها ليست من المعدن الذي خرج باقي الكلام منه ، وما مثلها فيها إلا كآية من
 الكتاب العزيز في رسالة أو خطبة .

وَلِأَنَّ .

هكذا في المصريّة ، والصواب : لأن^٣ بدون العاطف كما في (حد ، وثم ، والخطبة).

كَلَامُهُ عليه السلام الْكَلَامُ الَّذِي عَلَيْهِ مَسْحَةٌ مِنَ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ .

المسحة أن يبقى أثر المسح على الممسوح عليه . قال ذوالرمة :

على وجه مية مسحة من ملاحظة

وَفِيهِ عَبَقَةٌ .

من عبقر به الطيب : لزمه .

مِنَ الْكَلَامِ النَّبَوِيِّ .

و كيف لا يكون كذلك و قد قال النبي عليه السلام : أنا مدينة العلم ، و علي^٤ بابها

هذا ، و في فهرست منتجب الدين كان محمد بن الحسين بن محمد الغريب قاضي فاسان فاضلاً

فقيهاً ، وكان يكتب نهج البلاغة من حفظه ، وله (رسالة العبققة) في شرح قول الرضى

في خطبة النهج : عليه مسحة من العلم الإلهي ، وفيه عبقة من الكلام النبوي .

قال (حد) عند الكلام في خطبة الجهاد المتقدمة : قد اتفق الناس على أن

القرآن في أعلى طبقات الفصاحة وتأمّله تأملاً شافياً ، وانظر إلى ما خصّ به من مزيّة الفصاحة ، والبعد عن التعقيد والتعقيد ، والكلام الوحشى ، وانظر كلام أمير المؤمنين عليه السلام فانك تجده مشتقاً من ألفاظه ، ومقتضياً من معانيه ومذاهبه ، ومحدّواً حدوه ومسلوكاً به في منهاجه . فهو وإن لم يكن نظيره إلا أنه يصلح أن يقال : ليس بعده كلام أفصح منه ، ولا أجزل ، ولا أعلى ، ولا أفخم ، ولا أنبل إلا أن يكون كلام ابن عمه عليه السلام .

وقال أيضاً عند قوله عليه السلام « عالم السرّ من ضمائر المضميرين » - إلخ - : لو سمع النضر بن كنانة هذا الكلام لقال لقائله : ما قال على بن العباس بن جريح لا سماعيل بن بلبل :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلاً ولكن لعمرى منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرا شرفاً * كما علا برسول الله عدنان

وإذن كان يفخر به على عدنان وقحطان . بل كان يقرّ به عين إبراهيم خليل الرحمن ، ويقول النضر له : لم يعف ما شيدت من معالم التوحيد . بل أخرج لك الله تعالى يا إبراهيم من ظهري ولداً ابتدع من علوم التوحيد في جاهليّة العرب ما لم يتبدعه أنت في جاهليّة النبط ، بل لو سمع هذا الكلام أرسطاطليس القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات لخشع قلبه ، وقف شعره ، واضطرب فكره . ألا ترى ما عليه من الرواء والمهابة ، والعظمة والفخامة ، والمتانة والجزالة مع ما قد أشرب من الحلاوة والطلاوة ، واللفظ والسلاسة . لأرى كلاماً يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه . فإنّ هذا الكلام نبتة من تلك الشجرة ، و جذوة من تلك النار ، و جدول من ذلك البحر .

وقال سبط بن الجوزى في تذكرته : كان على عليه السلام ينطق بكلام قد حفّ بالعصمة ويتكلّم بميزان الحكمة . كلام قد ألقى الله عليه المهابة . فكلّ من طرق سمعه راعه فهابه وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة ، و الطلاوة والفصاحة . لم يسقط منه كلمة . و لا بارت له حجة . أعجز الناطقين ، وحاز قصب السبق في السابقين . ألفاظ يشرق عليها نور النبوة - إلخ - .

قلت : ولاغرو أن يكون على كلامه عليه السلام مسحة من العلم الإلهي ، وكان كراراً يقول : « أنا أعلم بطرق السماء مني بطرق الأرض » .

و كان عليه السلام يقول : « لو ثبتت لى الوسادة لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم ، وأهل الإنجيل باإنجيلهم ، وأهل الفرقان بفرقانهم حتى ينطق كل منها و يقول : إن علياً قضى في بما نزل الله تعالى في » .

و كيف لا يكون في كلامه عبقة من الكلام النبوي ، و قد جعلهما الله تعالى في آية المباهلة نفساً واحدة ، و كان عليه السلام يقول : أنا من النبي صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو ، والذراع من العضد ، و كان كلامه عليه السلام أولى من كلام قيل فيه : و كلام لا تمجته الآذان ، ولا تبليه الأزمان . كلام قريب شاسع ، و مطعم مانع كالشمس تقرب ضياء ، و تبعد علاء . أو كالماء يرخص موجوداً ، و يغلو مفقوداً . كلام سهل متسلسل كاملدام بماء الغمام . يقرب أذنه على الأفهام . كلام كبرد الشراب على الأكباد الأحرار ، و بُرد الشباب في خلع العذار . كلام كثير العيون . سلس المتون . رقيق الحواشي . سهل النواحي . كلام هو السحر الحلال ، والماء الزلال ، والبرود والحبر ، والأمثال والعبر ، والتعظيم الحاضر ، والشباب الناضر ، نظرت منه إلى صورة الظرف بحتاً ، و صورة البلاغة سبكاً و نحتاً . كلام يسر المحزون ، ويسهل الحزون ، و يعطل الدر المخزون . كلام بعيد من الكلف . نقى من الكلف . كما ينفس السحر عن نسيمه ، و يبسم الدر عن نظيمه . كلام كالبشرى بالولد الكريم . قرع به سمع الشيخ العقيم ، كلام أنسى حلاوة الأولاد بحلاوته ، و طلاوة الربيع بطلاوته . كلام قرب حتى أطمع ، و بعد حتى امتنع . قرب حتى صار قاب قوسين أو أدنى . ثم علا حتى صار بالمنزل الأعلى . رقيق المزاج . حلو السماع . نقى السبك . مقبول اللفظ . قرأت لفظاً جلياً . حوى معنى خفياً ، و كلاماً قريباً . رمى غرضاً بعيداً . كلام أنس المقيم الحاضر ، و زاد الراحل المسافر . كلام يصغى إليه المقبور و ينتفض له العصفور ، كلام يقضى حق البيان ، و يملك رق الحسن والإحسان . كلام منه يجتنى الدر ، و به يعقد السحر ، و عنده يغيب الدهر ، وله ينشرح الصدر . كلام

كما هبّ نسيم السحر على صفحات الزهر .

فَأَجَبْتَهُمْ إِلَى الْإِبْتِدَاءِ بِذَلِكَ عَالِمًا بِمَا فِيهِ مِنْ عَظِيمِ النَّفْعِ .

ينتفع به جميع البشر الموحد منهم مما فيه من ذكر الثواب والعقاب ، والملمد منهم مما فيه من الحكم والآداب ، ومع ذلك فهو معجزة للإسلام ككتاب الله تعالى وشاهد للنبوّة والإمامة .

وَمَنْشُورِ الذِّكْرِ .

إنّ الرضى انقرض نسله كأخيه المرتضى إلا أنه انتشر ذكره في العالم بجمعه هذا الكتاب . فكثير من الكتب لم يشتهر أمرها أصلاً ، وبعضها إنما اشتهر في عصر أو قطر ، وأما هذا الكتاب فاشتهر اشتهاً الشمس في رابعة النهار .

وينبغي لمن فتح هذا الكتاب أن يخاطب الرضى بخطاب أبي تمام الشاعر للحسن بن وهب الكاتب لما قرء كتاباً له :

لقد جلى كتابك كل بث * جو و أصاب شاكلة الرمي
فضضت ختامه فتبلجت لى * غرائب عن الخبر الجلى
و كان أغض في عيني و أندى * على كبدى من الزهر الحلى
و أحسن موقعاً عندى ومنى * من البشرى أتت بعد النعى
و ضمن صدره ما لم تضمن * صدور الغانيات من الحلى
فكائن فيه من معنى بديع * و كائن فيه من لفظ بهى

و قال بعضهم في الرضى و في كتابه :

إنّ الرضى الموسوي لمائه هو مائح * لاقت به و بجمعه عدد القطامدائح

وَمَذْخُورِ الْأَجْرِ .

فمن هدى شخصاً يكون خيراً له مما طلعت عليه الشمس ، وقد هدى الرضى

بتأليفه نهجه هذا من لا يحصيهم إلا الله تعالى .

وَاعْتَمَدْتُ بِهِ .

أى قصدت بجمع هذا الكتاب .

أَنْ أْبِين .

من الإبانة .

مِنْ عَظِيم .

هكذا في المصريّة ، والصواب : عن عظيم كما في (ثم ، والخطيّة) و لأنّ الإبانة

إنّما تتعدى بعن .

قَدَّرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْفَضِيلَةِ .

أى فضيلة النطق . قال تعالى « فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين » (١)

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ « تكلموا تعرفوا . فإن المرء مخبوء تحت لسانه » .

مُضَافَةٌ .

هذه الفضيلة .

إِلَى الْمَحَاسِنِ الدَّثْرَةِ .

أى الكثرة العالية . قال ابن مقبل :

أصاحت له فدر اليمامة بعد ما ✱ تدثرها من وبله ما تدثراً

وَالْفَضَائِلِ الْجَمَّةِ .

أى المجتمعة . قال الشاعر :

إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرَ جَمًّا ✱ وَ أَيْ عَبْدُكَ لَا أَلْمَا

و قد وصف النبي ﷺ محاسن أمير المؤمنين ﷺ و فضائله . فقال : لو أن البحار كانت مداداً ، والأشجار أقلاماً ، والجن والناس كتباً بما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب .

و روى العكبري - كما في مناقب الكنجي الشافعي - مسنداً عن ابن عباس قال: بينما النبي ﷺ جالس في جماعة من أصحابه إذ أقبل علي ﷺ فلما بصر به النبي ﷺ قال : من أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في حكمه ، وإلى إبراهيم في حلمه . فلينظر إلى علي بن أبي طالب ﷺ . قال الكنجي : و تشبيهه بآدم في علمه لقوله تعالى في آدم « و علم آدم الأسماء كلها » ^(١) و بنوح في حكمه لشدته على الكفار لقوله « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » ^(٢) و بإبراهيم في حلمه لقوله تعالى « إن إبراهيم لأواه حلیم » ^(٣) ولقد أجاد شباب التستري حيث قال فيه ﷺ بالفارسية :

كتاب فضل ترا آب بحر کافی نیست

که تر کنند سر انگشت و صفحه بشمارند

و هو ﷺ أولى ممن قيل فيه :

ليس من الله بمستنكر ❖ أن يجمع العالم في واحد

قال (حد) في أول كتابه : فأما فضائله ﷺ فإنها قد بلغت من العظم والجلال والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمح معه التعرف لذكرها ، والتصدي لتفصيلها . فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد : رأيتني في ما أتعاطى من وصف فضلك كمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر . الذي لا يخفى على الناظر . فأيقنت أنني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز . مقصّر

(١) البقرة : ٣١ .

(٢) نوح : ٢٦ .

(٣) التوبة : ١١٤ .

عن الغاية ، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعا لك ، و وكّلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

و ما أقول في رجل أقرّ له أعدائه و خصومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه ، ولا كتمان فضائله . فقد علمت أنّه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض و غربها ، و اجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاء نوره ، و التحريض عليه ، و وضع المعائب و المثالب له ، و لعنوه على جميع المنابر ، و توعّدوا ما دحيه . بل حبسوه و قتلوه ، و منعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة أو يرفع له ذكراً . حتّى حذروا أن يسمّى أحد باسمه . فما زاده ذلك إلا رفعةً و سموّاً و كان كالمسك كلّما ستر انتشر عرفه ، و كلّما كتم تضوّع نشره ، و كالشمس لا تستر بالراح ، و كضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة .

و ما أقول في رجل تعزى إليه كلّ فضيلة ، و تنتهى إليه كلّ فرقة ، و تتجاذبه كلّ طائفة . فهو رئيس الفضائل ، و ينبوعها ، و أبو عذرها ، و سابق مضارها ، و مجلّي حلبتها . كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ ، و له اقتفى ، و على مثاله احتذى . و قد عرفت أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلهي ، لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم ، و معلومه أشرف المعلومات . فكان هو أشرف العلوم ، و من كلامه عليه السلام اقتبس ، و عنه نقل ، و إليه انتهى ، و منه ابتداء .

فإنّ المعتزلة -الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر ، و منهم تعلم الناس هذا الفن - تلامذته و أصحابه . لأنّ كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، و أبو هاشم تلميذ أبيه ، و أبوه تلميذ عليه السلام .

و أمّا الأشعرية فإنّهم ينتمون إلى أبي الحسن عليّ بن أبي الحسن عليّ بن أبي بشر الأشعري ، و هو تلميذ أبي عليّ الجبائي ، و أبو عليّ أحد مشايخ المعتزلة .

فالأشعرية ينتهون بأخرة إلى أستاذ المعتزلة و معلمهم ، و هو عليّ بن أبي طالب

عليه السلام .

و أمّا الإمامية ، و الزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر .

ومن العلوم : علم الفقه ، وهو عليه السلام أصله وأساسه ، و كل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ، و مستفيد من فقهه . أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ، و محمد ، و غيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة ، و أما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن . فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة ، و أما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي ، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة و أبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام و قرأ جعفر على أبيه ، و ينتهي الأمر إلى علي عليه السلام ، و أما مالك بن أنس ، فقرأ على ربيعة الرأي ، و قرأ ربيعة على عكرمة ، و قرأ عكرمة على عبد الله بن عباس : و قرأ عبد الله بن عباس على علي عليه السلام ، و إن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقرائته على مالك كان لك ذلك . فهو لاء الفقهاء الأربعة و أما فقه الشيعة . فرجوعه إليه ظاهر .

و أيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا : عمر بن الخطاب ، و عبد الله بن عباس ، و كلاهما أخذ عن علي عليه السلام . أما ابن عباس فظاهر ، و أما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي اشكلت عليه ، و علي غيره من الصحابة ، و قوله غير مرة : لو لأعلي لهلك عمر ، و قوله : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن ، و قوله : لا يفتين أحد في المسجد و علي حاضر . فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه ، و قدرت العمامة والخاصة قوله عليه السلام : « أفضاكم علي » و القضاء هو الفقه فهو إذن أفقهم ، و روى الكل أيضاً أنه عليه السلام قال له و قد بعثه إلى اليمن قاضياً : « اللهم اهد قلبه ، و ثبت لسانه » قال : فما شككت بعد ها في قضاء بين اثنين ، وهو عليه السلام الذي أفتى في المرثة التي وضعت لستة أشهر ، و هو الذي أفتى في الحامل الزانية ، و هو الذي قال في المنبرية : صار ثمناً تسعاً ، و هذه المسئلة لو فكر الفرضي فيها فكراً طويلاً لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب . فما ظنك بمن قاله بديهية و اقتضبه ارتجالاً .

و من العلوم : علم تفسير القرآن ، و عنه أخذ ، و منه فرغ ، و إذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك لأن أكثره عنه ، و عن عبد الله بن عباس ، و قد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له ، و انقطاعه إليه ، و أنه تلميذه ، و خريججه ، و

قيل له : أين علمك من علم ابن عمك ؟ فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط .

و من العلوم : علم النحو و العربية ، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه ، وأملى على أبي الأسود الدئلي جوامعه ، وأصوله ، من جملتها : « الكلام كله ثلاثة أشياء : اسم و فعل و حرف » و من جملتها : تقسيم الكلمة إلى معرفة و نكرة ، و تقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم ، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات لأن القوة البشرية لا تنفي بهذا الحصر ، ولا تنهض بهذا الاستنباط ، و إن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية و الدينية وجدته ابن جلاها ، و طلاع ثناياها .
وأما الشجاعة فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ، ومحا اسم من يأتي بعده و مقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة ، و هو الشجاع الذي ما فرق قط ، ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز أحداً إلا قتله ، و لا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى الثانية ، و في الحديث : كانت ضرباته و ترأ ، و لمّا دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما . قال له عمرو : لقد أنصفتك . فقال له معاوية : ما غششتني مذ نصحتني إلا اليوم أتأمرني بمبارزة أبي الحسن ، وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق أراك طمعت في إمارة الشام بعدي ، وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته . فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه بقتلهم قتلهم أظهر و أكثر . قالت أخت عمرو بن عبدود ترثيه :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ❖ بكيته أبداً ما دمت في البلد

لكن قاتله من لا نظير له ❖ و كان يدعى أبوه بيضة البلد

و انتبه معاوية يوماً . فرأى عبدالله بن الزبير جالساً تحت رجله على سريره فقعده فقال له عبد الله يداعبه : لو شئت أن أفتك بك لفعلت . فقال : لقد شجعت بعد نايأ أباب بكر قال : و ما الذي تنكره من شجاعتى و قد وقفت في الصف إزاء علي بن ابيطالب . قال له معاوية : لا جرم أنه قتلك و أباك ييسرى يديه ، و بقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها ، و جملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهى ، و باسمه ينادى في

مشارك الأرض و مغاربها .

و أما القوة والأيد . فبه يضرب المثل فيهما . قال ابن قتيبة في معارفه : ماصارع أحد قط إلا صرعه ، و هو الذي قلع باب خيبر ، واجتمع عليه عصبه من الناس ليقلبوه ولم يقلبوه ، و هو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة ، و كان عظيماً جداً . فألقاه إلى الأرض و هو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته بيده بعد عجز الجيش كلهم عنها . فأنبط الماء من تحتها .

و أما السخاء والجود . فحاله فيه ظاهرة ، و كان يصوم و يطوى و يؤثر بزاده ، و فيه أنزل « و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً و يتيماً و أسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً و لا شكوراً »^(١) و روى المفسرون أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً ، و بدرهم نهاراً ، و بدرهم سرراً ، و بدرهم علانية . فأُنزل فيه « الذين ينفقون أموالهم بالليل و النهار سرراً و علانية »^(٢) ، و روى عنه أنه كان يسقى بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده ، و يتصدق بالأجرة ، و يشد على بطنه حجراً .

و قال الشعبي ، و كان ذكره عليه السلام : كان أسخى الناس كان على الخلق الذي يحبّه الله ، و ما قال : (لا) لسائل قط ، و قال عدوّه و مبغضه الذي يجتهد في عيبه معاوية لمحفن الضبي لما قال له : جئتك من عند أبخل الناس : ويحك كيف تقول : إنه من أبخل الناس ولو ملك بيتاً من تبر ، و بيتاً من تبن لا نفد تبره قبل تبنه ، و هو الذي كان يكس بيوت الأموال و يصلّي فيها ، و هو الذي قال : « يا صفراء و يا بيضاء غري غيري » و هو الذي لم يخلف ميراثاً ، و كانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام .

و أما الحلم و الصفح . فكان أحلم الناس عن ذنب ، و أصفحهم عن مسيء ، و قد ظهر صحته ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم ، و كان أعدى الناس له ،

(١) الانسان : ١٠٠٩ .

(٢) البقرة ٢٧٤ .

وأشدّهم بغضاً فصّح عنه ، وكان عبدالله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد ، وخطب يوم البصرة . فقال : قد آتاكم الوجب اللثيم على بن أبيطالب ، وكان على عليه السلام يقول : ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتى شبّ عبدالله . فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً فصّح عنه وقال له : اذهب فلا أرينك لم يزد على ذلك . فظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة ، وكان له عدوّاً . فأعرض عنه ، ولم يقل له شيئاً .

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره . فلماً ظفر بها أكرمها ، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبدالقيس عمّهم بالعمائم ، وقلّد هن السيوف فلماً كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به ، وتأنّفت وقالت : هتك ستري برجاله ، وجنده الذين وكلهم بى . فلماً وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن ، وقلن لها : إنّما نحن نسوة ، و حاربه أهل البصرة و ضربوا وجهه ، و وجوه أولاده بالسيف و شتموه و لعنوه . فلماً ظفر بهم رفع السيوف عنهم ، و نادى مناديه في أقطار العسكر ألا لا يتبع مولاً ولا يجهز على جريح ، ولا يقتل مستأسر ، و من ألقى سلاحه فهو آمن ، و من تحييز إلى عسكر الإمام فهو آمن ، ولم يأخذ أنقالهم ، ولا سبى ذراريهم ولا غنم شيئاً من أموالهم ، و لو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل ، و لكنّه أبى إلا الصفح والعفو ، و تبع سنة النبي صلى الله عليه وآله يوم فتح مكّة ، فإنّه عفا والأحقاد لم تبرد ، والإساءة لم تنس .

ولماً ملك عسكر معاوية عليه الماء ، وأحاطوا بشريعة الفرات ، وقالت رؤساء الشام له : اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً ، سألهم على عليه السلام وأصحابه أن يسوغوا لهم شرب الماء ، فقالوا : لا والله ولا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان . فلماً رأى عليه السلام أنّه الموت لا محالة تقدّم بأصحابه ، و حمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع سقطت الرؤوس والأيدى ، و ملكوا عليهم الماء ، و صار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم . فقال له أصحابه و شيعته : امنعهم الماء كما منعوك ولا تسقهم منه قطرة و اقتلهم بسيوف العطش ، و خذهم قبضاً بالأيدى . فلا حاجة لك إلى الحرب . فقال : لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم افسحوا لهم عن الشريعة ففى حدّ السيف ما يغنى عن ذلك . فهذه إن نسبتها إلى الحلم ، والصفح فناهيك بها جمالاً وحسناً

وإن نسبتها إلى الدين والورع فاخلق بمثلها أن تصدر عن مثله .
وأما الجهاد في سبيل الله . فمعلوم عند صديقه وعدوه ، أنه سيد المجاهدين ،
و هل الجهاد لأحد من الناس إلا له ؟ وقد عرفت أن أعظم غزاة غزاها النبي صلى الله عليه وآله
وأشدّها نكايه في المشركين بدر الكبرى قتل فيها سبعون من المشركين قتل علي عليه السلام
نصفهم ، و قتل المسلمون والملائكة النصف الآخر . و إذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر
الواقدي ، و تاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري و غيرهما علمت صحة ذلك دع
من قتله في غيرها كأحد ، والخندق ، و غيرهما ، وهذا الفصل ليعني للإطنا ب فيه لأنّه
من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكّة و مصر ونحوهما . إلى أن قال :
و أما سجاحة الأخلاق ، و بشر الوجه ، و طلاقة المحيا . فهو المضروب به المثل
فيه حتى عابه بذلك أعدائه . قال عمرو بن العاص لأهل الشام : إنّه ذو دعابة شديدة
و قال علي عليه السلام في ذلك : « عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن في دعابة ، وأنتي
امرء تلعبه أعافس وأمارس » و عمرو بن العاص إنّما أخذها عن عمر بن الخطاب لقوله
له لما عزم على استخلافه : لله أبوك لولادعابة فيك . إلا أن عمر اقتصر عليها وعمرو زاد
وسمّجها فيها ، وقال صعصعة بن صوحان ، وغيره من أصحابه : كان فينا كأحدنا ابن جانب
و شدة تواضع وسهولة قياد ، و كنانها به مهابة الأسيار المربوط للسياف الواقف على رأسه
و قال معاوية لقيس بن سعد : رحم الله أبا الحسن فلقد كان هشاشاً ذا فكاهة ، و قال له
قيس : نعم كان النبي صلى الله عليه وآله يمزح و يبتسم إلى أصحابه ، و أراك تسرّ حسواً في ارتغاء و
تعيبه بذلك . أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة و الطلاقة أهيب من ذى لبدتين قدمسته
الطوى تلك هيبة التقوى ، و ليس كما يهابك طعام أهل الشام ، و قد بقي هذا الخلق متوارثاً
متناقلاً في محبّته و أوليائه إلى الآن ، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب
الآخر ، و من له أدنى معرفة بأخلاق الناس و عوائدهم يعرف ذلك .
و أما الزهد في الدنيا : فهو سيد الزهاد ، و بدل الأبدال ، و إليه تشدّ الرحال ،
و عنده تنفض الأحلاس . ما شبع من طعام قط ، و كان أخشن الناس مأكلاً و ملبساً . قال
عبد الله بن أبي رافع : دخلت إليه يوم عيد . فقدّم جراباً ممتوماً . فوجدنا فيه خبز شعير

يابساً مرضوضاً . فقدّم فأكل فقلت له : كيف تختمه ؟ قال : خفت هذين الولدين أن يلتآه
بسمن أوزيت ، و كان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة و بليف أخرى و نعلاه من ليف ، و كان
يلبس الكرايبس الغليظ ، فإذا وجد كتمه طويلاً قطعه بشفرة و لم يخطه فكان لا يزال متساقطاً
على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمه له ، و كان يأتدّم إذا اتدّم بخلّ أو بملح .
فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض ، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل
ولا يأكل اللحم إلا قليلاً و يقول : « لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان » و كان مع ذلك
أشدّ الناس قوّة و أعظمهم أيداً ، لم ينقض الجوع قوته ، ولا يخوّر الإقلال منته ، وهو
الذي طلق الدنيا ، و كانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا من الشام فكان
يفرقها و يمزقها ثم يقول :

هذا جنای و خياره فيه ☆ إذكلّ جان يده إلى فيه

و أمّا العبادة . فكان أعبد الناس ، وأكثرهم صلاة و صوماً ، ومنه تعلم الناس صلاة
الليل ، و ملازمة الأوراد و قيام النافلة ، و ما ظنّك برجل بلغ من محافظته على ورده أن
يبسط له نطع بين الصفتين ليلة الهرير ، فيصلى عليه ورده و السهام تقع بين يديه و تمرّ
على صماخيه يميناً و شمالاً . فلا يرتاع لذلك ، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته ، و ما
ظنّك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده ، و أنت إذا تأملت دعواته و مناجاته
و وقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه و إجلاله ، و ما يتضمّنه من الخضوع لهيبته
و الخشوع لعزّته ، و الاستخذاء له عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص ، و فهمت من
أيّ قلب خرجت و على أيّ لسان جرت ، و قيل لعليّ بن الحسين عليه السلام - و كان الغاية
في العبادة - : أين عبادتاك من عبادة جدّك ؟ قال : عبادتي عند عبادة جدّي كعبادة جدّي
عند عبادة النبي صلى الله عليه وآله .

و أمّا القرائة القرآن و الاشتغال به : فهو المنظور إليه في هذا الباب اتفق الكلّ
على أنّه كان يحفظ القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله و لم يكن غيره يحفظه . ثمّ هو أوّل من
جمعه . نقلوا كلهم أنّه تأخّر عن بيعة أبي بكر فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من
أنّه تأخّر مخالفة للبيعة . بل يقولون : تشاغل بجمع القرآن . فهذا يدلّ على أنّه أوّل

من جمع انقرآن ، لأنه لو كان مجموعاً في حياة النبي عليه السلام لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته .

و إذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه كأبي عمرو بن العلاء ، وعاصم بن أبي النجود ، وغيرهما ، لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القارئ ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه ، وعنه أخذ القرآن . فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً مثل كثير مما سبق .

و أما الرأي والتدبير : فكان من أشد الناس رأياً وأصحهم تدبيراً ، وهو الذي أشار على عمر لما عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار . وهو الذي أشار على عثمان بأمر كان صلاحه فيها ، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث ، وإنما قال أعدائه : لا رأي له لأنه كان متقيداً بالشريعة لا يرى خلافاً ، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه ، وقد قال عليه السلام : « لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب » وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوقفه سواء كان مطابقاً للشرع أم لم يكن ، ولا ريب أن من يعمل بما يؤدى إليه اجتهاده ، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه تكون أحواله الدنياوية إلى الانتظام أقرب ، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيا وية إلى الانتثار أقرب .

و أما السياسة : فإنه كان شديد السياسة خشناً في ذات الله لم يراقب ابن عمه في عمل كان ولاد إياه ، ولا راقب أخاه عقيلاً في كلام جبهه به ، وأحرق قوماً بالنار ، ونقض دار مصقلة بن هبيرة ، ودار جرير بن عبد الله البجلي ، وقطع جماعة ، وصلب آخرين . ومن جملة سياسته حروبه في أيام خلافته بالجمال وصفين والنهروان ، وفي أقل القليل منها مفتح ، فإن كل سائس في الدنيا لم يبلغ فتكه و بطشه وانتقامه مبلغ العشر مما فعل عليه السلام في هذه الحروب بيده وأعوانه . فهذه هي خصائص البشر ومزاياهم قد أوضحنا أنه فيها الإمام المتبوع فعله ، والرئيس المقتفي أثره .

و ما أقول في رجل يحببه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة ، وتعظيمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة ، وتصور الملوك الفرنج والروم صورته في بيعها وبيوت عباداتهم

حاملًا سيفه مشمراً لحر به ، وتصوّر ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها كان على سيف عضد الدولة بن بويه ، وسيف أبي بكر الدولة صورته ، وكان على سيف آل بارسلان وابنه ملكشاه صورته كأنهم يتفألون به النصر والظفر .

وما أقول في رجل أحب كل أحد أن يتكثر به ، وود كل أحد أن يتجمل و يتحسن بالانتساب إليه حتى الفتوة التي أحسن ما قيل في حدّها : « أن لا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك » فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه ، وصنفوا في ذلك كتباً ، وجعلوا لذلك إسناداً أنبوه إليه ، وقصروه عليه ، وسموه سيّد الفتيان ، وعضدوا مذهبهم بالبيت المشهور المروى أنه سمع من السماء يوم أحد :

لا سيف إلا ذو الفقار ✽ ولا فتى إلا علي

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيّد البطحاء ، و شيخ قريش ، ورئيس مكة . قالوا : قل أن يسود فقير ، وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له ، وكانت قريش تسميه الشيخ ، وفي حديث عفيف الكندي لما رأى النبي ﷺ يصلي في مبداء الدعوة ، ومعه غلام وامرئة . قال : فقلت للعبّاس : أي شيء هذا ؟ قال : هذا ابن أخي يزعم أنه رسول من الله إلى الناس ، ولم يتبعه على قوله إلا هذا الغلام وهو ابن أخي أيضاً ، وهذه المرئة وهي زوجته قال : فقلت : فما الذي تقولونه أنتم ؟ قال : ننتظر ما يفعل الشيخ - يعنى أبا طالب - وأبو طالب هو الذي كفل النبي ﷺ صغيراً وحماً كبيراً ومنعه من مشركي قريش ، ولقي لأجله عنتاً عظيماً ، وقاسى بلاء شديداً ، وصبر على نصره ، والقيام بأمره وجاء في الخبر أنه لما توفي أبو طالب أوحى إليه ﷺ : « أخرج منها فقد مات ناصرك » وله مع شرب هذه الأبوّة أن ابن عمه سيّد الأولين ، والآخريين ، وأخاه جعفر ذو الجناحين الذي قال له النبي ﷺ : « أشبهت خلقي وخلقى » وزوجته سيّدة نساء العالمين وابنيه سيّدا شباب أهل الجنة فأبائه آباء النبي ﷺ وأمّهات أمّهات النبي ﷺ وهو مسوط بلحمه ودمه لم يفارقه منذ خلق الله آدم إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين : عبد الله وأبي طالب وأمهما واحدة . فكان منهما سيّدا الناس هذا الأول ، وهذا التالي ، وهذا المنذر ، وهذا الهادي .

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى ، و آمن بالله و عبده ، و كل من في الأرض يعبد الحجر . إلى أن قال : وقد قال عليه السلام «أنا الصديق الأكبر ، وأنا الفاروق الأعظم ، أسلمت قبل إسلام الناس ، و صليت قبل صلاتهم » -- إلخ --

و في صناعة أبي هلال العسكري سئل صعصعة عن علي عليه السلام فقال : لم يقل فيه مستزيد لوانه و لامستقر أنه جمع العلم والحلم والسلم و القرابة القريبة و الهجرة القديمة و البصر بالأحكام و البلاء العظيم في الإسلام .

و فيه لما بلغ كلامه عليه السلام في بيان حكمة الله تعالى في خلط لذات الدنيا بآلامها إلى الجاحظ . قال : هو جماع الكلام الذي دوّنه الناس في كتبهم و تحاوروه بينهم فسمع بذلك أبو علي الجبائي . فقال : صدق الجاحظ هذا ما لا يحتمله الزيادة و النقصان . و قال (حد) في كتابه عليه السلام إلى ابن عباس في مقتل محمد بن أبي بكر « فعند الله نحسبه و لداً ناصحاً ، و عاملاً كادحاً ، و سيفاً قاطعاً ، و ركناً دافعاً » : انظر إلى الفصاحة كيف تعطى هذا الرجل قيادها ، و تملكه زمامها ، و أعجب لهذه الألفاظ المنصوبة يتلو بعضها بعضاً كيف تواتيه و تطاوعه سلسلة سهلة تندفق من غير تعسف ، و لا تكلف حتى انتهى إلى آخر الفصل . فقال يوماً واحداً و لا ألتقى بهم أبداً : وأنت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبة جاءت القرائن و الفواصل تارة مرفوعة ، و تارة مجرورة ، و تارة منصوبة . فإن أرادوا سردها بإعراب ظهر منها في التكلف أثر يبين و علامته واضحة و هذا الصنف من البيان أحداً أنواع الإعجاز في القرآن ذكره عبد القاهر . ثم انظر إلى الصفات و الموصوفات في هذا الفصل كيف قال « و لداً ناصحاً ، و عاملاً كادحاً ، و سيفاً قاطعاً ، و ركناً دافعاً » لو قال « و لداً كادحاً ، و عاملاً ناصحاً » و كذلك ما بعده لما كان صواباً ، و لاني الموضع واقعاً ، فبجحان من منح هذا الرجل بهذه المزايا النفيسة ، و الخصائص الشريفة أن يكون غلام من أبناء عرب مكة ينشأ بين أهله لم يخالط الحكماء ، و خرج أعرف بالحكمة ، و دقائق العلوم الإلهية من أفلاطون و أرسطو ، و لم يعاشر أرباب الحكم الخلقية ، و الآداب النفسانية ، لأن قريشاً لم يكن أحد منهم مشهوراً بذلك ، و خرج أعرف بهذا الباب من سقراط ، و لم يرب بين الشجعان لأن أهل مكة كانوا ذوي

تجارة ، ولم يكونوا ذوى حرب ، وخرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض . قيل : لخلف الأحرار إنما أشجع عنبسة وبسطام أم علي بن أبي طالب . فقال : إنما يذكر عنبسة و بسطام مع البشر والناس لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة . فقيل له : فعلى كل حال قال : والله لو صاح علي عليه السلام في وجوهها لماتا قبل أن يحمل عليهما ، وخرج أفصح من سبحان وقس و لم تكن قريش بأفصح العرب كان غيرها أفصح منها . فقالوا : أفصح العرب جرهم وإن لم تكن لهم نباهة ، وخرج أزهدهم الناس في الدنيا وأعفهم مع أن قريشاً ذوو حرص ومحبةً للدنيا ، ولا غرو في من كان عهد عليه السلام مربيته ومخرجه ، والعناية الإلهية تمدّه و ترفده أن يكون منه ما كان .

وَ أَنَّهُ عليه السلام انْفَرَدَ بِبُلُوغِ غَايَتِهَا .

أي غاية فضيلة النطق .

عَنْ جَمِيعٍ .

متعلق بقوله : انفرد .

السَّلَفِ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ إِنَّمَا يَقْوَرُ .

أي يروى .

عَنْهُمْ مِنْهَا .

أي من تلك الفضيلة .

الْقَلِيلِ النَّادِرِ وَالشَّادِ .

والأصل في معنى الشاذ : التفرق .

الشَّارِدُ .

يقال : بعير شارد ، ويأتي في الكلام استعارة . قال الشاعر :

شروء إذا الراون حلوا عقالها ❖ محجلة فيها كلام محجل

قال (حد) عند شرح قوله عليه السلام في صفة الملائكة « ثم خلق سبحانه لا يسكن سماواته »: هذا موضع المثل « إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل » إذا جاء هذا الكلام الرباني ، واللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب ، وكانت نسبة الفصيح من كلام العرب إلى كلامه نسبة التراب إلى النضار الخالص ، ولو فرضنا أن العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الألفاظ من أين لهم هذه المادة التي عيَّرت هذه الألفاظ عنها ؟ و من أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون للنبي هذه المعاني الغامضة ليتبيهاً لهم التعبير عنها ؟ أما الجاهلية فإنهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أوفرس أو حمار وحش أو ثور فلاة أو صفة جبال أوفلوات ، ونحو ذلك ، وأما الصحابة فالمدكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة إنما في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا أو ما يتعلق بحرب ، و قتال من ترغيب أو ترهيب . فأما الكلام في الملائكة ، وصفاتها ، و عبادتها ، و تسبيحها ، و معرفتها بخالقها ، و حبها له ، و ولها إليه ، و ما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله . فإنه لم يكن عندهم معروفاً بهذا التفصيل نعم ربما علموا جملة غير مقسمة هذا التقسيم ، ولا مرتبة بهذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم ، وأما من عنده من هذه المادة كعبدالله بن سلام و أمية بن أبي الصلت ، و غيرهما . فلم تكن لهم هذه العبارة ، ولا قدر و اعلى هذه الفصاحة . فثبت أن هذه الأمور الدقيقة لم تحصل إلا لعلي عليه السلام وحده .

و قال أيضاً في شرح كلامه عليه السلام في صفة الاحتضار و سقوط الناطقة ثم السامعة ثم الباصرة: هذا موضع المثل « في كل شجرة هار ، و استمجد المرخ و العفار » الخطب الوعظية الحسان كثيرة ، ولكن هذا حديث يأكل الأحاديث . فإن نسبة هذه الخطبة إلى كل فصيح من الكلام عدا كلام الله تعالى و رسوله نسبة الكواكب المنيرة الفلكية إلى الحجارة الأرضية المظلمة . ثم لينظر الناظر إلى ما عليها من البهاء و الجلالة ، و الرواء و الديباجة ، و ما تحده من الروعة و الرهبة ، و المخافة و الخشية حتى لو تليت على زنديق ملحد مصمم على اعتقاد نفي البعث و النشور لهدت قواه ، و رعب قلبه ، و اصعقت على نفسه ، و زلزلت اعتقاده - فجزي الله قائلها عن الإسلام أفضل ما جزي

به ولياً من أوليائه - فما أبلغ نصرته له تارة بيده و سيفه ، و تارة بلسانه و نطقه ، و تارة بقلبه و فكره . إن قيل : جهاد و حرب ، فهو سيد المجاهدين ، و إن قيل : وعظ و تذكير . فهو أبلغ الواعظين و المذكرين ، و إن قيل : فقه و تفسير فهو رئيس الفقهاء و المفسرين ، و إن قيل : عدل و توحيد فهو إمام العدل و الموحدين .

ليس من الله بمستنكر

أن يجمع العالم في واحد

وَأَمَّا كَلَامُهُ **لِلْبَحْرِ** فَهُوَ مِنَ الْبَحْرِ .

هكذا في المصرية و الصواب : البحر بدون من كما في (حد ، و ثم ، و الخطية) .

الَّذِي لَا يُسَاجَلُ .

هكذا في المصرية بالجيم ، و الصواب : لا يساحل بالحاء . فلا ربط للمساجلة ، و هي المباراة في الاستقاء من البئر هنا ، و إنما هو من ساحل فلان : إذا أتى الساحل و المراد أن كلامه **لِلْبَحْرِ** بحر لا ساحل له .

وَالْجَمِّ .

أى المجتمع من استجم البئر : إذا تركها حتى يجتمع مائها .

الَّذِي لَا يُحَافَلُ .

أى لا يظهر فيه نقصان من : حفل الشاة : إذا جمع اللبن في ضرعها ليرى فيه لبن كثير ، و ليس كذلك ، و نهى عن بيع المحفلة . قال البحرى في وصف كلام :

في نظام من البلاغة ما شك امرء أنه نظام فريد

و بديع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الحديد

مشرق في جوانب السمع ما يخلفه عوده على المستعيد

حجيج تخرس الألد بالفاظ فرادى كالجواهر المعدود

و معان لو فصلتها القوافي

مجتت شعـر جرول و لبـيد

وَأَرَدْتُ أَنْ يَسُوغَ .

أى يجوز ، والأصل فيه : سوغ الطعام والشراب من الحلق .
لِي التَّمَثُّلُ فِي الْإِفْتِخَارِ بِهِ ﷺ بِقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

و هو همام بن غالب بن صعصعة من بني تميم مخاطباً لجرير .

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ * إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرَ الْمَجَامِعِ

و جرير من كليب بن يربوع كان بينهما التفاخر والمهاجاة مدة حيوتهما ، و كان يتعصب لكل منهما طائفة حتى يقع بينهم التشاجر ، و لم يكن لجرير بيت ، وكان أبوه خاملاً ، وأما بنو تميم بيت الفرزدق ، فكانوا معروفين في الجاهلية والإسلام كان صعصعة جده اشترى في الجاهلية ثلاثين مؤودة وأنجاهن من الموت ، و فرق أبوه غالب إبلان له كثيراً في حمالات الناس في الإسلام ، و كان الفرزدق جعل على نفسه أن يجير كل من استجار بقبر أبيه ، و يسعى في نجح حاجته ، و قصة جيش او خنيس في ذلك معروفة ، و لسائر آباءه و عشيرته مكارم أثبتها لهم التاريخ ، والبيت من قصيدة يفاخر جريراً بآبائه ، والإشارة في قوله : « أولئك » في البيت إلى الذين عدّهم في أبيات قبل البيت ، و ذكر مكارمهم ، و هي :

ومنا الذي اختير الرجال سماحة * وجود إذا هب الرياح الزعازع

ومنا الذي أحبى الوئيد وغالب * وعمرو و منا حاجب والأقارع

و نظيره شعره هذا : أولئك آبائي شعر آخر له :

أولئك أحلاسى فجئنى بمثلهم * و اعبد أن اهجو كليياً بدارم

و له قصيدة أخرى يفاخره أيضاً فيها بآبائه ، و هي :

فإن قلت كلباً من كليب فإني * من الدراميين الطوال الشقاشق

هم الداخولون البيت لا تدخلونه * على الملك والحامون عند الحقائق

هذا و قال (خو) بعد نقل قول المصنّف : وأردت أن يسوغ لي التمثل في

الافتخار به ﷺ بقول الفرزدق : أولئك - البيت - : وأنا أيضاً أتمثل بذلك ، وأفتخر

به كالرضى* لكوننا فرع أصل واحد .

قلت : إن الرضى* - رضوان الله عليه - لم يرد الافتخار به ﷺ بانتسابه إليه ، وكونه علويّاً لأنه ليس كلامه في قبال رجل غير علوي* بل أراد الافتخار به ﷺ بايتمامه به في قبال العامة المؤمنين بأولئك الثلاثة بأنه هل الإمام من يكون له مثل هذه المناقب أو من يكون له تلك المثالب ، و من يكون له مثل هذه الفصاحة الخارجة عن طوق البشر أو من عجز عن التكلم بكلمات يسيرة ؟ قال أبو عبيدة : قال عمر : ما تصعدتني خطبة كما تصعدتني خطبة النكاح ، وقال الجاحظ في بيانه : سعد عثمان المنبر فارتج عليه . فقال : إن أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذه المقام مقالاً ، وأتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب ، وستأتكم الخطبة على وجهها .

قلت : وحيث إن عثمان - وهو ذو نوريهم - لم يقدر على خطابة مختصرة ، و اعتذر باحتياج الناس إلى عدل الإمام لا خطابته لئنه وفي لهم ، و لم يعمل من الجور ما يفسد الناس إلى قتله ، وحينئذٍ فتمثّل الرضى* - رحمه الله - في معنى قوله تعالى مشيراً إلى قضية العقول « أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون »^(١) وحينئذٍ فيمكن أن يتمثّل به كل إمامي* و شيعه فكل إمامي علوي* وكان مصطلحاً « فلان علوي ، و فلان عثمانى » يريدون بالأول إمامي* و بالثاني المخالف . مع أن للرضى* - ره - خصوصية في انتسابه إليه ﷺ ، و هي كون انتسابه إليه ﷺ من قبل الأب والأم مع قلة الوسائط . فأبوه : الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم ﷺ ، و أمّه فاطمة بنت الحسن الناصر الصغير ، ابن أحمد بن الحسن الناصر الكبير ، ابن علي بن الحسين بن علي بن عمر الأشرف ابن علي السجّاد ﷺ كما ذكر ذلك أخوه المرتضى في أوّل ناصرياته .

و أمّا قول (حد) : أمّه فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف . فوهم . فأهل البيت أدري بما في البيت .

وقد مدح أبو اسحاق الصابى الرضى في نسبه العالى ، وشرفه النفسى في قبال حاسديه ، و معارضيه بقوله :

ألا أبلغا فرعاً نمته عروقه	☆	إلى كلّ سام للمفاخر بان
محمد المحمود من آل أحمد	☆	أبا كلّ بكر في العلي وعوان
أباحسن قطعاً أحشاء حاسد	☆	طواها على البغضاء والشنآن
يراك بحيث النجم تصدع قلبه	☆	بحدّ لسان أو بحدّ سنان
جرى جاهداً والعفومناك يفوته	☆	فكان هجيناً طالباً لهجان
وأنت سماء في الذؤابة صاعد	☆	وذاك حضيض في القرارة عان

و مراده بمحمد المحمود : الرضى كما أنه هو المراد بقوله : أبا حسن .
و رَأَيْتُ كَلَامَهُ ﷺ يَدُورُ عَلَيَّ أَقْطَابِ .

والأصل في القطب : قطب الرحى .
ثَلَاثَةٌ : أَوْلَاهَا الْخَطْبُ وَالْأَوَامِرُ .

والنواهي .

و ثَانِيهَا : الْكُتُبُ وَالرَّسَائِلُ .

والرسائل أعم من الكتب . فيمكن أن تكون الرسائل برسل يؤدّون المطالب شفاها .

و ثَالِثُهَا : الْحِكْمُ وَالْمَوَاعِظُ .

التي لم تكن في خطبة أو كتاب ورسالة ، وبالقييد يكون الثالث قسيماً للآولين وإلا ففي الخطب و الكتب أيضاً حكم و مواعظ كثيرة ، وقد ذكرنا في أكثر عناوين الأبواب الثلاثة مدارك و أسانيد لكونها كلامه ﷺ . فإنكار النصاب لكون النهج كلامه ﷺ غير مسموع في قبال البيئنة مع أن كثيراً منه بل جلّه يصحّح منته وسنده لا سيما الشقشقية التي أنكروها خصوصاً .

وقال (حد) عند قوله عليه السلام « و اعلموا أنه ليس لهذه الجلد الرقيق صبر على النار » ١٧٨ : إن كثيراً من أرباب الهوى يقولون : إن كثيراً من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة . قال وربما عزوا بعضه إلى الرضى وغيره قال : وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضاوا عن النهج الواضح ، وركبوا بنيات الطريق ضللاً ، وقلّة معرفة بأساليب الكلام . قال وإنا أو ضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط . فأقول : لا يخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً أو بعضه والأول باطل بالضرورة لأننا لا نعلم بالتواتر صحة نسبة بعضه إليه عليه السلام ، وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم ، والمورخون كثيراً منه ، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك ، والثاني يدل على ما قلناه لأن من أنس بالكلام والخطابة ، وشدا طرفاً من علم البيان ، وصار له ذوق في هذا الباب لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح وبين الفصيح والأفصح ، وبين الأصيل والمولود ، وإذا وقف على كراس واحد يتضمّن كلاماً لجماعة من البلغاء أو لاثنتين منهم فقط ، فلا بد أن يفرق بين الكلامين ويميز بين الطريقتين . ألا ترى أن جامع معرفتنا بالشعر ونقدته لو تصفحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونفسه وطريقته ومذهبه في القريض . ألا ترى أن العلماء حذفوا من شعر أبي نواس شيئاً كثيراً لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه ، ولا من شعره ، وكذلك من غيرهما من الشعراء ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصّة ، وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماءً واحداً ، ونفساً واحداً ، وأسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية ، وكالقرآن العزيز أو له كأوسطه ، وأوسطه كأخيه وكل سورة منه ، وكل آية مماثلة في المآخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور ، ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً ، وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك . فقد ظهر بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول إليه عليه السلام .

قلت : وما ذكره في غاية الجودة لكن يستثنى منه ما أشرنا إليه في أول الكتاب

فليحذف كما حذف من شعر أبي تمام و أبي نواس بالقاعدة التي ذكرناها ، وقد برهننا على ما قلنا عند شرح عناوين ما ذكرنا . ثم إن إخواننا جاوزوا الحد في الحط من قدره عليه السلام اقتداء بسلفهم . فتارة أنكروا بعض كلامه كونه منه كالتشقيقة ، وغيرها ، وأخرى نسبوا كلامه عليه السلام إلى غيره فنسبوا كلامه عليه السلام « أيتها الناس قد أصبحنا في دهر عنود » [١٣١ - ١] إلى معاوية كل ذلك إرادة لإطفاء نوره عليه السلام ، و ياأبي الله إلا أن يتم نوره .

فَاجْمَعْتُ .

أى عزمت .

بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِبْتِدَاءِ بِاخْتِيَارِ مَحَاسِنِ الْخُطَبِ . ثُمَّ مَحَاسِنِ الْكُتُبِ . ثُمَّ مَحَاسِنِ الْحِكْمِ وَالْأَدَبِ .

لا كل خطبة و كتاب و كلام له عليه السلام .

مُفْرَدًا لِكُلِّ صِنْفٍ مِنْ ذَلِكَ .

الذي ذكر من الخطب و الكتب و الأدب .

بَابًا .

و تعبيره في الأبواب الثلاثة مختلف . ففي الأول يقول : ومن خطبة له عليه السلام ، أو ومن كلام له عليه السلام ، وفي الثاني في الأغلب يقول : ومن كتاب له عليه السلام ، وقد يقول : ومن وصية له عليه السلام كما في [١١ و ١٢ و ١٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٣١ و ٤٧ و ٥٦ و ٧٦ و ٧٧] و قال في [٧٤] : و من حلف له عليه السلام كتبه بين اليمين و ربعة ، و قد يقول : و من عهد له عليه السلام كما في [٢٦ و ٢٧] و قد يقول : و كان عليه السلام يقول . كما في [١٥ و ١٦] و في الثالث يقول : « قال عليه السلام . لكن الغريب أنه قال في [٥٨ - ١] : و قال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج و قال بعده : و قال عليه السلام لما قتل الخوارج ، و قال بعده : قال عليه السلام لا تقتلوا الخوارج ، بعدى . مع أن عنوانها عنوان الباب الأخير كما أن كلامها قصير .

فكان الواجب نقلها في الأخير . اللهم إلا أن يقال : بأنها ليست عناوين مستقلة بل كلها عطف على قوله قبلها : و من كلام له عليه السلام كلم به الخوارج .

وقال في [١ - ٤٧] : وقال عليه السلام في سحرة اليوم الذى ضرب فيه . مع أنه كان الواجب جعله في الثالث ، ولا يأتي فيه تأويل ذكر لسابقه .

و مَفْصَلًا .

وفي (حد ، والخطية) و مفضلاً بالمعجمة .

فيه أَوْ رَاقًا لِتَكُونَ .

الأوراق .

مُقَدِّمَةً .

هكذا في المصرية ، والكلمة زائدة لعدم وجودها في (حد ، و ثم) .

لَا سِتْدْرَاكَ مَا عَسَاهُ .

أى لعله .

يَشُدُّ .

أى يتفرق .

عَنِّي .

وقد شدت عنه كلام كثير منه عليه السلام مما يدخل في موضوع كتابه مما له مزيد بلاغة

في الأبواب الثلاثة ، ولا سيما في الأول والأخير .

عَاجِلًا .

أى في الحال .

و يَقَعُ إِلَيَّ آجِلًا .

أي بعد ، وقد عرفت من (حد ، و ثم) أن المصنّف ختم الكتاب بعنوان :
رب مقتون [٣ - ٤٦٢] ثم ألحق به ثمانية عشر عنواناً ، وعرفت من الراوندى أنه
زاد في أول [٢٣٤ و ٢٣٥] .

وَ إِذَا جَاءَ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ الْخَارِجِ فِي أَثْنَاءِ .

جمع ثنى بالكسر .

حوار .

مصدر حاور كالمحاورة مثل نقله رده عليه اعتراض الأشعث عليه في أثناء خطبته .

أَوْ جَوَابِ سُؤَالٍ .

كنقله كلامه عليه السلام في جواب من سأله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام ، و

أنتم أحقّ به .

أَوْ غَرَضٍ .

أي مقصد .

آخِرَ مِنَ الْأَغْرَاضِ .

كنقله كلامه عليه السلام في هرب مصقلة ، و في عدم غناء بيعة مروان بكفه ، و في

إشارته عليه السلام على عمر بعدم خروجه بنفسه في حرب الفرس ، و كذا الروم .

فِي غَيْرِ الْأَنْحَاءِ .

أي الأقسام .

الَّتِي ذَكَرْتَهَا ، وَ قَرَّرْتُ الْقَاعِدَةَ عَلَيْهَا .

من الخطب والأوامر ، والكتب والرسائل ، والحكم والمواعظ .

نَسَبْتُهَا إِلَى أَلْيَقِ الْأَبْوَابِ بِهِ .

في مقصده .

وَأَشَدُّهَا مَأْمُوحَةً .

يقال : ملح البرق : إذا ملح من بعيد .

لغرضه .

فنقل جميع ما مرّ في الباب الأوّل لكون كلامه عليه السلام فيها كالخطب والأوامر كما نقل وصيته عليه السلام لجيشه ووصاياهم عليهم السلام في أمواله ، ووصيته عليه السلام بعد ضرب بن ملجم له عليه السلام ، ووصيته عليه السلام لابنه ، ووصيته لابن عباس لما ولّاه ، ووصيته عليه السلام له لما بعثه إلى الخوارج ، ونحوها في الباب الثاني لكونها كالكتب والرسائل ، كما نقل غريب كلماته عليه السلام في الباب الثالث لكونها كالحكم والأدب لكنّه قد يخرج عما قرّر . فنقل تحريضاً له عليه السلام لأصحابه في الثاني مع أنّه بالأوّل أليق ، وقد نقل تحريضاً آخر له عليه السلام في الأوّل على أصله ، ونقل كلامه عليه السلام في معنى الأتصار في السقيفة في الأوّل مع أنّه بالثالث أليق ، ونقل كلاماً آخر له عليه السلام في المعنى في الثالث على أصله . وأما نقله أدعيته عليه السلام في الأبواب الثلاثة . فلكون نسبتها إليها على السواء ، وإن كان نقل جميعها في الثالث ، أولى حيث إنّهُ أعمّ لأنّه قال فيه : ويدخل فيه الكلام القصير الخارج في سائر أغراضه بخلاف الأوّلين . هذا .

وقال (حد) في أوّل الباب الثاني بعد نقل كلام المصنّف : باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السلام قد أورد المصنّف في هذا الباب ما هو بالباب الأوّل أشبهه نحو كلامه عليه السلام لشريح القاضي لما اشترى داراً ، ونحو كلامه عليه السلام لشريح بن هاني لما جعله على مقدّمته إلى الشام ، لكنّه اعترض ساقطاً أمّا كلامه عليه السلام لشريح القاضي . فقال : ومن كتاب له عليه السلام لشريح ، فكيف ينقله في الخطب ، ولو لا كونه كتاباً وإن كان كتاب شراء دار لكان بالباب الأخير أشبه لأنّه في الحكم والمواعظ ، وأمّا كلامه عليه السلام لشريح بن هاني . فعنوان المصنّف له : ومن وصيّة له عليه السلام وصّى بها شريح بن هاني ، وقد قال في أوّل الباب الثاني : ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله ووصاياهم

لأهله وأصحابه . فهل هو إلا من عهدده ﷺ إلى عماله ، وإن شئت قلت : هو من وصاياه إلى أصحابه ، و مفسد قلّة التدبّر كثيرة .

وَ رُبَّمَا جَاءَ فِي مَا اخْتَارَهُ مِنْ ذَلِكَ .

في الأبواب الثلاثة من كلامه .

فُصُولٌ غَيْرٌ مَتَّسِقَةٌ .

الثالث مع الثاني ، والثاني مع الأوّل .

وَ مَحَاسِنٌ كَلِمٌ غَيْرٌ مَنْتَظِمَةٌ .

في مقصد واحد .

لِأَنِّي أوردُ النُّكْتَ .

جمع النكته ، والأصل في النكت أن تنكت في الأرض بقضيب و نحوه : أي

تضرب فتؤثر فيها .

وَاللِّمْعَ .

جمع اللمعة ، والأصل فيها قطعة من النبات إذا أخذت في اليبس .

وَلَا أَقْصِدُ التَّتَالِيَّ وَالنَّسْقَ .

والأصل في النسق الاستواء ، والمصنّف وإن كان يختار فصولاً غير متّسقة ، و

محاسن كلم غير منتظمة إلا أنه ينبّه على عدم اتساقها وانظامها بقوله : منها - ومنها -

و- منه - و- ومنه - كقوله في أوّل الباب الأوّل : منها في ذكر الحج ، وفي ثانية : ومنها يعني

آل النبي ﷺ ، وأتى بلفظة «ومنها» في [١٠٠-١] وفي [٨١-١] وفي خطبة «فاتعظوا عبادالله»

وفي خطبة الأشباح ، وفي خطبة «فتبارك الله» وفي خطبة «انظروا إلى الدنيا» وفي

خطبة «الحمد لله الذي شرع في الإسلام» ، وفي خطبة الملاحم ، وفي خطبة «كل شيء

خاضع له» وفي خطبة «أرسله داعياً إلى الحق» وفي «ومن كلام له ﷺ في ساعة

الحرب» و في خطبة ملاحم البصرة ، و في خطبة « نحمده على ما أخذ و أعطى » و في كلامه عليه السلام « و انقادت له الدنيا والآخرة » و في كلام له عليه السلام في معنى طلحة والزبير و في خطبة « و أستعينه » ، و في خطبة « الحمد لله الدال على وجوده » و في خطبة « و ناظر قلب اللبيب » و في كلام في الملاحم ، و في خطبتي « أرسله على حين فترة ، أرسله داعياً » و في خطبة « أمره قضاء و حكمه » في بعضها مرة ، و في بعضها مرتين ، و في بعضها ثلاث .

و كقوله في الباب الثاني في [٦] منه ، و في [٢٤] منها ، و في [٢٧] و منه ، و في [٣٥] و من هذا الكتاب ، و في [٦٢] و منه ،

و حمل كلامه على أن مراده أنه قد يسرد خطبة أو كتاباً ، و يكون فيها فقرات غير متسقة كما فهمه (حد) فيقول في مطاوى كتابه كثيراً : إن كلام الرضى ملتقط من فصول مختلفة . بعيد حيث إنه خارج عن أصل المقصود من الاستفادة ، و غاية ما وقفنا عليه مثل خلطه بين كلامه عليه السلام في خريت الناجى و أصحابه من قوله « آمنوا ففطنوا » و بين كتابه عليه السلام فيهم من قوله : « فحسبهم بخروجهم » إلا أنه ككلام واحد .

و أما ما ترى من اختلاف ما نقل مع ما وقفنا عليه من أصول كلامه . فالظاهر كونه من اختلاف الروايات . مثلاً قوله عليه السلام في [١ - ٣٢] في عنوان كلامه عليه السلام بعد إرسال جرير إلى معاوية « و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه » - إلخ - وجدته قاله أيام صفين ، و قوله عليه السلام فيه أيضاً « أنه قد كان على الناس وال فأحدث إحداثاً » وجدته في كتابه عليه السلام إلى أهل مصر . إلى غير ذلك مما ستقف عليه في مطاوى الكتاب - إن شاء الله تعالى - ، و بالجملة قد ينقل المصنف كلاماً في موضوع وردت أجزاءه في أخبار . فيجعلها واحداً بجامعها . فكلامه عليه السلام في [١٢٠ - ١] مأخوذ من ست روايات إلا أنها كلها في التحريض على القتال ، وكذلك كلامه عليه السلام في [١٢١ - ١] في التحكيم مأخوذ من ثلاث روايات .

وَمِنْ عَجَائِبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي أَنْفَرَدَ بِهَا، وَأَمِنَ الْمَشَارَكَةَ فِيهَا أَنْ كَلَامَهُ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ الْوَارِدُ فِي الزُّهْدِ، وَالْمَوَاعِظِ، وَالتَّذْكِيرِ وَالزَّوْجِرِ إِذَا تَأَمَّلَهُ
 الْمُتَأَمِّلُ، وَفَكَرَّ فِيهِ الْمُتَفَكِّرُ، وَخَلَعَ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ كَلَامٌ مِثْلَهُ مِمَّنْ عَظَّمَ قَدْرَهُ
 وَنَفَذَ أَمْرَهُ وَأَحَاطَ بِالرَّقَابِ مَلِكُهُ. لَمْ يَعْتَرِضْهُ الشَّكُّ فِي أَنَّهُ كَلَامٌ
 مَنْ لَا حَظَّ لَهُ فِي غَيْرِ الزَّهَادَةِ. وَلَا شُغْلَ لَهُ بِغَيْرِ الْعِبَادَةِ.

قد تعجب الثعالبي من أبي سهل الحمدوني الذي كان والى الرى ، وقال أبياتاً
 يسيرة في الزهد ، فكيف لا يتعجب منه عليه السلام مع ما وصف .

قَدْ قَبِعَ .

والأصل فيه : قبع القنفذ : أدخل رأسه في جسده .

فِي كَسْرٍ .

بالكسر عن ابن السكيت . الكسر : أسفل شقمة البيت التي تلى الأرض من حيث
 يكسر جانباه عن يمينك و يسارك .

بَيْتٍ .

أَي خَبَاءٍ .

أَوْ انْقَطَعَ .

عَنِ النَّاسِ .

فِي .

هكذا في المصرية ، والصواب ما في (حد ، و ثم ، والخطيئة) : إلى .

سَفَّحَ .

أى أسفل .

جَبَلٍ لَا يَسْمَعُ الْأَحْسَهُ .

أى صوته الخفى .

وَلَا يَرَى الْأَنْفُسَهُ .

كسقراط الحكيم . ففي أخبار حكماء القفطى : يعرف سقراط بسقراط الحب لأنه سكن حباً مدة عمره ، و لم ينزل بيتاً ، وكان يشتمل بكساء ، ولم يتخذ لنفسه غيره ، قتله ملك زمانه إذ زجره عن القبائح والفحشاء . قال له الملك : أنت لى عبد . قال : بل أنت عبد لعبدى . قال : كيف ؟ قال : لأننى رجل أملك شهوتى ، وملكك شهوتك .

وَلَا يَكَادُ يُوقِنُ بِأَنَّهُ كَلَامٌ مِّنْ يَنْغَمَسُ .

أى يرتمس .

فِي الْحَرْبِ مُصْلِتًا .

من أصلت سيفه: جرده من غمده .

سَيْفُهُ فَيَقْطُ .

أى يقطع عرضاً من قطّ القلم ، و يقال: قطّ البيطار الحافر: إذا نحتّه .

الرِّقَابَ وَ يَجَدُّ .

أى يلقى على الجدالة ، و هى الأرض .

الْأَبْطَالَ .

جمع البطل بفتحين : أى الشجعان ، وفي صفين نصر بن مزاحم: برز عروة الدمشقى لما دعا أمير المؤمنين عليه السلام معاوية إلى المبارزة . فأبى معاوية . فقال له عروة : إن كان معاوية كره مبارزتك فهلهم إلي . فتقدم عليه السلام إليه . فقال له أصحابه : ذر هذا الكلب

فإنه ليس لك بخطر . فقال عليه السلام : « والله ما معاوية اليوم بأغيظ لي منه دعوني وإيأاه »
ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين سقطت إحداها يمنة و الأخرى يسرة ، فارتج
العسكران لهول الضربة . ثم قال عليه السلام : يا عروة اذهب فاخبر قومك أما والذي بعث
محمداً بالحق لقد عاينت النار ، و أصبحت من النادمين .

و يعود به .

أي بسيفه .

ينطف .

أي يسيل .

دماء و يقطر مهجاً .

جمع مهجة : دم القلب والروح ، و كونه عليه السلام كذلك من الواضحات ، و قد
كانوا سموه قتال العرب ، و كان عليه السلام يقول : « والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما
وليت عنها ، و لو أمكنت القرص من رقابها لسارعت إليها ، و كان عليه السلام يقول « ما
لقت رجلاً إلا أعانني على نفسه » أي انخلع قلبه ، و انقطعت مريته من هيئته عليه السلام .
و في الطبري عن أبي لبيد قال : قتل علي من يوم الجمل ألفين و خمسمائة ألف
والشمس هيئنا - أي في بعض يوم - و فيه عن ابن أبي يعقوب قال : قتل علي بن أبي-
طالب عليه السلام يوم الجمل ألفين و خمسمائة : أي من القبائل ألف و ثلاثمائة ، و خمسون من
الأزد ، و ثمانمائة من بنى ضبة ، و ثلاثمائة و خمسون من سائر الناس .

و في صفين نصر عن جابر بن نمير الأنصاري : لا والذي بعث محمداً عليه السلام نبياً
ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب
علي عليه السلام أنه قتل في ما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب يخرج بسيفه
منحنياً . فيقول معذرة إلى الله - عز وجل - : و إليكم من هذا لقد هممت أن أفلقه ،
و لكن حجرتني عنه إنني سمعت النبي عليه السلام يقول كثيراً : « لا سيف إلا ذوالفقار ، و

لافتى إلا على ، و أنا أقاتل به دونه ، قال : فكنتا نأخذه فنقومه . ثم يتناوله من أيدينا فيتقحم به في عرض الصف . فلا والله ما ليث بأشد نكاية منه ﷺ في عدوه .

وَ هُوَ مَعَ تَلْكَ الْحَالِ .

من التصدي للقتال ، وقتل الأبطال .

زَاهِدُ الزُّهَادِ .

فقد طلق ﷺ الدنيا ثلاثاً وقال لها : « غرى غيرى » و كان يقول : « مالعى و لنعيم يفنى ، و لذّة لا تبقى » و كان ﷺ يقول : « دنياكم عندى أهون من عطفة عنز » و كان ﷺ ينام على التراب حتى كناه النبي ﷺ بأبي تراب ، و كان أحب كناه إليه ﷺ ، و تضاد روحيات من له تلك الحالة في الحرب ، و من كان بهذه الدرجة من الزهد معلوم .

و قال (حد) عند قوله ﷺ : « سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سلطت عليهم الأرض فأكلت من لحومهم ، و شربت من دمائهم » : إنني لأطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطباع النمرور والأسود ، وأمثالهما من السباع الضارية . ثم يخطب في ذلك الموضوع بعينه إذا أراد الموعدة بكلام يدل على أن طبعه مشاكل لطباع الرهبان لابسى المسوح الذين لم يأكلوا لحماً ، ولم يريقوا دماً . فتارة يكون في صورة بسطام بن قيس الشيباني ، و عتيبة بن الحرث اليربوعي ، و عامر بن الطفيل العامري ، و تارة يكون في صورة سقراط الحبر اليوناني ، و يوحنا المعمدان الإسرائيلي ، و المسيح بن مريم الإلهي ، و أقسم بمن تقسم الأمم كلها به . لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة إلى الآن أكثر من ألف مرة ما قرأتها قط إلا و أحدثت عندى روعة ، و خوفاً و عظة ، و أثرت في قلبي وجيباً ، و في أعضائي رعدة ، و لا تأملتها إلا و ذكرت الموتى من أهلى وأقاربي ، و أرباب ودي ، و خيملت في نفسى أنني ذلك الشخص الذي وصف ﷺ حاله .

وَبَدَلِ الْأَبْدَالِ .

أَيُّ وَلِيِّ الْأَوْلِيَاءِ ، وَفِي اللِّسَانِ : وَالْأَبْدَالُ : قَوْمٌ مِنَ الصَّالِحِينَ بِهِمْ يَقِيمُ اللَّهُ الْأَرْضَ أَرْبَعُونَ فِي الشَّامِ ، وَثَلَاثُونَ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ لَا يَمُوتُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ مَكَانَهُ آخَرَ ، فَلِذَلِكَ سَمَّوْا أَبْدَالًا وَاحِدَهُ بَدِيلٌ وَبَدَلٌ . وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ : بَدِيلٌ ، وَرَوَى ابْنُ شَمِيلٍ بِسُنْدِهِ حَدِيثًا عَنْ عَلِيٍّ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - قَالَ : الْأَبْدَالُ بِالشَّامِ ، وَ النَّجْبَاءُ بِمِصْرَ ، وَالْعَصَائِبُ بِالْعِرَاقِ . قَالَ ابْنُ شَمِيلٍ : الْأَبْدَالُ خِيَارٌ بَدَلٌ مِنْ خِيَارٍ ، وَالْعَصَائِبُ عَصَبَةٌ وَعَصَائِبُ يَجْتَمِعُونَ فَيَكُونُ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ إِلَى أَنْ قَالَ : قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : الْأَبْدَالُ جَمْعُ بَدَلٍ وَبَدَلٌ ، وَجَمْعُ بَدِيلٍ بَدِيلِي .

قلت : وَأُظْنُ أَنْ الْأَصْلَ فِي اصطلاح الأبدال الصوفية وضعوه لمشاغبتهم ، وفي حديثه الأموية ، وَإِلَّا فَأَهْلُ الشَّامِ كَانُوا أَطْوَعَ النَّاسِ لِلْمَخْلُوقِ ، وَأَعْصَاهُمْ لِلْخَالِقِ ، وَالْأَرْضُ لَا تَخْلُوا مِنْ حِجَّةٍ مِنْذُ خَلَقَ النَّاسُ نَبِيًّا أَوْ إِمَامًا ، وَكَيْفَ كَانَ فَعَلَى قَوْلِ ابْنِ دَرِيدٍ قَوْلِ الْمُصَنِّفِ : وَبَدَلٌ الْأَبْدَالُ غَيْرُ صَحِيحٍ لَكِنْ قَوْلُ ابْنِ دَرِيدٍ لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، وَالصَّوَابُ قَوْلُ ابْنِ السَّكَيْتِ فِي وَاحِدِ الْأَبْدَالِ .

وَ هَذِهِ مِنْ فَضَائِلِهِ الْعَجَبِيَّةِ ، وَ خَصَائِصِهِ اللَّطِيفَةِ الَّتِي جَمَعَ بِهَا
بَيْنَ الْأَضْدَادِ .

التي تكون في غيره من المحالات .

وَمَا قَالَهُ الْمُصَنِّفُ مِنْ جَمْعِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ الْأَضْدَادِ أَثْبَتَهُ لَهُ الْقُرْآنُ أَوْ لَا فِي قَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ - «أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ»^(١) ، ثُمَّ نَفْسُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَانِيًا فِي كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حَنِيفٍ بَعْدَ ذِكْرِهِ كَوْنَ حَصْرِ قُوْتِهِ فِي قَرْصِينَ لَا يَنَا فِي كَوْنَ قُوْتِهِ قُوْتَهُ تَقَابُلِ جَمِيعِ النَّاسِ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَ كَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ : إِذَا كَانَ هَذَا قُوْتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ

فقد قعد به الضعف عن منازلة الأقران ومقاتلة الشجعان» - إلخ - .

وقد بلغ عليه السلام الغاية في العلم والعبادة مع أنهما كذلك في غيره عليه السلام متقابلان ، ولذا ورد : العالم كذا وكذا ، والعابد كذا وكذا ، وبالجملة وجوده عليه السلام بتلك الجامعية من آيات قدرته تعالى .

ليس من الله بمستنكر ☆ أن يجمع العالم في واحد

والف بين الأشتات .

أى المتفرقات في غيره . قال ابن سينا : لم يكن شجاع فيلسوفاً قط إلا على بن أبيطالب عليه السلام ، وقال الثعالبي : للمتنبى : إنك قلت :

يرى الجبناء أن العجز حزم ☆ وتلك خديعة الطبع اللثيم

وكل شجاعة في المرء تغنى ☆ ولا مثل الشجاعة في الحكيم

وأنى يكون الشجاع حكيماً . فقال هذا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وفي فواتح الميبدى قيل للشافعى : ما تقول في علي بن أبي طالب . فقال : ما أقول في شخص اجتمعت له ثلاثة مع ثلاثة لم تجتمع لأحد من بني آدم : الجود مع الفقر ، والشجاعة مع الرأى ، والعمل مع العمل ، وأنشد :

أنا عبد لفتى أنزل فيه هل أتى ☆ إلى متى أكتمه أكتمه إلى متى

هذا ، وقال (حد) : جمع عليه السلام بين الشجاعة والجود ، وما رأينا شجاعاً جواداً قط . كان عبدالله بن الزبير شجاعاً ، وكان أبخل الناس ، وكان الزبير أبوه شجاعاً ، وكان شحيحاً . قال له عمر : لو وليتها لظلت تلاطم الناس في البطحاء على الصاع والمد ، وأراد علي عليه السلام أن يحجر علي عبدالله بن جعفر لتبذيره المال . فاحتال عبدالله لنفسه فشارك الزبير بأمواله ، فقال علي عليه السلام : أما إنته لاذ بملاذ .

قلت : ما ذكره في غاية السقوط ، وكيف لم يوجد شجاع جواداً ، وقد أكثر الشعراء في وصف ممدوحهم بجمعهم بين الشجاعة ، والسماحة . قال شاعر :

كفأك كف ما تليق درهماً جوداً ☆ وأخرى يعط بالسيف الدما

وقال آخر :

علم الغيث الندى حتى إذا ما * حكاه علم الناس الأسد
فله الغيث مقر بالندى * و له الليث مقر بالجلد
وقال آخر :

سماك تمطر الذهبا * و حربك يلتظى لها
و أي كتيبة لا قتاك * لم تستحسن الهربا
و افتخروا بالجمع بينهما . قال حسان ،

لنا الجففات الغربلين في الضحى * و أسيفنا يقطرن من نجدة دما
ويحكى أن النابغة لما سمعه قال له : فقلت جفانك وسيوفك ، وكيف لم يرشجاع
جواداً ، و قد كان أبو دلف العجلي في غاية الجود و نهاية الشجاعة . أما جوده فكان
إذا أتته الأموال بسطها على الأنطاع ، و يأمر الشعراء بنهبها . فيأخذ كل بقدر قوته
و قد قيل فيه :

إنما الدنيا أبو دلف * بين باديه و محتضره
فاذا ولي أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

و قد غضب المأمون عليه ، و على مادحه بهما بأنه لم يبق له بعد الليتين شيء ،
و أما شجاعته فكان قد خرج في قافلة إلى مكة فلما تجاوزوا الكوفة حضرت
الأعراب و كثرت تريد اغتيالهم . فلما سمعوا بأن أبادلف فيهم انهزموا من غير حرب ،
و كان يضرب المثل بشجاعته ذكر عند المبرور الحظوظ . فقال : قال شاعر ، و لم يكن
أراد مدح أبي دلف :

أم هل حسبت سواد الليل شجعني * أو أن قلبي في جنبى أبي دلف

فبلغ شعره أبادلف فوجه إليه أربعة آلاف درهم بلا انتظاره ، و كان حاتم الطائي
في الجاهلية ، و معن بن زائدة الشيباني في الإسلام جامعين بين السخاوة و الشجاعة
إلا أن أشهرية سخاوتهم أخلت شجاعتهما . فقال ابن قتيبة في شعرائه في حاتم : كان
حاتم إذا قاتل غلب ، و اذا غنم أنهب .

و في خطبة جناس قلب بعض الكفعمى في مصباحه : أين من فاق قسماً في فصاحته
و حصافته ، و ساق حاتماً في سماحته و حماسته .

وجود معن لا يحتاج إلى بيان حتى قال الشاعر في رثائه مخاطباً لقبره :
أيا قبر معن كيف وارتيت جوده ☆ و قد كان منه البرّ و البحر مترعا
و يكفى في شجاعته استنقاذه منصوراً من جند أبي مسلم لما قتله ، و كانوا يعتقدون
في أبي مسلم الألوهية ، و كانوا أحاطوا بالمنصور ، و كان أشرف على الهلاك .
و يزيد بن المهلب كان يضرب المثل بشجاعته و سخاوته . قال كعب الأشقرى فيه :
يداك إحداهما تسقى العدو بها ☆ سماً و أخرى نراها لم يزل ديما
و حكايات جوده في السير مسطورة ، و ارتج عليه على المنبر فضربه برجله وقال :
فتى حروب لا فتى مناير .

و يزيد بن مزيد الشيباني من أمراء هرون كان أيضاً جامعاً بينهما قال سلم
الخاسر فيه :

إنّ لله في البرية سيفين ☆ يزيداً و خالد بن الوليد
ذاك سيف الأذى في سالف الدهر ☆ و هذا سيف الإمام الرشيد
ما مقامى على الندى و قد ☆ فاضت بحور الندى بكفى يزيد
و لما قدم عليه شاعر باليمن و قال فيه :

يوماه يوم للمواهب والندى ☆ خضل ويوم دم و خطف منيه
ولقد أبيتك و اتقأ بك عالماً ☆ إن لست تسمع مدحة بنسيه

قال : صدقت لست أسمع مدحة بنسيه اعطوه ألف دينار ، و في ذيل الطبرى كان
عبيد الله بن العباس سيّداً شجاعاً سخياً كان ينحر كل يوم جزوراً - إلخ - و كان
عامّة بنى هاشم جامعين بين السخاوة و الشجاعة .

ثم إن لم يكن الشجاع سخياً فمن أين يكون بخيلاً حتماً كما يفهمه كلام
(حد) فأى استلزام بينهما . فخالد بن الوليد ، و مالك الأشر ، و هاشم المرقال ، و
جمع آخر لا يحصى كانوا من الشجعان ولم يصفهم أحد بالبخل .

و أما من نقل بخله مع شجاعته كالزبير ، وابن الزبير ، وكذا طلحة ، وعبدالمملك
وقد ذكرهما (حد) في ذيل كلامه . فكان جمع الشح والشجاعة فيهم على حسب الاتفاق
مع أنهم يكونون ذوى شجاعة فائقة ، ولا سيما الأخيران بل الأخير لم يعلم مبارزته
لأحد ، وإنما كان قسيماً ذبح ابن عمه الأشدق بيده ، وكان مكتوفاً .

وكيف يكون تناف بين الشجاعة والسخاوة ، ولا يكون شخص كاملاً إلا بالجمع

بينهما . قال البهترى في أبي عيسى بن صاعد :

نصيبك في الأكرميتين فإنما ✧ يسود الفتى من حيث يسخو ويشجع

كما أن ما قاله من أن أمير المؤمنين عليه السلام أراد الحجر على عبد الله بن جعفر
فأحتال بشركة الزبير . لم أقف عليه ، وإنما روى الخطيب في أبي يوسف أن عبد الله
ابن جعفر أتى الزبير ، فقال : إنني اشتريت كذا وكذا وإن عمي يريد أن يأتي عثمان
- وذكر حديث الحجر - فقال عثمان كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير .
قال أحمد بن حنبل : لم أسمع هذا إلا من حديث أبي يوسف .

و بالجملة ما قاله من تضاد الشجاعة والسخاوة بلا حقيقة نعم أدخله بعض الشعراء
في التضاد بتخييلات شعرية بأن سخاوة ممدوحة يحيى جمع من مواليه ، وبشجاعته يموت
جمع من أعاديه . فقال :

يحيى الأنام به في الجذب إن قهطوا ✧ جوداً ويشقى به يوم الوغى الهام

حالان ضد أن مجموعان فيه فما ✧ ينفك بينهما بؤس و انعام

كالمرن يجتمع الضدان فيه معاً ✧ ماء و نار و ارهام و اضرار

و للشعراء نظير ذلك كثير فيخترعون تضاداً بالتخييل الشعرى في أشياء قال

بعضهم :

و من عجب أن الصوارم في الوغى ✧ تحيض بأيدي القوم وهى ذكور

و أعجب من ذا أنها في أكفهم ✧ تؤجج ناراً و الأكف بحور

و كثيراً ما أذكر .

هكذا في المصرية ، والصواب : أذاكر كما في (حد ، ثم ، والخطبة) .

الْأَخْوَانَ بِهَا .

أى بهذه العجبية .

و استخرج عجبهم .

المركوز في جبلتهم من مثلها .

مِنْهَا . وَ هِيَ مَوْضِعٌ لِلْعِبْرَةِ بِهَا ، وَالْفِكْرَةَ فِيهَا .

بأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان غير البشر المتعارفي ، و أن اجتماع ذلك فيه عَلَيْهِ السَّلَامُ من آيات الله

تعالى شاهداً لإمامته .

وَ رَبَّمَا جَاءَ فِي أَثْنَاءِ هَذَا الْاِخْتِيَارِ .

في الأبواب الثلاثة .

اللفظ المردد .

أى المرجع .

والمعنى المكرر .

و لو بلفظ آخر .

وَالْعُذْرُ فِي ذَلِكَ .

أى التردد والتكرار .

أَنَّ رِوَايَاتِ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَخْتَلِفُ اخْتِلَافاً شَدِيداً .

حسب اختلاف نقل كثير من المطالب .

فَرَبَّمَا اتَّفَقَ .

أى وقع .

الْكَلَامُ الْمُخْتَارُ فِي رِوَايَةِ فَنَقَلَ عَلَيَّ وَجْهِهِ .

في تلك الرواية .

ثُمَّ وَجِدَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي رِوَايَةِ أُخْرَى مَوْضُوعًا غَيْرَ وَضَعِهِ الْأَوَّلِ .

أى كيفيته .

أَمَا بِيْزِيَادَةَ مُخْتَارَةٍ .

أى ينبغي أن تختار .

أَوْ بَلْفَظٍ .

هكذا في المصرية والصواب : أو لفظ كما في (حد ، و ثم ، والخطية) عطفاً

على زيادة .

أَحْسَنَ عِبَارَةٍ .

من الأول .

فَتَقْتَضِي الْحَالُ أَنْ يُعَادَ .

لكونه من موضوع الكتاب .

اسْتِظْهَارًا .

مفعول له لقوله : يعاد : أي تكميلاً .

لِلْإِخْتِيَارِ .

من كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَ غَيْرَةٍ .

بافتح من غار الرجل على أهله .

وأما الغيره بالكسر . فقال الجوهري : إنها الميرة من غار أهله : أى مارهم و
نفعهم ، وقال الزمخشري : إنها الدية ، وجمعها الغير . قال الشاعر :

لنجد عن بأيدينا أنوفكم ❦ بنى أميمة إن لم تقبلواالغيرا

عَلَى عَقَائِلِ الْكَلَامِ .

أى كرائمه من أن تفوته ، ومما أعاده لزيادة مختاره أنه قال فى [١٤٥ - ١] و
من كلام له قبل موته ، وقال فى [٢٣ - ٢] و من كلام له عَلَيْهِ السَّلَامُ قاله قبيل موته على
سبيل الوصية ، وقال فى آخر الثاني : قدمضى بعض هذا الكلام فى ما تقدم من الخطب
إلا أن هيئنا زيادة أو جبت تكريره .

و كرّر قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ فى [١٤٨ - ٣] « المرء مخبوء تحت لسانه » فى [٩٢ - ٣]
مع زيادة لكنّه غفل عن تكراره حيث لم يشر إليه كما فى الأوّل .

ثم من الغريب أنه كرّر قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ فى [١١٦ - ٣] « كم من مستدرج بالاحسان
إليه و مغرور بالستر عليه ، و مفتون بحسن القول فيه ، و ما ابتلى الله أحداً بمثل الإيماء
له » فى [٢٦٠] قبل فصل الغريب ، و قال : و قد مضى هذا الكلام فى ما تقدم إلا أن
فيه هيئنا زيادة جيّدة ، مع أنه ليس فى الثاني زيادة أصلاً إلا أن التكرار على نقل (حد ،
والخطية) كالمصرية ، و أمّا (ثم) فليس الثانى فيه كما أنه كرّر [٢٢ - ٣] فى
[٣٨٩] مع زيادة على نقل (حد) دون (ثم) لكن نسختى من (ثم) بعد [٨١ - ٣]
كثيرة التصحيف فليلحظ النسخ الأخرى .

و مما أعاده بلفظ آخر قوله [٣٢ - ١] « أما والله إن كنت لفى ساقها حتى وكت
بعذافيرها ما ضعفت و ما جبنّت ، و إن مسيري هذا ملثها فلانقبن الباطل حتى يخرج
الحق من جنبه » فى جملة [١٠٠ - ١] لكنّه غفل عن الأوّل لعدم إشارته إلى التكرار
كما هو دأبه فى الاعتذار .

و أعاد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ فى [١٦٧ - ١] « اللهم إني أستعينك على قريش ، و من أعانهم ،
فإنهم قطعوا رحى ، و صغروا عظيم منزلة ، و أجمعوا على منازعتى أمراً هو لى . ثم »

قالوا : ألا في الحق أن تأخذه ، وفي الحق أن تتركه ، في [٢١٢ - ١] بلفظ آخر ، والظاهر غفلته هنا أيضاً لما يأتي في الآتي .

و أعاد أيضاً بلفظ آخر قوله عَلَيْكُمْ فِي [٢٥ - ١] « فنظرت فإذ ليس لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت ، وأغضيت على القذى ، وشربت على الشجى ، وصبرت على أخذ الكظم ، وعلى أمر من طعم العلقم » في آخر [٢١٢ - ١] بلفظ « فنظرت فإذ ليس لي رافد ، ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي . فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى و جرعت ريقى على الشجى ، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم ، وآلم للقلب من حز الشفار » ثم قال : وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة إلا أنني كررته هنا لاختلاف الروایتين .

ثم إن المصنف وإن كرر في [٢١٢ - ١] معنى ما ورد في [١٦٧ - ١] أيضاً كما مر قبل هذا إلا أن قوله « وقد مضى » - إلخ - إشارة إلى ما في [٢٥ - ١] ولا يمكن أن يكون إشارة إليهما لآباء قوله : هذا الكلام ، وقوله : خطبة متقدمة عن ذلك . و أعاد أيضاً قوله في [٣٢ - ١] « إن الله بعث محمداً وآل البيت وليس أحد من العرب يقرء كتاباً » - إلخ - في [١٠٠ - ١] وقال : تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية . و أعاد أيضاً قوله في [١١٧ - ٣] هلك في رجالان محب غال ، و مبغض قال « في [٤٦٩] بلفظ « يهلك في رجالان محب مفرط وباهت مفتر » قال : الثاني مثل الأوّل .

و أعاد أيضاً قوله في [٦٩ - ١] في الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « حتى أورى قيس القابس » - إلخ - في [١٠٢ - ١] وقال : وقد مضى هذا الكلام في ما تقدم إلا أننا كررناه ههنا لما في الروایتين من الاختلاف . و أعاد أيضاً قوله « يا ابن آدم لا تحمل هم يومك » - إلخ - من [٢٦٧ - ٣] في [٣٧٩] و قال : وقد مضى هذا الكلام - إلخ - .

و أعاد أيضاً قوله في [١٥ - ٣] « تذلل الأمور للمقادير حتى يكون الحنف في التدبير » في [٤٥٩] بلفظ « يغلب المقدار على التدبير حتى تكون الأفة في التدبير »

لكنه غفل عن تكراره فلم يشر ولم يعتذر .

و أعاد قوله في [٣٤٨ - ٣] « أشد الذنوب ما استهان به صاحبه » بلفظ « أشد »

الذنوب ما استخف به صاحبه » في [٤٧٧] و غفل عن تكراره فلم يعتذر .

و ربما بعد العهد ايضاً بما اختير أو لا فاعيد بعضه .

لا لزيادة أو للفظ أحسن عبارة بل .

سهواً أو نسياناً .

هكذا في المصرية ، والصواب : ونسياناً كما في (حد ، وثم ، والخطية) والعطف

فيه تفسيري .

لأقصداً و اعتماداً .

أي تعمداً . فيكون العطف فيه أيضاً تفسيريّاً .

و أعاد فقرة « ما شككت في الحق مذأريته » جزء [٣] المكرر من [١] في

في [١٨٤ - ٣] نسياناً .

و أعاد فقرة « من أبدى صفحته للحق هلك » و هي جزء [١٥ - ١] في [١٨٨ - ٣]

سهواً ، و أعاد ايضاً قوله « كلمة حق يراد به الباطل » جزء [٣٩ - ١] في [١٩٨ - ٣]

نسياناً .

و أعاد ايضاً قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « من ظن بك خيراً فصدق ظنه » جزء وصيته عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى

ابنه في [٣١ - ٢] سهواً في [٢٤٨ - ٣] .

و أعاد ايضاً قوله « ومفتون بحسن القول فيه » الذي جزء عنوان « كم من مستدرج

بالإحسان إليه » المذكور في [١١٦ - ٣] بالاتفاق ، وفي [٢٦٠ - ٣] ايضاً بنقل (حد ،

والخطية) في [٤٦٢ - ٣] سهواً .

و أعاد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول

بالجهل » المذكور في [١٨٢ - ٣] في [٤٧١] بالاتفاق ، و قبل [١٩٢] بنقل (حد ،

والخطيئة) ، أيضاً غفلة .

و منه يظهر أنه قد يعيد كل العنوان سهواً جاعلاً له كلاً ثانياً .
وأعاد [٢٠ - ١] « فإن الغاية أمامكم ، وأن وراءكم الساعة تحذوكم تخففوا
تلحقوا ، فإنما ينتظر بأول لكم آخركم » جزء [١٦٢ - ١] « إن الله تعالى أنزل كتاباً
هادياً » - إلخ - بلفظ « فإن الناس أمامكم و أن الساعة تحذوكم من خلفكم تخففوا
تلحقوا . فإنما ينتظر بأول لكم آخركم » .

و منه يظهر أن قد يعيد كل عنوان جزء عنوان آخر غفلة مع اختلاف ما .
و أعاد قوله ﷺ « كالفالج الياسر الذي ينتظر أول فوزه من قداحه » جزء
[٢٢ - ١] فى [٨] من فصل الغريب بلفظ « كالياسر الفالج ينتظر أول فوزه من
قداحه » غفلة .

و أعاد قوله ﷺ « إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان . فابتغوا لها
طرائف الحكم » من [٩١ - ٣] فى [١٩٧] سهواً .

و أعاد قوله ﷺ فى [١٦٧ - ١] « فقد موا على عاملى ، وخز أن بيت المال
المسلمين ، و غيرهم من أهلها فقتلوا طائفة صبراً و طائفة غدرا » فى [٢١٣ - ١] بلفظ
« فقد موا على عمالى ، و خز أن بيت مال المسلمين الذى فى يدي و على أهل مصر كلهم
فى طاعتي و على بيعتي فشتتوا كلمتهم ، و أفسدوا على جماعتهم ، و وثبوا على شيعتي .
فقتلوا طائفة منهم غدراً » غفلة .

و أعاد قوله ﷺ فى [٢١ - ١] « ما أنكروا على منكرأ ولا جعلوا بيني وبينهم
نصفاً ، و إنهم ليطلبون حقاً هم تركوه ، و دماهم سفكوه . فلئن كنت شريكهم فيه فإن
لهم لنصيبهم منه ، و لئن كانوا ولوه دوني . فما التبعة إلا عندهم ، و إن أعظم حجبتهم
لعلى أنفسهم » فى [١٣٣ - ١] بلفظ « والله ما أنكروا على منكرأ ، ولا جعلوا بيني و
بينهم نصفاً ، و أنهم ليطلبون حقاً هم تركوه ، و دماً هم سفكوه ، فإن كنت شريكهم
فيه . فإن لهم نصيبهم منه ، و إن كانوا ولوه دوني . فما الطلبة إلا قبلهم ، و إن أول
عدلهم للحكم على أنفسهم » غفلة .

كما أنه أعاد ما في [٩ - ١] ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه ، واستجلب خيله ورجله ، وأن معي بصيرتي ما لبست على نفسي ، ولا لبس علي ، وأيم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه ولا يعودون إليه « جزء منه في [٢١ - ١] » ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه ، واستجلب جلبيه « و جزء منه في [١٣٣ - ١] » وإن معي بصيرتي ما لبست ، ولا لبس علي « إلى أن قال « وأيم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه بري ، ولا يعبتون بعده في حسي » غفلة مع اختلاف ما .
وأعاد [٣ - ٦٨] « العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى » في [٣٤٠ - ٣] سهواً .

و أعاد ذيل [١٢٣ - ١] « إنما اجتمع رأى ملاكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما إلا يتعديا القرآن فتاها عنه وتركنا الحق وهما يبصرانه ، وكان الجور هواهما فمضيا عليه ، وقد سبق استثناءنا عليهما في الحكومة بالعدل ، والصمد للحق سوء رأيهما و جور حكمهما » في [١٧٢ - ١] بلفظ « فاجمع رأى ملاكم على أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن يجمعجا عند القرآن ، ولا يجاوزاه ، وتكون ألسنتهما معه ، وقلوبهما تبعه فتاها عنه ، وتركنا الحق ، وهما يبصرانه ، وكان الجور هواهما ، والاعوجاج دأبهما ، وقد سبق استثناءنا عليهما في الحكم بالعدل ، والعمل بالحق سوء رأيهما ، و جور حكمهما » غفلة .

و أعاد قوله ﷺ « الناس أعداء ما جهلوا » في [١٧٢ - ٣] غفلة في [٤٣٨] ،
و أعاد قوله ﷺ « قليل مدوم عليه أرجى من كثير مملول منه » في [٢٧٨ - ٣]
نسياناً في [٤٤٤] بلفظ « قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه » .

و أعاد قوله ﷺ في [١٣١ - ١] « إنما أتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا مع كل جرعة شرق ، و في كل أكلة غصص لاتناولون منها نعمة إلا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله » غفلة في [١٩١ - ٣] بلفظ « إنما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ، و نهب تبادره المصائب ، و مع كل جرعة شرق ، و في كل أكلة غصص ، ولا ينال العبد نعمة إلا بفراق أخرى ولا يستقبل يوماً عمره

إلا بفراق آخر من أجله .

و أعاد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في [٢٤١ - ٣] « يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم » غفلة في [٣٤١] بلفظ « يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم » .

و أعاد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في [٢٣٦] آخر الخطب « ما أنقص النوم لعزائم اليوم » غفلة في [٣٤٠ - ٣] مستقلاً .

و أعاد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « و كفاك أدباً لنفسك تجنبك ما كرهته لغيرك » و هو جزء [٣٤٥ - ٣] غفلة في [٤١٢] مستقلاً .

و أعاد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « القناعة مال لا ينفد » [٥٧ - ٣] غفلة في [٤٧٥] .
و أعاد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « أشرف الغنى ترك المني » [٣٤ - ٣] غفلة جزء « الجود حارس الأعراض » [٢١١] .

و أعاد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في [١٥١ - ١] المنكر « وإنهما لا يقر بان من أجل ولا ينقصان من رزق » في [٣٧٤ - ٣] بلفظ « وإن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر لا يقر بان من أجل ، ولا ينقصان من رزق » .

و مما نقلنا من تكراراته يظهر أنه وإن قال : « قد يعيد نسياناً بعض ما مر » و ظاهره يعيده بلفظه . إلا أنه قد يفعل كما قال « وقد يعيد كل ما مر » كما قد يعيد بعض ما مر أو كله بلفظ آخر ، و مر في شرح قوله في « ما أعاده قصداً لزيادة أو للفظ آخر » جملة مما أعادها نسياناً أيضاً .

وَلَا ادَّعَى مَعَ ذَلِكَ أَنِّي أَحِيطُ بِأَقْطَارِ .

أي نواحي .

جَمِيعِ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى لَا يَشُدَّ عَنِّي شَاؤُ .

أي يتفرق عني متفرق .

وَلَا يَنْدُ .

أي يبعد عني .

نَادُ .

أي بعيد .

بَلْ لَا أُبْعَدُ .

أي لا أعد بعيداً .

أَنْ يَكُونَ الْقَاصِرُ عَنِّي .

أي الذي لم يصل إلي .

فَوْقَ الْوَاقِعِ .

أي الواصل من كلامه .

إِلَيَّ ، وَالْحَاصِلُ .

عطف على القاصر اسم - يكون - .

فِي رِبْقَتِي .

بالكسر قال الجوهري : الربق : حبل فيه عدة عرى يشد به البهم .

دُونَ .

أي أقل ، و هو عطف على (فوق) خبر - يكون - : أي من عطف الجملة .

الْخَارِجِ مِنْ يَدَيَّ .

الذي أفلت عني . قال الراوندي - كما نقل (ثم) عنه - : سمعت بعض العلماء

بالحجاز يقول : إنني وجدت بمصر مجموعاً من كلام علي عليه السلام في نيف و عشرين مجلداً .

وَمَا عَلَيَّ الْاِبْتِغَاءُ الْجَهْدِ .

في الصحاح . الجهد : بالفتح والضم : الطاقة ، قرىء بهما قوله تعالى « والذين لا يجدون إلاّ جهدهم » ^(١) وقال الفراء : الجهد بالضم : الطاقة ، وبالفتح : الغاية . يقال : أجهدك جهداً بالفتح : أى أبلغ غايتك .

وَبَلَغِ الْوَسْعِ .

في نقل كلامه عليه السلام .

وَعَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

أى المنزه عن النقائص ، وعن أن يفوته شيء .

وَتَعَالَى .

هكذا في المصرية ، والكلمة رائدة لعدم وجودها في (حد ، و ثم ، والخطبة) .

فَهَجَّ السَّبِيلِ .

مأخوذ من قوله تعالى « وعلى الله قصد السبيل » ^(٢) .

وَرَشَادُ الدَّلِيلِ .

وقال تعالى « أهدكم سبيل الرشاد » ^(٣) .

إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) التوبة ٧٩ .

(٢) النحل ٩ .

(٣) غافر ٣٨ .

ذلك :

وَرَأَيْتُ مِنْ بَعْدُ .

أي بعد الحمد والصلاة أو بعد ما مرّ في شرح كلامه عليه السلام ، وهو الأظهر .

تَسْمِيَةَ هَذَا الْكِتَابِ بِنَهْجِ الْبَلَاغَةِ .

والنهج : الطريق الواضح ، وأما البلاغة فورد عنهم عليهم السلام لها تعريفات ، وعن الأدباء لها توصيفات ، وعن العباسية فيها بيانات :

أما الأول : ففي صناعة أبي هلال العسكري قال أمير المؤمنين عليه السلام : البلاغة إيضاح الملتبسات ، وكشف عوار الجبهالات بأسهل ما يكون من العبارات ، وقال الحسن بن علي عليه السلام : البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة ، وقال محمد بن علي عليه السلام : البلاغة تفسير عسير الحكمة بأقرب الألفاظ ، وقال : البلاغة قول مفقه في لطف . فالمفقه : المفهم ، واللطيف من الكلام : ماتعطف به القلوب النافرة ، وتؤنس به القلوب المستوحشة ، وتلين به العريكة الآبية حتى تبلغ به الحاجة ، وتقام به الحاجة .

وأما الثاني : ففي دلائل إعجاز عبد القاهر . قالوا : لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك ، ويدخل في الأذن بلا إذن ، وفي بيان الجاحظ : قيل للفارسي : ما البلاغة؟ قال : معرفة الفصل من الوصل ، وقيل لليوناني : ما البلاغة؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام ، وقيل للرومي : ما البلاغة؟ قال : وضوح الدلالة ، وانهاز الفرصة ، وحسن الإشارة إذا كان الإفصاح أوعر طريقة ، وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك ، وأحق بالظفر ، وجماع البلاغة إلتماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غمض ، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر وقال أعرابي : البلاغة التقرب من البعيد والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل على كثير وقال آخر : البلاغة إيجاز في غير عجز ، وإطناب في غير خطل ، وقيل لأبي العيناء :

ما أبلغ الكلام؟ قال: ما أسكت المبطل، وحيّر المحقّ.

وأما الثالث: فعن إبراهيم المعروف بالإمام: يكفى من البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع، وقال هارون: البلاغة التباعد من الإطالة، والتقرب من البغية، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى، وقال المأمون: ما كنت أتوهم أن أحداً يقدر على هذه البلاغة حتى قرأت كتاب عمرو بن مسعدة إلى: كتابي إليك، ومن قبلى من القواد والأجناد في الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون طاعة جند تأخرت عطياتهم، واختلت أحوالهم، وقال ابن المعتز: البلاغة البلوغ إلى المعنى، ولم يطل سفر الكلام. قلت: و بأي معنى فسرت فالكتاب مصداقه. فالتسمية حقه.

إِذَا كَانَ يَفْتَحُ لِلنَّاطِقِ فِيهِ .

أي في هذا الكتاب .

أَبْوَابُهَا .

أي أبواب البلاغة .

وَيُقْرَبُ عَلَيْهِ طَلَابُهَا .

قد عرفت في مامر اعتراف عبد الحميد الكاتب، وابن نباته الخطيب - وهما على ما عليه - بحصول البلاغة لهما من النظري في كلامه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

فيه .

هكذا في المصرية، والصواب: وفيه كما في (حد، و ثم، والخطبة) ولاقتضاء

المقام له .

حَاجَةُ الْعَالَمِ .

في زيادة علمه،

وَالْمَتَعَلِّمِ .

في حصول العلم له .

وَبَغِيَّةٍ .

بضم الباء ، و كسرهما : أى مطلوب .

الْبَلِيغِ .

ليقتدر على الاتيان بالكلام البليغ .

وَالزَّاهِدِ .

ليرضى بزهده و يسر به و يجد في ازدياده .

وَيَمَضِي فِي أَثْنَائِهِ .

أى أثناء الكتاب .

مِنَ الْكَلَامِ .

هكذا في المصريّة ، والصواب : من عجيب الكلام كما في (حد ، و ثم ،

والخطبة) .

فِي التَّوْحِيدِ .

ولا سيما [١٨١ - ١] الذى قال المصنّف فيه : وتجمع هذه الخطبة في التوحيد من

أصول العلم ما لا تجمعه خطبة .

وَالْعَدْلِ .

قال : (حد) في [٨١ - ١] وأعلم أن التوحيد ، والعدل ، والمباحث الإلهية

ما عرفت إلا من كلام هذا الرجل ، وإن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً ، ولا كانوا يبصرونه ، ولو بصروه لذكروه ، وهذه الفضيلة عندى أعظم فضائله .

قلت : بل كان فاروقه قائلاً بعدم عدل الله تعالى . ففى تاريخ بغداد : خطب عمر الناس بالجافية . فقال : إن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء . فقال قس من تلك القسوس : ما يقول أميركم هذا ؟ فقالوا : يقول إن الله يضل من يشاء . فقال القس برقت : الله أعدل من أن يضل أحداً . فبلغ ذلك عمر . فبعث إليه . فقال : بل الله أضلك ، و لولا عهدك لضربت عنقك . فإذا كان قائلاً بعدم عدله تعالى كيف ينتظر منه التكلم فى أوصافه تعالى و عدله ، والقرآن ، وإن ورد باللفظ إلا أنه تعالى قال بعده « وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل و يفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون » ^(١) مع أن العقل والنقل متطابقان على وجوب تأويل الملتشابه اكن الرجل مصداق قوله تعالى « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه » ^(٢) والرجل أراد الجواب بالضرب والقتل .

وَ تَنْزِيهِهِ اللهُ سُبْحَانَهُ .

عن النقائص .

وَ تَعَالَى .

هكذا فى المصرية والصواب : عدم الكلمة لعدم وجودها فى (حد ، و ثم ، والخطية) .

عَنْ شِبْهِ .

(١) البقرة ٢٦

(٢) آل عمران ٧ .

متعلق بقوله : و تنزيه الله .

الخلق .

و في خطبة الأشباح و هي [٨٧] سأله سائل أن يصف الله تعالى له حتى كأنه يراه عياناً . فغضب عليه السلام و خطب بها ، و كان عليه السلام أحسن منه إرادته وصفه بالتشبيه .

ما هو بلال .

بالكسر : الندوه والرطوبة . قال شاعر :

كأنني حلوت الشعر حين مدحته * صفا صخرة صماء يبس بلالها
و قال آخر :

و صاحب مرأق داجيته * على بلال نفسه طويته

و أصله : السقا يطوى وهو مبتل فيعفن . قال « ولقد طويتمكم على بلالاتكم » لكن لو كان المصنّف قال (نقوع) بدل (بلال) كان أقرب إلى إفادة المراد يقال : نقع الماء العطش نقعاً و نقوعاً : سكّنه ، و يقال : شرب حتى نقع ، و إنما يحسن البلال في المبالغة في النقي يقال : ما في سقائك بلال : أي ما يبيل به العلق ، و قالت ليلى الأخيلية لابن عم توبة حين فر عنه حتى قتل :

فلا و أبيك يا ابن أبي عقيل * تبلك بعدها عندي بلال

فلو آسيته لخالك ذم * و فارقك ابن عمك غير قالى

كل غلة .

بالضم حرارة العطش ، و زاد (حد ، والخطية) بعده : و شفاء كل غلة .

و جلاء كل شبهة .

أي زوالها و إضمحلالها . في الإرشاد روى الحسن البصرى أن رجلاً جاء إلى

أمير المؤمنين عليه السلام بعد انصرافه من حرب صفين . فقال له : خبرني عما كان بيننا وبين هؤلاء القوم من الحرب آكان بقضاء من الله و قدر ؟ فقال عليه السلام : ما علوتم تلعمة ، و لا هبطتم وادياً إلا و لله فيه قضاء و قدر . فقال الرجل : فعند الله أحسب عنائي . فقال له : ولم ؟ قال : إذا كان القضاء و القدر ساقان على العمل . فما وجه الثواب لنا على الطاعة ، و ما وجه العقاب لنا على المعصية ؟ فقال عليه السلام له : أو ظننت قضاء حتماً و قدراً لازماً أنه مقال عبدة الأوثان ، و قدرية هذه الأمة و مجوسها . إن الله تعالى أمر تخييراً ، و نهى تحذيراً ، و كلف يسيراً ، و لم يطع مكرها ، و لم يعص مغلوباً ، و لم يخلق السماء و الأرض و ما بينهما باطلا . ذلك ظن الذين كفروا . فويل للذين كفروا من النار . فقال الرجل : فما القضاء و القدر الذي ذكرته ؟ قال عليه السلام : الأمر بالطاعة ، و النهي عن المعصية ، و التمكين من فعل الحسنة ، و ترك السيئة ، و المعونة على القرية إليه ، و الخذلان لمن عصاه ، و الوعد و الوعيد . كل ذلك قضاء الله في أفعالنا ، و قدره في أعمالنا . فأما غير ذلك فلا تظننه ، فإن الظن له محبط للأعمال . فقال الرجل فرجت عنني ، و أنشأ يقول :

أنت الإمام الذي نرجوا بطاعته * يوم المآب من الرحمن غفراناً
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً * جزاك ربك بالاحسان إحساناً

و من الله سبحانه استمد التوفيق .

لنيل الغرض :

و العصمة .

من الضلال .

و استنجز .

أى استنجح .

التسديد .

أَيُّ الْحَمْلِ عَلَى السَّدَادِ : أَيُّ الصَّلَاحِ .

وَالْمَعُونَةَ .

على العمل ،

وَاسْتَعِينَهُ مِنْ خَطَاةِ الْجَنَانِ .

بالفتح : القلب .

قَبْلَ خَطَاةِ اللِّسَانِ .

قال خالد بن جعفر الكلابي للكسري لما أو فده النعمان بن المنذر إليه :

وعشرة القول أنكا ❖ من عشرة الوعث

والوعث : المكان الذي يشق المشي فيه .

وَمِنْ زَلَّةِ الْكَلَامِ .

هكذا في المصرية ، والصواب : الكلم كما في (حد ، و ثم ، الخطيئة) .

قَبْلَ زَلَّةِ الْقَدَمِ .

قال ابن السكيت :

يصاب الفتى من عشرة بلسانه ❖ وليس يصاب المرء من عشرة الرجل

فعرته في القول تذهب رأسه ❖ وعرته في الرجل تبرء عن مهل

وَ هُوَ حَسْبِي وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ .

الأصل فيه قوله تعالى « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ^(١) وهذا أوان الشروع

في المقصود بعون الملك المحمود . فنقول :

الفصل الاول في التوحيد .

و حيث إن المصنّف بدء بخطبة في التوحيد نبدء بما بدء به مع كلامه . فقال :
باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره ، و يدخل
في ذلك المختار من كلامه الجارى مجرى الخطب في المقامات المحصورة ،
والمواقف المذكورة ، و الخطوب الواردة .

أي المقاصد العارضة ككلامه عليه السلام لما خاطبه العباس و أبوسفیان بالبيعة له بعد
قبض النبي ﷺ و كلامه عليه السلام لما أشر عليه بالآيتبع طلحة والزبير . إلى غير ذلك
مما عبر فيها غالباً بقوله : و من كلام له عليه السلام .

فمن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء و الارض ، و
خلق آدم .

و نحن نقصر من الخطبة هنا على ما يكون في التوحيد ، و أما ما فيها في خلق
السماء و الأرض . فنذكره في الفصل الثاني كما أن ما فيها راجعاً إلى خلق آدم نذكره
في الفصل الرابع على ما عرفت أوّلاً في فهرست فصوله ، وإنّما ذكرنا هنا عنوان المصنّف
لثلاث ندع شيئاً من كلامه .

و فيها ذكر الحج .

هكذا في المصريّة ، و الجملة بتمامها زائدة لعدم وجودها في (حد، و ثم، و الخطيئة)
و لا بدّ أنّها كانت حاشية من بعض الملحّسين حيث رأى أن في الخطبة فصلاً راجعاً إلى
الحج . فخلطت بالمتن ، و كيف كان . فنذكر ما فيه من ذكر الحج في فصل العبادات .

[١-١-١] الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصى نعمائه

الْعَادُونَ ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمَجْتَهِدُونَ . الَّذِي لَا يَدْرِكُهُ بَعْدَ الْهِمَمِ ،
وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ . الَّذِي لَيْسَ لَصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ ، وَلَا نَعْتٌ
مَوْجُودٌ ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ ، فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ،
وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ ، وَوَتَدَّ بِالصَّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ .

وَفِي : ٩٢ : وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ
وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ . وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ ، وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ
دُونَهُ .

وَفِي ٩٠ : وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بَعْدُ
الْهِمَمِ ، وَلَا يَنَالُهُ حُسْنُ الْفِطَنِ . الْأَوَّلِ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي
وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقُضِي .

أقول : نقل الخطبة الأولى ابن طلحة الشافعي في مطالبه ، وقال (خو) : نقلها
البحار عن عيون حكمة محمد بن علي الواسطي لكن لم أقف في البحار على نقله عنه .
« الحمد » : ظاهر الصحاح ترادف الحمد مع المدح حيث قال : الحمد نقيض
الذم ، و فرّق المصباح بينهما . فجعل الحمد للجميل الاختياري فقط ، والمدح له ، و
للخلقى . « إلا أن الظاهر أن كلاً من الحمد والمدح للاختياري النفساني فكما لم نسمع
استعمال حمد اللؤلؤ كذلك لم نسمع استعمال مدحه .

« لله » : روى المعاني عن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَتَأَلَّهُ لِإِيَّاهِ عِنْدَ

الحوائج والشدائد ، ونقل (حد) عن الراوندي أن (الله) أخص من (الإله) و الإله مصدر بمعنى المألوه ، وردّه بأنه لافرق بينهما في اللغة . بل في الاصطلاح ، و أن الإله إسم جنس كالرجل لكل معبود بحق أو باطل و غلب على الحق وإن (مألوه) مصدر لا مفعول ، وأنه لم يسمع مألوه في اللغة لأن أله الرجل : إذا دهش و تحير لازم لا يبني منه مفعول .

قلت : حملة ولعه على الاعتراض على الراوندي ألا يراجع اللغة ، وإلا ففي الصحاح إله الإلهة : أي عبد عبادة ، و إله : فعال بمعنى مفعول : أي معبود كقولنا : إمام على فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به .

وما قاله : من أن أله الرجل : بمعنى تحير لا ينبغي منه مفعول : غلط فاحش . فإثما وله الرجل بمعنى تحير و لا يبني منه مفعول (أله) و لو كان اعترض عليه بأن إله ليس بمصدر بل إلهة كما قال الجوهري ، و أنه قال : إله فعال بمعنى مفعول كان له وجه .

ثم لو لم يكن فرق بين الله ، و إله كما قال (حد) يصير معنى : لا إله إلا الله كقولك : لا رجل إلا رجل أو لا زيد إلا زيد .

و كيف لا يكون بينهما فرق ، و قد كان المشركون - وهم من أهل اللغة - يطلقون الإله على الأوثان ، ولا يطلقون لفظة (الله) إلا على موجد . العالم قال تعالى « و لئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله » (١) كما أن ما قاله من أن الإله كل معبود ، و غلب على الحق ليس كذلك . قال تعالى « أفأريت من اتخذ إلهه هواه » (٢) وإثما غير الحق يجب أن ينفي ككل باطل . فلا إله إلا الله ، و كذلك قوله : مألوه مصدر ليس كذلك . فقد عرفت من الصحاح أنه على أصله .

قال (حد) أيضاً : قال الراوندي : الحمد لله دال على أنه ﷻ حمد الله تعالى

(١) الزمر ٣٨ .

(٢) الجاثية ٢٦ .

وأنته ثابت عليه مدح حياته ، وأمر غيره في فحوى كلامه أن يحمده أيضاً ثابتين ، ولو كان عبث بلفظ : أحمد الله لم يفهم منه جميع ذلك . ثم رده (حد) بأنه لا فرق بين قولنا : الحمد لله ، وقولنا : أحمد الله .

قلت : لم لم يراجع كلمات علماء البيان في الفرق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ؟ فإنما قال الراوندى ما قالوه : من أن أحمد الله بلفظ الفعلية مجرد إخبار بحمده له تعالى ، وأما الحمد لله بلفظ الاسمية ، وتعريف الحمد بلام الجنسية . فنادى على الدوام والاستمرار ، وأنه تعالى مستحق للحمد من كل حامد فكما حمده هو ﷺ يجب أن يحمده كل مخلوق مثله .

وفي الخبر أن الباقر ﷺ فقد بغلة له . فقال : لئن ردها الله تعالى على لا أحمدته بمحامد يرضاها . فما لبث أن أتى بها إليه ﷺ بسرجهها ولجامها . فلما استوى عليها وضم إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء ، فقال : الحمد لله ، ولم يزد . ثم قال : وما تركت شيئاً جعلت كل أنواع المحامد لله - عز وجل - ما من حمد إلا وهو داخل في ما قلت .

« الذي لا يبلغ مدحته القائلون » : كيف يبلغ القائلون مدحته ، والمادح إنما يبلغ مدح شخص إذا أحاط علماً بكماله . فالجاهل لا يقدر أن يصف علم العالم ، ولا يمكن الإحاطة بكماله تعالى لغيره - عز وجل - فينحصر مدحه تعالى كما ينبغي بذاته المقدسة ، ولذا قال النبي ﷺ : لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . وكيف يبلغ مدحته القائلون ، وقد قال - عز اسمه - « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مداداً » (١) .

« ولا يحصى نعمائه العادون » : إنما يمكن الإحصاء في ماله حصر ولا حصر لنعمائه تعالى .

وفي الخبر أن أبي بن كعب قرء عند النبي ﷺ قوله تعالى « وأسبغ عليكم

نعمه ظاهرة و باطنة » (١) فقال النبي ﷺ لقوم عنده ، و فيهم أبو بكر ، و عمر ، و أبو عبيدة ، و عثمان ، و عبد الرحمن : قولوا الآن ما أول نعمة أعزكم الله بها ، و أبلاكم بها . فحاضوا في المعاش و الرياش ، و الذرية ، و الأزواج . فلما أمسكوا قال لأمير المؤمنين ﷺ : قل يا أبا الحسن أنت . فقال ﷺ : إن الله خلقني ، و لم أكن شيئاً مذكوراً ، و أحسن بي إذ جعلني حياً لامواتاً ، و أنشأني في أحسن صورة و أعدل تركيب ، و جعلني متفكراً داعياً لأبله ساهياً ، و أن جعل لي شواعر أدرك بهما ما ابتغيت و جعل في سراجاً منيراً ، و أن هداني لدينه ، و لن يضلني عن سبيله ، و جعل لي مردأ في حياة لا انقطاع لها ، و جعلني مالكاً لا مملوكاً ، و أن سخر لي أرضه و سمائه ، و ما فيهما ، و ما بينهما من خلقه ، و أن جعلنا ذكراً نأقواماً على حلالنا لا أنثاء ، و كان النبي ﷺ يقول له في كل كلمة : صدقت . ثم قال : فما بعد هذا ؟ قال : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » فتبسم النبي ﷺ و قال : ليهنئك العلم أنت و ارث علمي ، و المبيتن لأمتي ما اختلفت فيه بعدى .

« ولا يؤدى حقه المجتهدون » : أي السارعون في عبادته ، و كيف يمكن لأحد أداء حقه ، و حقوقه غير محصورة على حسب نعمائه .

و عن الزهري دخلت مع علي بن الحسين ﷺ على عبد الملك ، فاستعظم ما رأى من أثر السجود بين عينيه . فقال له : يا أبا محمد لقد تبين عليك الاجتهاد ، و لقد سبق لك من الله الحسنى ، و أنت بضعة من النبي ﷺ . فأجابه ﷺ في كلام طويل بأنه مع ذلك لم يؤد حقه تعالى . إلى أن قال ﷺ له : و الله لو تقطعت أعضائي و سالت مقلتاي على صدرى في قيامي له تعالى لم أشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون و يبلغ حد نعمة واحدة منها على جميع حمد الحامدين له تعالى . الخبر .

و قال بعضهم : قوله ﷺ : الذي لا يبلغ مدحته القائلون : إقرار بالعجز عن الحمد باللسان ، و قوله ﷺ : و لا يحصى نعمائه العادون : اعتراف بالقصور عن الشكر بالجنان

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ولا يؤدِّي حقه المجتهدون : اعتراف بالقصور عن العمل بالأركان .
«الذي لا يدركه بعد الهمم» : أي لا يصل إلى كنهه الهمم العالية الراقية إلى شواخ
الأُمور .

« ولا ينالُه غوص الفطن » : أي لا ينتهي إلى هويته الفطن القائصة في لجاج
الأفكار .

قال (خو) إضافة (بعد الهمم) و (غوص الفطن) ليس من باب إضافة الصفة إلى
الموصوف على ما قيل لوجوب المطابقة بين الصفة والموصوف .

قلت : ما قيل سليم ، وما قاله هو عليل ، فالمطابقة إنما في ما إذا بقيت الصفة على
وصفها لا بعد تبدلها . فيقال : زيد بعيد الهمم ، والأصل ذوهمم بعيدة .

ثم مثل قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا : الذي لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن قوله
عَلَيْهِ السَّلَامُ في الثالثة : فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ، ولا يناله حدس الفطن . فإن
الفرق بينهما إنما في اللفظ ، والمعنى واحد .

وما نقلناه (حدس الفطن) إنما هو في (حد ، و ثم) فنقل المصرية (حسن
الفطن) تصحيف .

وفي الكافي سأل أبو هاشم الجعفرى الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قوله تعالى « لا تدركه الأبصار
وهو يدرك الأبصار » ^(١) فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إن أوهام القلوب أدق من أبصار العيون أنت
قد تدرك بوهامك السند والهند ، والبلدان البعيدة التي لم تدخلها ، ولا تدركها ببصرك
وأوهام القلوب لا تدرك الله تعالى . فكيف أبصار العيون . هذا .

ومن المضحك أن جمهور متكلمي العامة يدعون أنهم يعرفون حقيقة ذاته ، و
أفراطوا في الوقاحة . فقالوا : إنه تعالى لا يعلم من ذاته إلا ما نعلم منها .

« الذي ليس لصقته » أي لتوصيفه . فيأتي كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ « وكمال الإخلاص له
نفى الصفات عنه » والمراد ليس لذاته .

« حدٌ محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجل ممدود » . لكون

هذه الأمور من عوارض الجسمانيات ، وهو تعالى منزّه عن ذلك .
 وروى توحيد الصدوق خطبة عنه عليه السلام في استنهاضه الناس إلى حرب معاوية
 ثانية وفيها «الذي ليس له وقت معدود ، ولا أجل ممدود ، ولا نعت محدود» .
 « فطر » عن ابن عباس كنت لا أدري ما «فاطر السماوات» حتى أتاني أعرايينان
 يختصمان في بشر . فقال أحدهما : أنا فطرتها : أي ابتدأتها .
 « الخلائق » من الجماد والنبات ، والوحش ، والطير ، والهوام ، والأنعام
 غير البشر .

« بقدرته » يمكن أن يكون المراد لإظهار قدرته . فيكون قوله هذا : « فطر
 الخلائق بقدرته » مساوقاً لقوله عليه السلام الآخر «عباد مخلوقون اقتداراً» ويمكن أن يكون
 المراد : أن خلقه تعالى الخلائق بنفس قدرته لا بمعونة أدوات وآلات كعمل
 المخلوقين . فيكون الكلام إشارة إلى قوله تعالى «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول
 له كن فيكون» (١) .

« ونشر الرياح برحمته » يمكن أن يكون المراد بالرحمة الأمطار كالرحمة في قوله
 تعالى « وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته » (٢) ويمكن أن يكون المراد
 بهاترحمه تعالى على عباده بنشر الرياح . فبالرياح يجيء السحاب كما عرفت من الآية ، و
 بالرياح تلقح الأشجار . قال تعالى « وأرسلنا الرياح لواقح » (٣) وبالرياح تسير
 السفن قال تعالى « إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره » (٤) ولولا الرياح
 لزويت النباتات ، و مات الإنسان والحيوانات ، و فسدت الجمادات .

والرياح لا تستعمل غالباً إلا في الخير كما في آيات : « وهو الذي يرسل الرياح »
 « وأرسلنا الرياح لواقح » « وهو الذي أرسل الرياح بشراً » (٥) . « ومن يرسل

(٢) الاعراف ٥٧ .

(٤) الشورى ٣٣ .

(١) يس ٨٢ .

(٣) الحجر ٢٢ .

(٥) الفرقان ٤٨ .

الرياح بشراً» (١). «ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات» (٢). «والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً» (٣) «و تصريف الرياح» (٤).

ومما جاء للمطلق «فأصبح هشيماً تذروه الرياح» لكن في قراءة: الريح .
كما أن الريح الأغلّب استعمالها في الشرّ كما في آيات «إذا أرسلنا عليهم الريح العقيم» (٥) «فيرسل عليكم قاصفاً من الريح» (٦) «أوتهبوى به الريح في مكان سحيق» (٧) «كر ماد اشتدت به الريح في يوم عاصف» (٨).

ومما جاءت للخير: «ولسليمان الريح عاصفة» (٩) «فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب» (١٠) «ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر» (١١) «إن يشأ يسكن الريح» (١٢).

وكذلك ريح بدون اللام يأتي لهما: قال تعالى «إننا أرسلنا عليهم ريحاً صريراً» (١٣) «ريح فيها عذاب أليم» (١٤) «فتذهب ريحك» (١٥).

ومما ذكرنا يظهر لك ما في قول الثعالبي في فقه لغته: لم يأت لفظ الريح في القرآن إلا في الشرّ، والرياح إلا في الخير. ثم ذكر آيات.
«وتد بالصخور»: أي الجبال.
«ميدان» أي اضطراب.

«أرضه» أي جعل الجبال أو تاداً للأرض لثلاً تضرب كأوتاد الخيم لثلاً تضرب، وإلى ذلك أشير في الكتاب في مواضع: منها «وألقى في الأرض رواسي أن

- | | |
|-------------------|-------------------|
| (١) النمل ٦٣ . | (٢) الروم ٤٦ . |
| (٣) فاطر ٩ . | (٤) البقرة ١٦٤ . |
| (٥) الذاريات ٤١ . | (٦) الاسراء ٦٩ . |
| (٧) الحج ٣١ . | (٨) ابراهيم ١٨ . |
| (٩) الانبياء ٨١ . | (١٠) ص ٣٦ . |
| (١١) سبأ ١٢ . | (١٢) الشورى ٣٣ . |
| (١٣) القمر ١٩ . | (١٤) الاحقاف ٢٤ . |
| (١٥) الانفال ٤٦ . | |

تميد بكم» (١) «والجبال أوتادا» (٢).

و في الصخور : أى الجبال فوائد أخرى غير منع الأرض من الميदान من كونها معادن للفلزات والأحجار الكريمة ، و خزائن مياه ، و منابت أشجار و نباتات و أزاهير و عقاقير ، و معاقل للناس عن أعدائهم و مساكن للوحوش و الطيور .

قول المصنّف في الثانية « و من خطبة له ﷺ » هكذا في (ثم ، و حد) و أمّا ما في المصنّف : و من خطبة أخرى . فتحريف ، و لا وجه لقوله : أخرى . فكل خطبة غير سابقتها .

قوله ﷺ فيها « الحمد لله الأول فلاشيء قبله ، و الآخر فلاشيء بعده ، و الظاهر فلاشيء فوقه ، و الباطن فلاشيء دونه » الأصل فيه قوله تعالى « هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم » (٣) .

قوله ﷺ في الثالثة « الأول الذي لا غاية له فينتهي ، و لا آخر له فينقضي » روى توحيد الصدوق أن ابن أبي يعفور قال للصادق ﷺ : قوله تعالى « هو الأول و الآخر عرفنا الأول بين لنا تفسير الآخر . فقال ﷺ له : إنه ليس شيء إلا يبيد أو يتغير أو يدخله الغير و الزوال أو ينتقل من لون إلى لون ، و من هيئة إلى هيئة ، و من صفة إلى صفة ، و من زيادة إلى نقصان ، و من نقصان إلى زيادة إلا رب العالمين . فإنه لم يزل و لا يزال بحالة واحدة . هو الأول قبل كل شيء ، و هو الآخر على ما لم يزل . لا تختلف عليه الصفات و الأسماء ما يختلف على غيره . مثل الإنسان الذي يكون تراباً مرة و مرة لحماً ، و مرة دماً ، و مرة رفاتاً و رميماً ، و كالتمر الذي يكون مرة بلحاً ، و مرة بسراً ، و مرة رطباً ، و مرة تمرأ . فيتبدل عليه الأسماء و الصفات و الله - عز - وجل - بخلاف ذلك .

٢١٢١ بعد ما مرّ : أول الدين معرفته ، و كمال معرفته التصديق

(١) النحل ١٥ .

(٢) النبأ ٧ .

(٣) الحديد ٣ .

به، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ
 الإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ . بِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ المَوْصُوفِ ،
 وَ شَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ . فَمَنْ وَصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ فَقَدْ
 قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَاهُ، وَمَنْ جَزَاهُ فَقَدْ
 جَهَلَهُ، وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَهُ، وَمَنْ حَدَهُ فَقَدْ
 عَدَهُ، وَمَنْ قَالَ: فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: عَلَيَّ مَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ .

« أول الدين » : أي أول ما يجب أن يتدبّر به .

« معرفته » : أي بالقلب والجنان . قال الرضا عليه السلام في علل رواها عنه الفضل بن
 شاذان . فإن قال : فما أول الفرائض . قيل : إنه الإقرار بالله و برسوله وبحججه ،
 وبما جاء من عنده لعلل كثيرة : منها أن من لم يقر بالله لم يتجنب من معاصيه ، ولم
 ينته عن ارتكاب الكبائر ، ولم يراقب أحداً في ما يشتهي ويستلذ من الفساد والظلم ،
 وإذا فعل الناس هذه الأشياء و ارتكب كل إنسان ما يشتهي و يهواه من غير
 مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين ، و وثوب بعضهم على بعض . فغصبوا الفروج
 والأموال ، وأباحوا الدماء والسبي ، وقتل بعضهم بعضاً من غير حق ولا جرم فيكون في
 ذلك خراب الدنيا ، وهلاك الخلق ، و فساد الحرث والنسل .

« و كمال معرفته » مضافاً إلى معرفته بالقلب .

« التصديق به » : أي الإقرار به باللسان حتى لا يكون من الذين جحدوا بآياته
 و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علواً . فإن أولئك معرفتهم ناقصة غير كاملة .

« و كمال التصديق به توحيد » بنفى الشريك عنه لأن من عرف بقلبه أن للعالم
 صناعاً ، و أقر به بلسانه لكن جعل له شريكاً في الابدان كالثنوية ، و من قال : هو
 ثالث ثلاثة . تصديقه ناقص لافائدة فيه .

« وكمال توحيده الإخلاص له » في العبادة لأن من وحدته في الإيجاد لكن جعل له شريكاً في العبادة كالوثنية الذين قالوا في أوثانهم « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » (١) توحيده غير كامل .

« وكمال الاخلاص له نفى الصفات » زائدة على الذات كما في الناس .

« عنه بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف » فعلم زيد غير ذات زيد .

« وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة » فذات عمرو غير حلمه ، وفي حديث الزنديق

الذي قال للصادق عليه السلام : هل تقول : إن الله سميع بصير . قال : نعم سميع بغير جارحة بصير بغير آلة . بل يسمع بنفسه ، و يبصر بنفسه ، وليس قولى : إنه سميع بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر ، ولكنى أردت عبارة عن نفسى . إذ كنت مسئولاً وإفهاماً لك . إذ كنت سائلاً فأقول : يسمع بكله لا أن كله له بعض لأن الكل لناذوب بعض ، ولكنى أردت إفهامك والتعبير عن نفسى ، وليس مرجعى في ذلك كله إلا أنه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ، ولا اختلاف المعنى .

وقيل للباقر عليه السلام : يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر ، و

يبصر بغير الذي يسمع . فقال عليه السلام : كذبوا ، وألحدوا ، وشبهوا تعالى الله عن ذلك يسمع بما يبصر ، و يبصر بما يسمع .

وكلامه عليه السلام ككلام عترته عليهم السلام رد على الصفاتية الذين يقال لهم اليوم الأشعرية .

قال الشهرستاني في ملله : اعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يشبّهون لله تعالى صفات

أزليته من العلم والقدرة ، والحياة والإرادة ، والسمع والبصر ، والكلام والجلال والإكرام

والجود والإنعام ، والعزة والعظمة ولا يفرقون بين صفات الذات و صفات الفعل بل

يسوقون الكلام سوقاً واحداً ، وكذلك يشبّهون مثل الديدن والرجلين ، ولا يكون ذلك إلا أنهم

يقولون بتسميتها صفات جبرية ، ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات ، والسلف يشبّهون سمي

السلف صفاتية ، و المعتزلة معطلة ، و بلغ بعض السلف في إثبات الصفات إلى حد

التشبيه بصفات المحدثات ، و اقتصر بعضهم على صفات دلّت الأفعال عليها ، و ما ورد

الخبر به فافترقوا فيه فرقتين : منهم من أوّلها على وجه يحتمل اللفظ ذلك ، و منهم من توقّف في التأويل .

إلى أن قال : ثم إن جماعة من المتأخّرين زادوا على ما قاله السلف . فقالوا : لا بدّ من اجراءها على ظاهرها ، والقول بتفسيرها كما وردت من غير تعرّض للتأويل ولا توقّف في الظاهر ، فوقعوا في التشبيه الصرف .

إلى أن قال : أمّا السلف الذين لم يتعرّضوا للتأويل ، ولا تهدّوا للتشبيه . فمنهم مالك بن أنس . إذ قال : الاستواء معلوم ، والكيفيّة مجهولة ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، و مثل أحمد بن حنبل و سفيان و داود الإصبهاني و من تابعهم حتّى انتهى الزمان إلى عبد الله بن سعيد الكلابي ، و أبي العباس القلانسي ، و الحرث بن أسد المحاسبي .

و هؤلاء كانوا من جملة السلف إلّا أنّهم باشروا علم الكلام و أيّدوا عقائد السلف بحجج كلاميّة و براهين أصوليّة و صنّف بعض . و درس بعض . حتّى جرى بين أبي - الحسن الأشعري ، و بين استاده مناظرة في مسألة من مسائل الصلاح والأصلح . فتخاصما و انحاز الأشعري إلى هذه الطائفة و أيّد مقالتهم بمناهج كلاميّة ، و صار ذلك مذهباً لأهل السنّة و الجماعة ، و انتقلت سمة الصفاتيّة إلى الأشعريّة ، و لمّا كانت المشبهة و الكرامية من مثبتى الصفات عدّناهم فرقتين من جملة الصفاتيّة .

« و من قرنه فقد ثنّاه و من ثنّاه فقد جزّاه » .

هكذا في النسخ ، و لا يبعد أن يكون وقع تحريف ، و أن الأصل : و من قرنه فقد جزّاه ، و من جزّاه فقد ثنّاه . فإنّ القول بثنّيته أشنع من القول بتجزّيته . فبطلان القول بالثنّية مسلم عند جميع فرق المسلمين بخلاف القول بتجزّيته . فيدين به المشبهة منهم و المجسّمة .

« و من قال في م » كمن قال إنّه في السماء .

« فقد ضمنّه » أي جعله في ضمن شيء .

« و من قال على م » كمن قال : إنّه على العرش .

« فقد أخلى منه » أى غير ذلك الشيء الذي قال هو عليه كالكرسى مثلاً وغيره .
قال ابن أبي العوجاء للصادق عليه السلام : أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض ،
وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء ؟ فقال عليه السلام : وصفت المخلوق الذي إذا انتقل
عن مكان اشتغل به مكان ، وخلا عن مكان . فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما يحدث
في المكان الذي كان فيه . فأما الله العظيم الشأن الملك الديان . فلا يخلو منه مكان ،
ولا يشتغل به مكان ، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان . هذا .

و روى الإرشاد هذه الفقرات عن الزهرى ، وعيسى بن زيد عن صالح بن كيسان
عنه عليه السلام هكذا : أول عبادة الله معرفته ، وأصل معرفته توحيده ، و نظام توحيده نفى
التشبيه عنه . جلّ عن أن تحلّه الصفات بشهادة العقول أن كل من حلته الصفات
مصنوع ، و شهادة العقول أنه - جلّ جلاله - ليس بمصنوع . بضع الله يستدلّ عليه
و بالعقول تعتقد معرفته ، و بالنظر تثبت حجته . جعل الخلق دليلاً عليه . فكشف به
عن ربوبيته . هو الواحد الفرد في أزليته لا شريك له في الهيئته ، ولاند له في ربوبيته
بمضادته بين الأشياء المتضادة علم أن لاضد له ، و بمقارنته بين الأمور المقترنة علم أن
لا قرين له .

و روى العيون ، والتوحيد ، و أمالى المفيد ، و أمالى الشيخ عن الرضا عليه السلام
خطبة في المعنى ، وهى : أول عبادة الله معرفته ، وأصل معرفته توحيده ، و نظام توحيده
نفى الصفات عنه ، لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق ، وشهادة كل موصوف
أن له خالقاً ليس بصفة ، ولاموصوف ، وشهادة كل صفة و موصوف بالاقتران ، وشهادة
الاقتران بالحدث ، و شهادة الحدث بامتناع من الأزل . الخبر .

٣ فى ١ ر ١ بعد ما مر : كَأَنَّ لَأَعْنَ حَدَثٍ ، مَوْجُودٌ لَأَعْنَ عَدَمٍ ، مَعَ
كُلِّ شَيْءٍ لَأَبْمُقَارَنَةٍ ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَأَبْمَزَايِلَةٍ . فَاعِلٌ لَأَبِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ
وَالْأَلَةِ . بَصِيرٌ إِذْ لَأَمَنْظُورِ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ . مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَأَسْكُنُ يَسْتَأْنِسُ بِهِ ،

وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ . أَنشَأَ الْخَلْقَ انْشَاءً ، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً ، بِالْأَرْوِيَةِ أَجَالَهَا ،
وَلَا تَجْرِبَةَ اسْتَفَادَهَا ، وَلَا حَرَكَةَ أَحْدَثَهَا ، وَلَا هِمَامَةَ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا ،
أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا ، وَلَا تَمَّ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا ، وَغَرَزَ غَرَائِزَهَا ، وَالزَمَهَا
أَسْبَابَهَا . عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا . مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا . عَارِفًا
بِقَرَائِنِهَا وَأَحْثَانِهَا .

« كائن لا عن حدث » لأنه مكوّن المحدثات .

« موجود لا عن عدم » لأنه موجد المعدومات .

« مع كل شيء لا بمقارنة » قال تعالى « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » . (١)

« وغير كل شيء لا بمزايلة » « ليس كمثله شيء » . (٢)

« فاعل لا بمعنى الحركات والآلة » « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » . (٣)

« بصير إن لا منظور إليه من خلقه » إن البصيرية من صفات ذاته تعالى كالسمعية والعالمية ، والقدرة لا من صفات الفعل حتى يستلزم أن يكون منظور إليه . قال الصادق عليه السلام : لم يزل الله تعالى ربنا ، والعلم ذاته ، ولا معلوم ، والسمع ذاته ، ولا مسموع ، والبصر ذاته ، ولا مبصر ، والقدرة ذاته ، ولا مقدور . فلمّا أحدث الأشياء وقع العلم منه على المعلوم ، والسمع على المسموع ، والبصر على المبصر ، والقدرة على المقذور .

(٢) الشورى ١١ .

(١) المجادلة ٧ .

(٣) يس ٨٢ .

« متوحد إذ لا سكن يستأنس به ، ولا يستوحش لفقده » إذ التوحيد من صفات ذاته ، والاستيناس ، والاستيحاش من صفات خلقه .

« أنشأ الخلق إنشاءً ، وابتدئه ابتداءً » .

ومعنى الإنشاء أنه تعالى أوجد الخلق لا من مادة ، ومعنى الابتداء أنه أوجدهم لا لتحصل له فائدة . فعن الرضا عليه السلام - في ما أملى في التوحيد على محمد بن زيد - الحمد لله فاطر الأشياء إنشاءً ، ومبتدعها ابتداءً بقدرته وحكمته لا من شيء فيبطل الاختراع ، ولا لعلمة فلا يصح الابتداع . خلق ما شاء كيف شاء .

« بلا رويةً » في الصحاح . الروية : التفكير في الأمر .

« أجالها » أي أدارها ، والأصل فيه الجولان .

« ولا تجربة استفادها » كالبشر في أموره .

« ولا حركة أحدثها » كما يفعل من يريد الاتيان بعمل .

« ولا همامة » قال (حد) إن همامة اصطلاح للثنوية ، وفي كتاب المقالات :

إن همامة من النور ، وهمامة من الظلمة : أي قطعة منهما غيرتا أو لا ثم تقارنتا حتى ابتنى منهما هذا العالم المحسوس ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام رد عليهم في اصطلاحهم ، وليست بلفظة عربية .

قلت : إن (حد) لا يراجع غير الصحاح ، وحيث لم يذكرها جعل اللفظة غير

عربية ، وهو غلط فتفهم عربيتها من كلامه عليه السلام ككلام غيره من العرب ، وذكرها القاموس واللسان لكن جعلها مصدراً من الهمم بالكسر بمعنى الشيخ الفاني .

قال الأوّل : والهمم والهممة بكسرهما : الشيخ الفاني ، وقد أهمم : جمع الهمم

أهمام ، وهي همّة ، وجمعها همّات وهمائم ، والمصدر : الهمومة والهمامة ، وقال الثاني : والهمم بالكسر : الشيخ الكبير البالي ، والأنثى همّة بيّنة الهمامة ، والمصدر : الهمومة والهمامة ، وقد انهمم ، وقد يكون الهمم والهمّة من الإبل قال : وناب همّة لا خير فيها .

والصواب أن يقال : إنه يجيء مصدراً من فعل الهمم الكذي قالوا وإن اختلفا فيه

مع كونه على خلاف القياس من أهمّ كان أو أنهم ، ويجيء مصدراً من هممت بالشيء إذا قصدته كما في كلامه عليه السلام ، وهو على القياس .
وبالجملة هل كتبوا اللغة إلا من موارد استعمال العرب ، وفي ما كتبوا نواقص ،
ولمن كتب أوهام حتى مثل الأصمعي الذي كان من أئمتهم فله أغلاط واضحة ، ومنها
في أبرد وأبرق ، وللصاح أوهام فاضحة ، ومنها في قوله : العلق : المتاع النفيس لقولهم :
علق مضنّة .

ومن الغريب أن (حد) يغلط يعرب بن قحطان إذا رأى في كلامه شيئاً على
خلاف قول الصحاح ، ومنه إنكاره كون الهمامة عربية لعدم ذكر الصحاح لها مع أن
الصحاح وإن لم يذكر اللفظة إلا أنه قال : يقال : أهممني الأمر إذا أفلقك وأحزنك
فلم لم يجعلها مشتقة منه كما يشهد له المقام ، ونفس الكلام .
« نفس اضطرب فيها » فإن كل ذلك من صفات الخلق .

« ولائم بين مختلفاتها » قال النظم : الدليل على الصانع إننا رأينا أشياء متضادة
من شأنها التنافي والتباين والتفاسد مجموعها ، وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
المجتمع في كل حيوان ، وفي أكثر سائر الأجسام فعلمنا أن جامعها قسرها على الاجتماع
ولو لا ذلك لتباينت وتفاسدت ، ولو جاز أن تجتمع المتضادات المتنافرات ، وتتقاوم
من غير جامع مدبّر مقيم يقيمها ، وهذا محال لا يتوهم ، وفي اجتماعها دليل على
حدوثها لأنها لا يجوز عليها الانفراد . فإذا كانت لا توجد إلا مجتمعاً بطل أن توجد
كذلك إلا بجامع جمعها صحّ أنه قبلها ، وأنها لم توجد إلا على أحد وجهين : إما أن
يكون كل واحد منها منفرداً وهذا محال أو تكون مجتمعاً لا جامع لها ، وهذا أيضاً
محال ، فقد صحّ أنها ابتدعت ، وأن الذي ابتدعها كان موجوداً قبلها .

وفي حديث الديصاني - وكان من الزنادقة - مع الصادق عليه السلام دلتني على معبودي
ولتسألني عن اسمي - وكان اسمه عبدالله - فقال عليه السلام له : اجلس وإذا غلام له صغير
في كفه بيضة يلعب بها فقال عليه السلام : يا غلام ناولني البيضة فناوله . فقال عليه السلام : يا ديصاني
هذا حصن مكنون له جلد غليظ ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق ، وتحت الجلد

الرقيق ذهبه مائة ، وفضة ذائبة . فلا الذهب المائعة تختلط بالفضة الذائبة ، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهب المائعة فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح . فيخبر عن صلاحها ، ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها . لا يدري أذكر خلقت أم للأثني . تنفلق عن مثل ألوان الطواويس . أترى لها مدبراً . فأطرق ملياً ثم قال : أشهد ألا إله إلا الله .

و قد كشف العلم الجديد أن الماء مركب من جزئين قتالين و بتركيبهما صاروا حياة لكل ذى روح .

« و غرز غرائزها » و هب لكل ذى طبيعة من نوع الإنسان و أجناس الحيوان و أصناف الطيور ، و أقسام الوحوش ، و صنوف الحيتان طبيعتها .

« و ألزمها أشباحها » هكذا في المصرية و (حد) و لكن في (ثم) أسفاخها .

جعل كل نطفة مبدء لدابة و طير و سابح ، و كل بذر منشأ لنبات و شجر .

« عالمها قبل ابتدائها » فإنه لو لم يكن عالماً بها قبل ابتدائها لما قدر على

ابتدائها ، و حيث إن علمه من صفات ذاته فعلمه بها قبلها كعلمه بها بعدها ، و أما البشر فقد يعمل عملاً فيجد أثراً فيه بدون علمه بترتبه .

« محيطاً بحدودها ، و انتهاءها » جعل لكل شيء حداً و انتهاء لا يتجاوزه فلنشو

الإنسان و الحيوان و الشجر و النبات حداً تنتهي إليه « إنما كل شيء خلقناه بقدر » (١) .

« عارفاً بقرائنها » أي ما يوافقها فيقرنها .

« و أحنائها » في الصحاح : الحنوباً لكسر : واحد أحناء السرج و القتب ، و حنو

كل شيء اعوجاجه ، و منه حنو الجبل . هذا .

و قال المجلسي : يفهم من قوله ﷺ « عارفاً بقرائنها و أحنائها » جواز إطلاق

العارف عليه تعالى ، و منعه بعضهم إنما يفهم منه جواز إطلاق عارف مقيّد لامطلق .

٤٨٤٤ وَ مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ (ع) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ
 وَ دَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ ، وَ امْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ البَصِيرِ . فَلَا عَيْنَ مِنْ لَمْ
 يَرَهُ تُنْكِرُهُ ، وَ لَا قَلْبَ مَنْ أَثْبَتَهُ يَبْصِرُهُ . سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ
 أَعْلَى مِنْهُ ، وَ قَرَبَ فِي الدُّنُوِّ . فَلَا شَيْءَ أَقْرَبَ مِنْهُ . فَلَا اسْتِعْلَاثَهُ بَاعِدَهُ
 عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَ لَا قُرْبَهُ سَاوَاهُمْ بِهِ فِي الْمَكَانِ بِهِ لَمْ يَطْلُعِ
 الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ ، وَ لَمْ يَحْجِبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ . فَهُوَ
 الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُودِ ، تَعَالَى
 اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْبِهُونَ بِهِ وَ الْجَاهِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا .

« الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور » أي صار باطناً لها حتى كأنها ظاهرة
 بالنسبة إليه تعالى كما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ في كلام له آخر « كل باطن غيره ظاهر » و ذلك
 لا يمكن درك ذاتها ، و استحالة ذلك في حقه تعالى .

و قال (حد) و تبعه (ثم ، و خو) : معنى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « بطن خفيات الأمور »
 علم بالباطن و الخفيات ، و هو كما ترى مع أنه يأباه قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد .

« و دلت عليه أعلام الظهور » فإنه دال على أن كنهه تعالى و إن كان أخفى
 الأمور إلا أن وجوده تعالى أجلى الأشياء ، و في غاية الظهور لكثرة شواهدة ، و توفّر
 أدلته « سريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » أو لم يكف
 بربك إنه على كل شيء شهيد ، (١) .

وفي كل شيء له آية ﴿ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ .

« و امتنع على عين البصير » أن تبصره و تراه ، و عن عاصم بن حميد ذكرت الصادق عليه السلام في ما يروون من الرؤية . فقال : الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي و الكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش ، و العرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب ، و الحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر . فان كانوا صادقين فليملاؤا أعينهم من الشمس ليس دونها حجاب .

و قال المفيد ، و بامتناع رؤيته تعالى بالبصر شهد العقل ، و نطق القرآن ، و تواتر الخبر عن أئمة الهدى عليهم السلام ، و عليه جمهور أهل الإمامة ، و عامة متكلميهم إلا من شذ منهم لشبهة عرضت له في تأويل الأخبار .

« فلا عين من لم يره تنكره ، و لا قلب من أثبتته يبصره » قال (حد) : روى هذه الفقرة على وجه آخر هكذا « فلا قلب من لم يره ينكره ، و لا عين من أثبتته تبصره » . قلت : هو أنسب جداً . فالإنكار ينسب إلى القلب ، و الإبصار إلى العين ، و الأول عكسه ، و لا يصح إلا بتأويل .

دخل رجل من الخوارج على الباقر عليه السلام و قال له : أي شيء تعبد؟ قال : الله تعالى . قال أرايته؟ . قال : بلى و لكن لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ، و لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان . لا يعرف بالقياس ، و لا يدرك بالحواس ، و لا يشبه بالناس ، موصوف بالآيات ، معروف بالعلامات . لا يجوز في حكمه ذلك الله لا إله إلا هو . فخرج الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

« سبق في العلو » لكونه خالفاً .

« فلا شيء أعلى منه » لأن كل شيء مخلوق له تعالى .

« و قرب في الدنو » فلا شيء أقرب منه « حتى أن المحتضر مع قرب أقاربه منه ذاك الحين ، و اجتماعهم حوله هو تعالى أقرب إليه منهم حتى يتوفى تعالى نفسه « فلو لا إذا بلغت الحلقوم و أنتم حينئذ تنظرون و نحن أقرب إليه منكم و لكن لا تبصرون » (١) و

حتى أن الأجزاء الباطنية للإنسان مع كونها في غاية القرب من صاحبها هو تعالى أقرب إليه منها « و نحن أقرب إليه من حبل الوريد »^(١) « يحول بين المرء و قلبه »^(٢) .
« فلا استعلائه باعدته عن شيء من خلقه » كما باعد استعلاء السماء على الأرض السماء عن الأرض .

« ولا قربه ساواهم في المكان به » كما ساوى قرب نفرين جارين بينهما في المكان لأن استعلائه و قربه ليس كاستعلاء بعض الخلق على البعض ، و كقرب بعضهم من بعض .
« لم يطلع العقول على تحديد صفته ، ولم يحجبها عن واجب معرفته » قال الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر : العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار ، ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته .

فإن قالوا : فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف ، ولا يحيط به . قيل لهم : إنما كلف العباد من ذلك في ما طاقتم أن يبلغوه ، وهو أن يوقفوا به ويقفوا عند أمره ونهيه ، ولم يكلفوا الإحاطة بصفته كما أن الملك لا يكلف رعيته أن يعلموا أطول أم قصير ، أبيض هو أم أسمر ، وإنما يكلفهم الإذعان لسلطانه والانتفاء إلى أمره ، ألا ترى أن رجلاً لو أتى إلى باب الملك وقال : اعرض علي نفسك حتى أتقصي معرفتك ، وإلا لم أسمع لك كان أحل بنفسه العقوبة . فكذا القائل إنه لا يقرب بالخالق سبحانه حتى يحيط بكنهه متعرض لسخطه .

« فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب بني الجحود » هو نظير قوله عليه السلام في ما يأتي « المتجمل لخلقته بخلقته ، والظاهر لقلوبهم بحجته » .

قال أبو منصور المتطبب : أخبرني رجل من أصحابي . قال : كنت أنا وابن أبي العوجاء ، وعبد الله بن المقفع في المسجد الحرام . فقال ابن المقفع : أترون هذا الخلق - وأومئ بيده إلى الطواف - ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية إلا ذلك الشيخ الجالس - يعني جعفر بن محمد عليه السلام - وأما الباقيون فرعاع وبهائم . فقال له ابن أبي العوجاء : وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ . قال : لأنني رأيت عنده

ما لم أره عندهم . فقال له ابن أبي العوجاء : لا بد من اختبار ما قلت فيه منه ، فقال له ابن المقفّع : لا تفعل فإنني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك . فقال : ليس ذا رأيك ، ولكن تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إياه المحل الذي وصفت . فقال له ابن المقفّع : أما إذا توهمت عليّ هذا فقم إليه وتحفظ ما استطعت من الزلل ، ولا تن عنانك إلى استرسال فيسلمك إلى عقاب وسمّة مالك وعليك .

قال : فقام ابن أبي العوجاء وبقيت أنا وابن المقفّع جالسين . فلما رجع إلينا قال : ويحك يا ابن المقفّع ما هذا ببشر وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظاهراً ويتروح إذا شاء باطناً فهو هذا . فقال له : وكيف ذلك ؟ قال : جلست عنده فلما لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال : إن كان الأمر على ما يقول هؤلاء - يعني أهل الطواف - وهو على ما يقولون فقد أسلموا وعطبتهم ، وإن يكن الأمر على ما تقولون - وليس كما تقولون - فقد استويتهم وهم .

قال : فقلت له : وأي شيء نقول وأي شيء يقولون ما قولي وقولهم إلا واحد ؟ فقال : وكيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون : إن لهم معاداً ، وثواباً وعقاباً ، ويدينون بأن في السماء إلهاً وأنها عمران ، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد . قال فاغتمتها منه . فقلت له : ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه ، ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف إثنان ، ولم احتجب عنهم ، وأرسل إليهم الرسل ، ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به . فقال لي . وبحك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك نشأك ولم تكن ، وكبرك بعد صغرك ، وقوتك بعد ضعفك ، وضعفك بعد قوتك ، وسقمك بعد صحتك ، وصحتك بعد سقمك ، ورضاك بعد غضبك ، وغضبك بعد رضاك ، وحننك بعد فرحك ، وفرحك بعد حزنك ، وحبك بعد بغضك ، وبغضك بعد حبك ، وعزمك بعد أناتك ، وأناتك بعد عزمك ، وشهوتك بعد كراهتك ، وكراهتك بعد شهوتك ، ورغبتك بعد رهبتك ، ورهبتك بعد رغبتك ، ورجائك بعد يأسك ، ويأسك بعد رجائك ، وخاطرك بما لم يكن في وهمك ، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك ، وما زال يعدد عليّ قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها

حتى ظننت أنه سيظهر في ما بيني وبينه .

ومن الشواهد على ما ذكره عليه السلام من إقرار قلب ذي الجحود أن كل جاحد إذا انقطع رجائه عن الأسباب الظاهرية ، وصار إلى الاضطرار يتوجه إلى مبدئه بلا اختيار « فطرة الله التي فطر الناس عليها » ^(١) « فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا لنكونن من الشاكرين » ^(٢) .

وحتى أن عمرو بن العاص الذي عادى النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاستسلم ولم يسلم وأسر كفره ثم عادى أمير المؤمنين عليه السلام إلى شهادته كان مقرراً بأن ما قدر الله تعالى يقع ، ولو على خلاف الأسباب الظاهرية . ففي صفين نصر أن معاوية لما أعطى عمرو بن العاص مصر ليعينه على أمير المؤمنين عليه السلام وكتب له كتاباً ، وكتب فيه : على أن لا ينقضى شرط طاعة . فكتب عمرو : ولا تنقض طاعة شرطاً ، وكايد كل منهما صاحبه قال لعمر بن عبد المطلب كان داهياً أتى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية ، وعلى حي وترأها أن صارت إلى معاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدمه في الكتاب . فقال له عمرو : إن الأمر لله دون علي ومعاوية .

« تعالى الله عما يقول المشبهون والجاهدون له علواً كبيراً » روى أنه قيل للرضا عليه السلام : إن محمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه في صورة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة . إلى أن قال : فخر الرضاء لله ساجداً . ثم قال : سبحانك ما عرفوك ولا وجدوك ، فمن أجل ذلك وصفوك . إلى أن قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم حين نظر إلى عظمة ربه كان النبي صلى الله عليه وسلم هو في هيئة الشاب الموفق وسن أبناء ثلاثين سنة قيل له : من كانت رجلا في خضرة قال : ذلك محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا نظر إلى ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب .

وروى أن الصادق عليه السلام قال لدواد الرقي : ما يقولون في قوله تعالى « وكان عرشه على الماء » ^(٣) قال يقولون : إن العرش على الماء ، والرب فوقه . فقال : كذبوا

(١) الروم ٣٠ (٢) العنكبوت ٦٥

(٣) هود ٧

من زعم هذا . فقد صير الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوق ، ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه .

وأما قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » ^(١) فهو من قبيل قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق بغير سيف ودم مهبraq
في كون المراد به مجرد الاستيلاء والسلطة .

هذا ، وفي كامل الجزري : وفي سنة (٢٢٣) خرج توقيع الخليفة - الراضي - في الحنابلة يوبخهم باعتقاد التشبيه ، وفي توقيعهم : أنكم تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين ، وهيتكم الرذلة على هيئته ، وتذكرون الكف والأصابع والرجلين والنعلين المذهبين ، والشعر القلط ، والصعود إلى السماء ، والنزول إلى الدنيا . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

قلت : والأصل في زعمهم قول النبي ﷺ : فإن الله تعالى خلق آدم على صورته ، والضمير في (صورته) راجع إلى رجل سبّه من قال النبي ﷺ له ذلك فتوهما رجوعه إلى (الله) . روى العيون أن بعضهم قال للرضا عليه السلام : إن الناس يروون أن النبي ﷺ قال : إن الله خلق آدم على صورته . فقال : قاتلهم الله لقد حذفوا أول الحديث ، إن النبي ﷺ مرّ برجلين يتسابان . فقال أحدهما لصاحبه : قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك . فقال له النبي ﷺ : لا تقل هذا للرجل فإن الله تعالى خلق آدم على صورته .

وفي الكامل أيضاً : وفي سنة (٤٥٨) توفي أبو يعلى الحنبلي مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة ، وفيه التجسيم وكان ابن تميم الحنبلي يقول : لقد خرى أبو يعلى على الحنابلة خرية لا يغسلها ماء .

هذا ، ونوع (حد) القول بالتشبيه من قائله أحد عشر نوعاً : كونه تعالى جسماً وجوهراً وذا أعضاء وذا جهة ، وكونه عرضاً ، ومحلاً لشيء آخر ، ومتحدأً بغيره ، وكونه

ذا أعراض ولون ، وذا شهوة ونفرة ، وذا تناء وكونه مرثياً ، ونقل في كل نوع أباويل من قائله إلا أن في نقله الغث والسمين . فنسب إلى جمع من أجلّة الشيعة أذليل كما نقل ما لا ينبغي نقله من ترهات قصص العامة مثل ما نقل عن قاص طبري أن في القيامة يخفى الله يزيد بن معاوية تحت قوائم عرشه من فاطمة ويرغبها في العفو عنه بإرائته لها قدمه المجروحة من سهم نمرود وعفوه عنه ، ونقل عن معاذ العنبري أن له جميع الأعضاء حتى الفرج . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

٥٢٢ و من خطبة له عليه السلام : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ
 حَالٌ حَالًا . فَيَكُونُ أَوْلَا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِرًا ، وَيَكُونُ ظَاهِرًا قَبْلَ
 أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا . كُلُّ مَسْمِيٍّ بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ . وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ
 ذَلِيلٌ ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ ، وَكُلُّ مَا لَكَ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ ، وَكُلُّ
 عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ
 يَصْمُ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ ، وَيَصْمَهُ كَبِيرَهَا ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا
 وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفَى الْأَلْوَانِ ، وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ ، وَكُلُّ
 ظَاهِرٍ غَيْرُهُ غَيْرِ بَاطِنٍ ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرِ ظَاهِرٍ . لَمْ يَخْلُقْ مَا
 خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانِ ، وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ ، وَلَا اسْتِعَانَةَ
 عَلَى نَدِّ مَثَاوِرٍ ، وَلَا شَرِيكَ مُكَاتِرٍ ، وَلَا ضِدَّ مُنَافِرٍ ، وَلَكِنْ خَلَأَتْ
 مَرْبُوبُونَ ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ ، لَمْ يَحُلْ فِي الْأَشْيَاءِ ، فَيَقَالُ هُوَ فِيهَا

كَائِنٌ ، وَلَمْ يَبْنَأْ عَنْهَا . فَيُقَالُ : هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ . لَمْ يُوَدِّهِ خَلْقٌ مَا
 ابْتَدَأَ ، وَلَا تَدْبِيرٌ مَا ذَرَأَ ، وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ ، وَلَا وَاجَتْ
 عَلَيْهِ شِبْهَةٌ فِي مَا قَضَى وَقَدَّرَ . بَلْ قِضَاءٌ مُتَقَنَّ ، وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ ،
 وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ ، الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ ، وَالْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ .

« الحمد لله » حمده تعالى باعتبار خمسة عشر وصفاً لا يوصف بواحد منها غيره

تعالى .

الأوّل : « الذي لم يسبق له حال حالاً . فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخراً »
 وغيره تعالى لا يوصف بالأوّلية ، والآخريّة في زمان واحد مثل أوّل سلطنة سلطان و
 آخرها أوّل فاكهة وآخرها ، وأما هو تعالى ، ففي كل وقت أوّل وآخر ، وسئل الصادق
 عليه السلام عن معنى الأوّل والآخِر فيه تعالى . فقال : الأوّل لاعتن أوّل قبله ، ولا عن بدء
 سبقه ، والآخِر لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين ، ولكن قديم أوّل آخر لم
 يزل ولا يزال بلا بدء ، ولا نهاية .

« ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً » هو أيضاً كسابقه تفريع على قوله « لم
 يسبق له حال حالاً » فكما أنّه تعالى في حين آخريته أوّل كذلك هو في حين باطنيته
 ظاهر . قال تعالى « هو الأوّل والآخِر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم » (١) .
 وقال الرضا عليه السلام في خبر في أسمائه تعالى : وأما الظاهر فليس من أجل أنّه
 على الأشياء بركوب فيها وفعود عليها ، وتسنّم لذراها ، ولكن ذلك لقهره وغلبيته
 الأشياء وقدرته عليها كقول الرجل : ظهرت على أعدائي ، وأظهرني الله على خصمي
 يخبر عن الفلج والغلبة . فهكذا ظهور الله على الأشياء ، ووجه آخر أنّه الظاهر لمن
 أرادته ، ولا يخفى عليه شيء ، وأنّه مدبّر لكلّ ما يرى فأبى ظاهر أظهر وأوضح

من الله تعالى لأنك لا تعدم صنعة الله حيثما توجهت ، وفيك من آثاره ما يفنيك ،
والظاهر من البارز بنفسه ، والمعلوم بحدوده . فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى .
وأما الباطن فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها ، ولكن ذلك
منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتديراً كقول القائل : أبطنته يعني خبرته ،
وعلمت مكتوم سره ، والباطن من الغائب في الشيء المستتر فقد جمعنا الاسم واختلف
المعنى .

الثاني : « كل مسمى بالوحدة غيره قليل » في وحدته روى الفتح بن يزيد عن
الرضا عليه السلام في خبر . فالإنسان واحد في الاسم ، ولا واحد في المعنى ، والله تعالى واحد
لا واحد غيره ولا اختلاف فيه ، ولا زيادة ولا نقصان . فأما الإنسان فهو المصنوع المؤلف
من أجزاء مختلفة ، وجواهر شتى غير أنه بالاجتماع شيء واحد .

وفي خبر عن الجواد عليه السلام : فلا يقال : الله مؤلف ، ولا : الله قليل ولا كثير ،
ولكنه القديم في ذاته لأن ما سوى الواحد متجزئ والله تعالى واحد لا متجزئ ، و
لامتوهم بالقلّة والكثرة ، وكل متجزئ أومتوهم بالقلّة والكثرة مخلوق دال على
خالق له .

الثالث : « وكل عزيز غيره ذليل » « أيبغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً »^(١)
والعزة في غيره تعالى وإن كان مجازياً إلا أنها أيضاً بيده فلا ينالها إلا من يشاء تعالى
« قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء
وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير »^(٢) .

كما أنه تعالى جعلها بمعنى آخر للمنسويين إليه « والله العزة ورسوله
وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون »^(٣) وكلتاها وإن كانت غير حقيقية إلا أن
الأولى ظاهرية والثانية باطنية .

(١) النساء ١٣٩ .

(٢) آل عمران ٢٦ .

(٣) المنافقون ٨ .

الرابع : « وكل قوى غيره ضعيف ، كيف لا يكون غيره ضعيفاً والإنسان الذي سخّر له ما في السماوات والأرض ، وقال تعالى فيه « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » (١) في غاية الضعف فقال تعالى « وخلق الإنسان ضعيفاً » (٢) ، وقال ﷺ : مسكين ابن آدم مكتوم الأجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل ، تؤلمه البقرة ، وتقتله الشارقة ، وتنتنه العرقة .

الخامس : « وكل مالك غيره مملوك » هو تعالى « له ملك السماوات والأرض » (٣) وغيره « ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً » (٤) « وما يملكون من قطمير » (٥) قال الجوهري : القطمير : القشرة الرقيقة التي في النواة ويقال : هو النكتة البيضاء التي في ظهر النواة التي تنبت منها النخلة .

السادس : « وكل عالم غيره متعلم » وأما هو تعالى فعلمه من صفات ذاته .
السابع : « وكل قادر غيره يقدر » على أشياء معدودة و « يعجز » عن أشياء غير محصورة ، وأما هو تعالى فقادر على كل أمر غير مستحيل ، وأما المستحيل كادخال الدنيا في بيضة مع ابقاء هما على حالهما كما اقترحه جاهل معاند . فخارج عن موضوع القدرة ، مع أنه تعالى فعل نظيره .

قال الديصاني لهشام بن الحكم : ألك رب ؟ قال : بلى . قال : أقدار هو ؟ قال : نعم . قال : يقدر أن يدخل الدنيا كلها البيضة لا تكبر البيضة ، ولا تصغر الدنيا . قال هشام : النظرة . قال : قد أنظرتك حولاً . فخرج عنه وركب إلى الصادق ﷺ . فاستأذن عليه ، وقال أتاني الديصاني بمسئلة ليس المعول فيها إلا على الله وعليك .

(١) الاسراء ٧٠ .

(٢) النساء ٢٨ .

(٣) الفرقان ٢-٣ .

(٤) فاطر ١٣ .

فقال : كيت وكيت . فقال ﷺ : يا هشام كم حواسك ؟ قال : خمس . قال : أيها أصغر ؟ قال : الناظر . قال : وكم قدره ؟ قال : مثل العدسة أو أقل . فقال ﷺ : فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بما ترى . فقال : أرى أرضاً وسما ، ودوراً وقصوراً ، وبراري وجبالاً ، وأنهاراً . فقال ﷺ : إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقل قادر على أن يدخل الدنيا كلها البيضة لاتصغر الدنيا ، ولا تكبر البيضة . فأكب هشام عليه ، وقبّل يديه ورجليه ورأسه ، وقال : حسبي ، ورجع إلى الديصاني فأجابه . فقال : ليس هذا من عندك .

الثامن : « وكل سميع غيره بصم » بالفتح كناية عن عدم السماع « عن لطيف الأصوات و بصمته » بالضم « كبيرها » وأما هو تعالى فيسمع السر وأخفى ، وهو ما خطر بالقلب « ويذهب عنه ما بعد منها » بخلافه تعالى . فالقرب و البعد عنده سواء بل ليس عنده قرب ولا بعد .

التاسع : « وكل بصير غيره بعمى » كناية عن عدم الرؤية « عن خفي الألوان ولطيف الأجسام » الظاهر سقوط ما يؤدى معنى قوله ﷺ في السابق « ويذهب عنه ما بعد منها » فكما يذهب عن كل سميع غيره تعالى ما بعد من الأصوات كذلك يذهب عن كل بصير غيره - جل وعلا - ما بعد من الألوان ولو كانت واضحة ، والأجسام ولو كانت عظيمة . فإن السامعة والباصرة منّا محدودتان ، وغاية ما قالوا في القصص التاريخية : إن زرقاء اليمامة كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام ، وأنها قالت لقومها جديس لما بعث ملك اليمن إليهم لأخذ ثار طسم منهم ، وكانوا خافوا أن تبصرهم فتنذرهم فيستعدوا ولا يقدروا عليهم . فقطعوا الأشجار وجعل كل رجل منهم بين يديه شجرة : أرى أشجاراً تقبل إليكم ، وأرى فيها رجلاً معه كنف يأكلها أو نعل يخصفها ففتنذوها فصبحوهم على غره وأبادوهم .

العاشر : « وكل ظاهر غيره غير باطن ، وكل باطن غيره غير ظاهر » لأن الظاهر والباطن في غيره تعالى ضد أن لا يجتمعان بخلافهما فيه - جل وعلا - كما عرفت معناهما في شرح قوله ﷺ « ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً » .

الحادي عشر : « لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان » وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ^(١) « ولا تخوف من عواقب زمان » كالمملوك في أفعالهم .

وفي الطبري : أن المنصور بنى الهاشمية قبالة مدينة ابن هبيرة التي كانت إلى جانب الكوفة ، وبنى أيضاً الرصافة بظهر الكوفة . فلما ثارت الراوندية في هاشمية كره سكنها لاضطراب من اضطرب أمره عليه من الراوندية مع قرب جواره من الكوفة ولم يأمن أهلها على نفسه . فأراد أن يبعدهم من جوارهم . فذكر أنه خرج بنفسه يرتاد موضعاً يتخذ مسكناً لنفسه وجنده . فبدأ فأنحدر إلى جرجرايا . ثم صار إلى بغداد . ثم مضى إلى الموصل . ثم عاد إلى بغداد . فقال : هذا موضع معسكر صالح هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء يأتينا فيها كل ما في البحر ، وتأتينا الميرة من الجزيرة وارمينية وما حول ذلك ، وهذا الفرات يجيء فيه كل شيء من الشام والرقعة وما حول ذلك . فنزل وضرب عسكره على الصراة وخط المدينة ، ووكل بكل ربع قائداً .

« ولا استعانة على ند » بالكسر المثل والنظير .

« مشاور » أي موائب .

« ولا شريك مكائر » كأهل الدنيا « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد » ^(٢) .

وفي المروج : كتب ملك الصين إلى أنو شيروان : من يعبور ملك الصين صاحب قصر الدرّ والجوهر الذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور الذي توجد رائحته على فرسخين ، والذي تخدمه بنات ألف ملك ، والذي في مربطه ألف فيل أبيض إلى أخيه أنو شروان .

(١) الذاريات ٥٦ و ٥٧

(٢) الحديد ٢٠ .

وفيه وكتب إليه ملك الهند : من ملك الهند وعظيم أراكنة المشرق ، وصاحب قصر الذهب ، وأبواب الياقوت والدر إلى أخيه ملك فارس صاحب التاج والراية أنو شروان .

« ولا ضد منافر ، كالسلاطين في استحكاماتهم .

وفي الطبري قيل للمنصور في ما قيل له في محاسن موضع بغداد ليتخذ حصناً : وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة فإذا قطعت الجسر ، وأخربت القناطر لم يصل إليك عدوك ، والتدبير في المدن أن تتخذ لها الأسوار والخنادق والحصون ، وأن دجلة والفرات خنادق لمدينتك .

« ولكن خلائق مريوبون ، وعباد داخرون » بالدال المهملة : أي صاغرون ذليلون « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » ^(١) فكيف يعمل عملاً لتشديد سلطان أو سائر ما ذكر .

الثاني عشر : « لم يحلل في الأشياء فيقال : هو فيها كائن ، ولم ينأ » بفتح الهمزة : أي لم يبعد ولم ينفصل « عنها فيقال هو منها بائن » مثلاً لا يقال : إنه تعالى حل في السماء كما لا يقال : إنه - عز وجل - نأى عن الأرض بل نسبتهما إليه تعالى على السواء « وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله » ^(٢) .

هذا ، وتوحيد الصدوق روى الثاني عشر قبل الحادي عشر ، والظاهر أصحيته فإن المناسب أن يكون قوله : لم يحلل - إلخ - بعد قوله : وكل باطن غيره غير ظاهر ، كما أن المناسب أن يكون الثالث عشر « لم يؤده » - إلخ - بعد قوله : لم يخلق - إلخ - لكونهما من واد واحد .

كما أنه زاد بعد قوله « بائن » : ولم يخل منها فيقال له : أين لكنّه سبحانه أحاط بها علمه ، وأتقنها صنعه ، وأحصاها حفظه . فالظاهر وقوع سقط في النهج لكون

(١) ابراهيم ١٩ .

(٢) المائدة ٣٢ .

الزائد من موضوعه كتقديم وتأخير .

الثالث عشر : « لم يؤده » أى لم يثقله من أده الحمل : أثقله أو من : أدنى هذا الأمر : بلغ منى المجهود « خلق ما ابتداء » « وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم » (١) « ولا تدبير ما ذرع » في الصحاح حكى بعضهم ذرات الأرض : أى بذرتها ، وأنشد :

شقت القلب ثم ذرات فيه هواك فليم فالتأم الفطور

« إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » (٢) « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا آتيننا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم » (٣) .

« ولا وقف به عجز عما خلق » هكذا في النسخ ، والظاهر وقوع تصحيف فقولك : وقف بى الأمر الفلانى عن الشيء الفلانى إنما يقال إذا لم تفعله فلا بد أن الأصل : « ولا وقف به عجز في ما خلق » أو « ولا وقف به عجز عما لم يخلق » .

و يشهد له رواية التوحيد للخطبة : ولا من عجز و فترة بما خلق اكتفى علم ما خلق و خلق ما علم .

الرابع عشر : « ولا ولجت عليه شبهة في ما قضى و قدر بل قضاء متقن و علم محكم ، وأمر مبرم » و في التوحيد . لا بالتفكير ولا بعلم حادث أصاب ما خلق ، ولا شبهة دخلت عليه في ما لم يخلق لكن قضاء مبرم - إلخ - .

« قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك و نقدس لك قال إنى أعلم ما لاتعلمون . إلى : فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والأرض و أعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون » (٤) .

(١) البقرة ٢٥٥ .

(٢) فاطر ٤١

(٣) فصلت ١١ و ١٢

(٤) البقرة ٣٠ - ٣٣ .

الخامس عشر «المأمول مع النقم والمرجو من النعم» هكذا في المصريّة والصواب والمرهوب مع النعم كما في (ثم ، وغيره) .

يدلّ على كونه تعالى مأمولاً مع النقم ، و مرهوباً مع النعم ما ورد أنّه تعالى قال لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ : بشرّ المذنبين ، و انذر الصّدّيقين .

قال داود : كيف ابشّر المذنبين ، و انذر الصّدّيقين . قال : بشرّ المذنبين أنّي أقبل التوبة وأعفو عن الذنب ، و انذر الصّدّيقين ألاّ يعجبوا بأعمالهم ، فإنّه ليس عبداً نصبه للحساب إلاّ هلك .

هذا ، ونقل (حد) هنا آياتاً وأبياتاً لربط لها بالمقام كقوله تعالى «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم» و كقول الشاعر :

من عاش لاقى ما يسوء ❖ من الأمور و ما يسرّ

٨١٦٦ و من خطبة له عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ . لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ ، وَلَا تَقَعُدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ ، وَلَا تَنَالُهُ التَّجَزُّؤَةُ وَالتَّبَعِيضُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ .

« و أشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له » روى ثواب الأعمال عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في خبر يقول تعالى : فمن لقيني منكم يشهد ألاّ إله إلاّ أنا . و أنّ محمداً عبدي و رسولي أدخلته الجنّة برحمتي .

« الأوّل لا شيء قبله ، و الآخر لا غاية له ، و في ١/٩٧ الأوّل قبل كلّ أوّل ، و الآخر بعد كلّ آخر بأوّليته و يجب أن لا أوّل له ، و بأخريته و يجب أن لا آخر له و في ١/٩٢ الحمد لله الأوّل فلا شيء قبله ، و الآخر فلا شيء بعده ، و الظاهر فلا شيء فوقه ، و الباطن فلا شيء دونه ، و مرّ الثاني في الأوّل في الثاني .

« لاتقع الأوهام له على صفة » في حديث الزنديق مع الصادق عليه السلام قال الزنديق إننا لانجد موهوماً إلا مخلوقاً . فقال عليه السلام : لو كان كما تقول كان التوحيد عنّا مرتفعاً لأننا لم نكلف أن نعتقد غير موهوم ولكننا نقول: كل موهوم بالجواس مدرك فما تجده الحواس، وتمثله فهو مخلوق ولا بد من إثبات صانع للأشياء خارج من الجهتين المذمومتين : إحداهما النفي إن كان النفي هو الإبطال والعدم ، و الجهة الثانية التشبيه في صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف فلم يكن بد من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار منهم إليه .

« ولا تقعد » هكذا في المصرية ، والصواب : ولا تعقد بتقديم العين كما في (ثم) و

غيره .

ومن الغريب أن محشئ المصرية قرّر الغلط وقال : هو مجاز عن استقرار حكمها . « القلوب منه على كيفية » هو رد على المشبهة حيث قالوا : كل ما لم تعقد القلوب منه على كيفية . ولم ترجع فيه إلى إثبات هيئة لم نعقل منه شيئاً . فرد عليه السلام عليهم أنه واحد بلا كيفية ، وأن القلوب تعرفه بلا إحاطة ، وقال الصادق عليه السلام : من نظر في الله كيف هو هلك .

« ولا تناله التجزئة والتبعيض » وما ورد من مثل « يد الله فوق أيديهم » ، و

بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ^(١) فكنايات واستعارات .

« ولا تحيط به الأبصار والقلوب » قال الصادق عليه السلام : يا ابن آدم لو أكل قلبك

طائر لم تشبعه ، و بصرك لو وضع عليه خرق إبرة لغطاه تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض . إن كنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول .

هذا . و يناسب كلامه عليه السلام في هذه الخطبة قول الهادي عليه السلام : إلهي تاهت أوهام

(١) البقرة ٢١٦ .

(٢) المائدة ٦٤

المتوهمين و قصر طرف الطارفين، وتلاشت أوصاف الواصفين ، واضمحلّت أفاويل المبطلين عن
الدرك لعجيب شأنك ، والوقوع بالبلوغ إلى علوك . فأنت في المكان الذي لا يتناهى ، ولم تقع
عليك عيون باشارة ولا عبارة هيئات ثم هيئات يا أولى يا وحدانى يا فردانى شمخت
في العلو مع الكبر ، و ارتفعت من وراء كل غور ونهاية .

٨٦٧ و من خطبة له عليه السلام : الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ
رُؤْيَةٍ ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ . الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا . اِذْ لَسَمَاءُ ذَاتُ
اِبْرَاجٍ ، وَ لَاحْجَبُ ذَاتِ اِرْتَاجٍ ، وَ لَآئِيلُ دَاجٍ ، وَ لَآ بَحْرُ سَاجٍ ، وَ لَاجِبَلُ
ذُو فَجَاجٍ ، وَ لَافِجُ ذُو اِعْوِجَاجٍ ، وَ لَآ اَرْضُ ذَاتِ مِهَادٍ ؛ وَ لَآ خَلْقُ
ذُو اِعْتِمَادٍ . ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَ وَاِثْنُهُ ، وَ اِلَهُ الْخَلْقِ وَ رَازِقُهُ ،
وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ يَبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَ يَقَرُّ بَانَ
كُلَّ بَعِيدٍ . قَسَمَ اِرْزَاقَهُمْ ، وَ اَحْصَى اَثَارَهُمْ وَ اَعْمَالَهُمْ ، وَ عَدَدَ
اَنْفَاسِهِمْ ، وَ خَائِنَةَ اَعْيُنِهِمْ ، وَ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ وَ
مُسْتَقْرَهُمْ وَ مُسْتَوْدِعَهُمْ مِنَ الْاَرْحَامِ وَ الظُّهُورِ اِلَى اَنْ تَتَنَاهَى
بِهِمُ الْغَايَاتُ . هُوَ الَّذِي اَشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى اَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ ،
وَ اتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِاَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ . قَاهِرٌ مِنْ عَازِهِ ، وَ مَدْمَرٌ
مِنْ شَاقِهِ ، وَ مُدْلٌ مِنْ نَآوَاهِ ، وَ غَآلِبٌ مِنْ عَادَاةِ ، وَ مَنْ تَوَكَّلَ
عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَ مَنْ سَأَلَهُ اَعْطَاهُ ، وَ مَنْ اَقْرَضَهُ قَضَاهُ ، وَ مَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ .

« الحمد لله » حمده على أوصاف أوجبت حمده :

الأول : « المعروف من غير رؤية » الأُبصار بل من رؤية القلوب .

و أملى الرضا عليه السلام في التوحيد : احتجب بغير حجاب محجوب ، واستتر بغير ستر مستور . عرف بغير رؤية ، و وصف بغير صورة ، و نعت بغير جسم . لا إله إلا الله الكبير المتعال .

الثاني : « والخالق من غير رؤية » بخلاف باقي الصانعين .

والثالث : « الذي لم يزل قائماً دائماً » قبل أن يكون خلق .

« إذ لاسماء ذات أبراج » قال في اللسان : الأبراج : جمع البرج كالبروج قال تعالى « والسماء ذات البروج »^(١) « تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً »^(٢) « و لقد جعلنا في السماء بروجاً وزينناها للنظرين و حفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين »^(٣) .

والبروج الإثني عشر معروفة ، و عن الفراء : اختلفوا في البروج فقيل : هي

النجوم ، و قيل : هي القصور في السماء ، و قيل : هي البروج المعروفة .

« ولا حجب » و في خبر زيد بن وهب سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحجب .

فقال : أول الحجب سبعة غلظ كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام ، و طوله خمسمائة عام حجة كل حجاب منها سبعون ألف ملك ، قوة كل ملك منهم قوة الثقلين منها ظلمة و منها نور ، و منها نار ، و منها دخان ، و منها سحب ، و منها برق ، و منها مطر ، و منها رعد ، و منها ضوء ، و منها رمل ، و منها جبل ، و منها عجاج ، و منها ماء ، و منها أنهار ، و هي حجب مختلفة غلظ كل حجاب منها مسيرة سبعين ألف عام . الخبر « ذات ارتاج » بالكسر بمعنى الاغلاق .

« ولا ليل داج » في معنى قوله تعالى « والليل إذا يغشى » قال الأصمعي : دجا

(١) البروج ١ .

(٢) الفرقان ٦١ .

(٣) الحجر ١٦ .

الليل إنما هو ألبس كل شيء ، و ليس هو من الظلمة ، و منه قولهم : دجا الإسلام : أي قوى ، وألبس كل شيء .

و مما ذكرنا يظهر لك ما في قول الشراح : ليل داج : أي مظلم .

« ولا بحر ساج » أي ساكن . قال الأعشى :

فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمكم ❖ و بحرك ساج لا يوارى الدعامصا

و منه أيضاً « والليل إذا سجي » ^(١) أي بلغ النهاية في الظلمة فسكن .

« ولا جبل ذو فجاج » فجاج : جمع فج . قال تعالى « من كل فج عميق » ^(٢) و في

اللسان قال ابو الهيثم : الفج : الطريق الواسع في الجبل ، و كل طريق بعد فهو فج .

و قول بعضهم : الفج : الطريق الواسع بين الجبلين ياباه قوله ^(٣) هذا

فجعل ^(٤) لجبل واحد فجاجاً بل الأصل فيه الطريق الواسع ، ولو لم يكن في جبل

قال تعالى « والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً » ^(٥) وكون الجبل

ذافج لا يستلزم أن يكون كل فج في الجبل . فهو نظير أن تقول : جبل ذوعيون مع

حصول العين في غير الجبل .

« ولا فج ذو اعوجاج » هو أيضاً لا يستلزم أن يكون الفج معوجاً ، وإنما هو

وصف غالبى كسابقه . فإن الأغلب في الجبال أن تكون ذات فجاج كما أن الأغلب في

الفجاج أن تكون ذات اعوجاج .

« ولا أرض ذات مهاد » « ألم نجعل الأرض مهادا » ^(٦) « والأرض فرشناها فنعم

المهادون » ^(٧) « الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً » ^(٨) « الذي

(١) الضحى ٢ .

(٢) الحج ٢٧ .

(٣) نوح ٢٠ .

(٤) النبأ ٦ .

(٥) الذاريات ٤٨ .

(٦) الزخرف ١٠ .

جعل لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبلاً» (١).
 هذا، ونقل الهيئة والإسلام عن بعضهم الاستدلال بالآية الأخيرة على حركة الأرض
 لكون المهدي يتحرك بلا اضطراب . قلت : ومثلها الآية الثالثة .
 « ولا خلق ذو اعتماد » قال (حد) : أي لا مخلوق يسعى برجلين فيعتمد عليهما
 ويجوز أن يراد بالاعتماد هنا البطش والتصرف .

قلت : بل الظاهر أن المراد أنه لم يكن مخلوق من مخلوقاته الحيّة التي لها
 قصد في مآربهم وحوادثهم . يقال : اعتمد فلان فلاناً في حاجته : إذا قصده ، ومنه قتل
 العمد: أي قتل عن قصد ، وقال خفاف بن ندبة .

إن تك خيلي قد أصيب صميمها ☆ فعمداً على عين تيمّمت مالكا
 « والشمس والقمر دائبان » أي جادان من دأب فلان : أي جدّ وتعب ، والأصل
 في كلامه ﷺ قوله تعالى « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين » (٢).

« في مرضاته » حيث إنهما مسخران له فلا يقدران خلافه . قال تعالى « والشمس
 تجري مسطرّةً لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قد رآه منازل حتى عاد كالعرجون
 القديم » (٣) وقال الصادق عليه السلام للزنديق المصري : يلجان ليس لهما مكان إلا مكانهما .
 فإن كانا يقدران أن يذهبا ولا يرجعا . فلم يرجعا . فإن لم يكونا مضطربين فلم لا يصير
 الليل نهاراً والنهار ليلاً اضطرباً والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما ، والذي اضطربهما
 أحكم منهما وأكبر . فقال : صدقت .

« يبليان » أي يجعلان باليا .

« كل جديد » قال أبو النجم :

مميز عنه قنزعاً عن قنزِع ☆ جذب الليالي أبطاي أو أسرعى

(١) طه ٥٣ .

(٢) إبراهيم ٣٣

(٣) يس ٣٨ و ٣٩

أفناه قيل الله للشمس اطلعي * حتى إذا وارك افق فارجمي

« ويقر بان كل بعيد » قال الصلتان العبدى :

أشاب الصغير وأفنى الكبير إذا * هرمت ليلة يومها أتى بعد ذلك يوم فتى

« قسم أرزاقهم ، وأحصى آثارهم وأعمالهم » قالوا : مأخوذ من قوله تعالى

« نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا »^(١) وقوله تعالى « ونكتب ما قدموا و

آثارهم »^(٢) .

قلت : ومن قوله - عز وجل - « فالمقسمات أمراً »^(٣) « وكل صغير وكبير

مستقر »^(٤) « وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد »^(٥) و « وإن عليكم لحافظين

كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون »^(٦) .

« وعدد أنفاسهم » في الخبر أن المراد من قوله تعالى « إنما نعد لهم عدأ »^(٧)

عدأ الله تعالى لعدد أنفاس عبده لانسنيهم فإن سنيهم يعدها أبواهم أيضاً .

« ومستقرهم و مستودعهم من الأرحام و الظهور إلى أن تنهاهم بهم الغايات »

وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقرهم و مستودعهم قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون »^(٨)

« وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها و يعلم مستقرها و مستودعها كل في كتاب

مبين »^(٩) .

وعن الحسن : الإنسان مستقر في القبر و مستودع في الدنيا ، وقال سليمان

العدوى :

(١) الزخرف ٣٢ .

(٢) يس ١٢ .

(٣) الذاريات ٤ .

(٤) القمر ٥٣ .

(٥) ق ١٨ .

(٦) الانفطار ١٢ .

(٧) مريم ٨٤ .

(٨) الانعام ٩٨ .

(٩) هود ٦ .

فجع الأحيّة بالأحيّة قبلنا * فالناس مفجوع به ومفجع
 مستودع أو مستقرّ مدخلا * فالمتقررّ يزوره المستودع
 والظاهر أنّ كلامه ﷺ ناظر إلى قوله تعالى « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة
 من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين ثمّ خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا
 المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثمّ إنكم
 بعد ذلك لميئتون ثمّ إنكم يوم القيامة تبعثون » (١) .

« هو الذي اشتدتّ نعمته على أعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لأوليائه في
 شدة نعمته » بخلاف الملوك فلا تجتمع فيهم شدة النعمة وسعة الرحمة في وقت واحد ،
 وفي دعاء الافتتاح : وأيقنت أنّك أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة ، وأشدّ
 المعاقبين في موضع النكال والنقمة .

« قاهر من عازة » أي غالبه بمعنى أراد الغلبة عليه « وقال فرعون يا أيها الملأ
 ما علمت لكم من إله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع
 إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحقّ
 وظنّوا أنّهم إلبنا لا يرجعون فأخذناهم وجنوده فنبذناهم في اليمّ فانظر كيف كان عاقبة
 الظالمين » (٢) .

« ومذلّ من نأواه » أي عاداه . قال الجوهري : وأصله الهزمة لأنّه من النوء
 وهو النهوض . قال تعالى « وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فأخذتهم فكيف كان
 عقاب » (٣) « ومنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به
 الأرض ومنهم من أغرقنا » (٤) .

« وغالب من عاداه » قال تعالى « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس
 لا يعلمون » (٥) وقال الشاعر في قيام قريش ، وكانوا يكتنون عنهم بسخينة على رسوله ﷺ .

(١) المؤمنون ١٤ - ١٦ . (٢) القصص ٣٨ - ٤٠ .

(٣) المؤمن ٥ . (٤) العنكبوت ٤٠ .

(٥) يوسف ٢١ .

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ☆ وليغلبن مغالب الغالب
 « ومن توكل عليه كفاه » « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » (١) ، وقد كفى
 تعالى من المتوكلين عليه خليله ابراهيم عليه السلام قال تعالى « قالوا حرّ قوه وانصروا
 آلهم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً
 فجعلناهم الأخسرين » (٢) .

وكفى حبيبه محمداً عليه السلام قال تعالى له « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين
 إننا كفيناك المستهزئين » (٣) فأهلك تعالى جميع المستهزئين به : الوليد بن المغيرة ،
 والعاص بن وائل ، وعدى بن قيس ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ،
 وغيرهم كل واحد ببليّة .

« ومن سأله أعطاه » قال زكريا « فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب
 واجعله ربّ رضيعاً يا زكريا إننا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً
 قال رب أنى يكن لي غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً قال كذلك
 قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً » (٤) .

« ومن أقرضه قضاة » وأعطاه ما أقرض « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً
 فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » (٥) « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله
 أجر كريم » (٦) .

« ومن شكره جزاه » « لئن شكرتم لأزيدنكم » (٧) .

(١) الطلاق ٣ .

(٢) الانبياء ٦٨ - ٧٠ .

(٣) الحجر ٩٤ - ٩٥ .

(٤) مريم ٥ - ٩ .

(٥) البقرة ٢٤٥ .

(٦) الحديد ١١ .

(٧) ابراهيم ٧ .

٨٧٨ ومن خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الأشباح ، وهي من جلائل خطبه ، وكان سأله سائل أن يصف الله حتى كأنه يراه عياناً فغضب (ع) لذلك .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنَعُ وَالْجَمُودُ ، وَلَا يَكْدِيهِ الْأَعْطَاءُ
وَالْجُودُ . إِذْ كُلُّ مَعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ
وَهُوَ الْمَنَانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقَسَمِ ، عِيَالَهُ الْخَلْقِ ،
ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَقَدَّرَ أَقْوَانَهُمْ ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِبِينَ إِلَيْهِ ،
وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجُودَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلِ . الْأَوَّلُ
الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ
فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ ، وَالرَّادِعُ أَنَا سِيَ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ
مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفُ مِنْهُ الْحَالُ ، وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ
عَلَيْهِ الْأَنْتِقَالُ .

قول المصنف : تعرف بخطبة الأشباح . قال (حد) : المراد بالأشباح الملائكة لأن الخطبة تتضمن ذكر الملائكة ، وتبعه (خو) إلا أن الظاهر أن الخطبة كانت متضمنة لذكر لفظ الأشباح كما أن الخطبة الشقشقية متضمنة لذكر الشقشقة ، وروى الروضة خطبة معروفة بالطالوتية تضمنت قصة طالوت ، وروى خطبة معروفة بالوسيلة لكونها متضمنة لذكر الوسيلة ، وفي هذه وإن لم نقف على لفظ أشباح إلا أن

المصنّف لم ينقل جميعها بل انتخب منها . فقال تارة فيها : منها في صفة خلق السماء ، وأخرى قال : منها ثم خلق سبحانه ، وثالثة : منها في صفة الأرض .

ولو كانت العلة ما ذكر كان كثير من خطب النهج متضمناً لذكر الملائكة ، ومنها في الأولى فلم خصت هذه بالتسمية مع أنه أي مناسبة للتعبير عن الملائكة بالأشباح وإنما استعمل الأشباح في كلامه عليه السلام في مقابل الأجناس ففي خطبة له عليه السلام رواها توحيد الصدوق ليس بجنس فتعادل الأجناس ، ولا بشبح فتضارعه الأشباح ، والظاهر أن المراد به الجسميّة . ففي أخرى رواها ليس بشبح فيرى .

والظاهر أنه كان فيها هذه الفقرة : وكيف يوصف بالأشباح وينعت بالألسن الفصاح . رواها أو آخر توحيد توحيدة فسقطت منها يعني لم ينقلها .

« وهي من جلائل » جمع الجليلة .

« خطبه » وفي (حد) الخطب .

« وكان سأله سائل » هكذا في المصرية ، ولكن في (ثم ، والخطبة) : وكان

سائل سئله .

« أن يصف الله » هكذا في المصرية ، وزاد (ثم) : تعالى ، و (الخطبة) : له .

« حتى كأنه يراه عياناً فغضب عليه السلام لذلك » زاد (ثم) : وقال الخطبة .

ثم الكلام من قوله : وكان . إلى : لذلك في المصرية و (ثم ، والخطبة) على اختلاف عرفت ، وليس في (حد) رأساً ، ونقل (حد) بدل ذلك الكلام : روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة على منبر الكوفة ، وذلك أن رجلاً أتاه فقال : يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا مثل ما نراه عياناً لنزداد له حباً وبه معرفة فغضب ونادى الصلاة الجامعة فاجتمع إليه الناس حتى غص المسجد بأهله فصعد المنبر وهو مغضب متغيّر اللون فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلوات الله عليه وآله ثم قال .

ومثله نقل (ثم) زائداً على ذلك الكلام بدون فقرة : مثل ما نراه عياناً ، وتبديل

- ثم قال - في الآخر بقوله : - ثم خطبها - وليس في الخطبة رأساً .

وجمع الرضى - رضوان الله عليه - بينهما مشكل حيث إنه كالتكرار ، وليس ذلك دأبه ، وكان نسخ النهج كانت مختلفة ، فنسخة (حد) منه كان متضمناً لنقل الرواية ، ونسخة الخطيئة لنقل الكلام بدلها و (ثم) جمع بينهما .

وكيف كان فلاريب أنه رواية مسعدة عن الصادق عليه السلام . فروى توحيد الصدوق عن الأسيدي عن البرمكي عن علي بن العباس عن اسماعيل بن مهرا ن عن اسماعيل بن إسحاق الجهنبي عن فرج بن فروة عن مسعدة عن الصادق عليه السلام بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة إذ قام إليه رجل . فقال : صف لنا ربك لنزدادله حباً وبه معرفة فغضب عليه السلام ونادى الصلاة جامعة . فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله ثم قام متغير اللون . فقال : الحمد لله الذي لا يفره المنع ، ولا يكديه الإعطاء - إلخ - لكن ليس فيه جميع ما في النهج ، وفيه اختلافات .

وكيف كان فإنما غضب عليه السلام لأنه أحس من الرجل أنه طلب منه عليه السلام وصفه تعالى بالكنه ، وتعريفه بالتشبيه ففي الخطبة على رواية التوحيد : الذي عجزت الملائكة على قربهم من كرسي كرامته ، وطول ولهمم إليه ، وتعظيم جلال عزه ، وقربهم من ملكوته أن يعلموا من أمره إلا ما أعلمهم .

وفيها أيضاً : أيها السائل اعلم أن من شبه ربنا الجليل بتباين أعضاء خلقه - إلخ - فسؤال الرجل و غضبه عليه السلام نظير سؤال بني إسرائيل من موسى بن عمران عليه السلام أن يريهم الله عياناً . فغضب تعالى عليهم كما أخبر - عز وجل - عنهم بقوله « وإن قلمت يا موسى لنؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون » (١) . « الحمد لله الذي لا يفره هنا متعد » و يأتي لازماً أيضاً يقال : وفرت الشيء و فرت الشيء .

« المنع » كالنأس .

« والجمود » هكذا في المصرية ، وليست الكلمة في (حد) ، و ثم ، والخطيئة) فهي

زائدة .

« ولا يكديه » بالضم . قال تعالى « وأعطى قليلاً و أكدى »^(١) أي قطع القليل .

« الإِطاء و الجود » كالمخلوقين .

« إن كل معط منتقص سواه » علة لقوله : « ولا يكديه الإِطاء و الجود » .

« و كل مانع مذموم » صفة مانع .

« ما خلاه » يعني سواه ، والجملة علة لقوله : لا يفره المنع يعني ليس منعه بخلاً

فيستحقّ الذم بل حكمة فيستحقّ الحمد أيضاً لأنه منع ظاهراً و أعطى في الحقيقة ،

و المعنى « و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض و لكن ينزل بقدر ما يشاء إنّه

بعباده خبير بصير »^(٢) « و أصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون و يكأنّ الله يبسط

الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا »^(٣) .

و وجه كونه علة أن المنع لو فر المال مذموم لكونه بخلاً .

« و هو » هكذا في المصرية ، و الصواب : هو كما في (حد ، و ثم ، و الخطيئة) .

« المنان بفوائد النعم ، و عوائد المزيد و القسم » « ولكن الله يمنّ على من يشاء

من عباده »^(٤) « قال أنا يوسف وهذا أخى قد منّ الله علينا إنّه من يتّق و يصبر فإنّ الله

لا يضيع أجر المحسنين »^(٥) .

« عياله الخلق » هكذا في المصرية ، و الصواب : الخلائق كما في (حد ، و ثم ،

و الخطيئة) فالنهج كان الخلائق ، و لكن نقله التوحيد : و بجموده ضمن عياله الخلق ،

و في دعاء أبي حمزة : و الخلق كلهم عيالك ، و في قبضتك « و ما من دابة في الأرض إلا

على الله رزقها و يعلم مستقرّها و مستودعها كل في كتاب مبين »^(٦) « ولا تقتلوا أولادكم

خشية إِملاق نحن نرزقهم و إيتاكم إن قتلهم كان خطأً كبيراً »^(٧) .

(١) النجم ٣٤ .

(٢) الشورى ٢٧ .

(٣) القصص ٨٢ .

(٤) ابراهيم ١١ .

(٥) يوسف ٩٠ .

(٦) هود ٦ .

(٧) الاسراء ٣١ .

« ضمن أرزاقهم » أي أرزاق جميع خلقه من الإِنسان وأقسام الحيوان ، وأصناف الطير ، و صنوف الوحش و الهوام و الحيتان ، و لكن غلب الإِنسان في الضمير .

« و قدر أوقاتهم » و هو أيضاً من باب التغليب فقد ر لكل جنس قوته بحسب ما يناسبه حتى الجنين و الرضيع ، و الأصل في كلامه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قوله تعالى « و قدر فيها أوقاتها في أربعة أيام سواء للسائلين » (١) .

« و نهج » أي : أوضح .

« سبيل الراغبين إليه » لعبادته .

« و الطالبين ماله » من الأجر و الثواب بنهج السبيل بخلق العقول لهم ، و بعث الرسل إليهم و إنزال الكتب عليهم .

« و ليس بما سئل بأجود منه بما لم يسئل » و في الدعاء : يا من يعطي من سأله ، و من لم يسأله تحنناً منه و رحمة .

و في الخبر : كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو إن موسى بن عمران خرج يقتبس ناراً فرأى نوراً فصار كليم الله ، و إن ملكة سبا خرجت إلى سليمان لحفظ دنياها فأحرزت آخرتها ، و إن سحرة فرعون خرجوا يطلبون أجرة ففازوا بالسعادة الأبدية .

« الأوّل الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله ، و الآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده مر » نظيره .

و « الرادع » أي المانع .

« أناسي » جمع إنسان العين ، و في الصحاح : إنسان العين : المثل الذي يرى في السواد و لا يجمع على أناس بل على أناسي . قال ذو الرمة يصف إبلاً غارت عيونها من التعب و السير : أناسي ملحود لها في الحواجب .

« الأبصار عن أن تناله » : أي تصله .

« أو تدركه » كما تدرك الأجسام . قال الصادق عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : إن الأبصار لا تدرك إلا

ماله لون و كيفية ، والله خالق الألوان والكميات « ولما جاء موسى لميقاتنا و كلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني و لكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً و خرّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك و أنا أول المؤمنين ، (١) .

هذا . وفي الطبرى وجهه الواثق في سنة [٢٣١] لما أراد فداء المسلمين من يمتحن الأسرء منهم . فمن قال : إن الله - عز وجل - لا يرى في الآخرة فودى به ، و من لم يقل ذلك ترك في أيدي الروم .

وفيه أيضاً قتل الواثق بيده بسيف عمرو بن معديكرب أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي - و كان جدّه مالك أحد نقباء بني العباس - و حظر على رأسه في بغداد حظيرة و ضرب عليه فسطاط ، و أقيم عليه الحرس ، و عرف ذلك الموضع برأس أحمد بن نصر ، و كتب في أذنه رقعة : هذا رأس الكافر المشرك الضال الذي أقرّ بالتشبيه ، و تكلم بالكفر فاستحلّ دمه ، و كان الواثق قال له : ما تقول في ربك ؟ فقال : جاءت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال : ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فذعن على الخبر ، و قال حدثني سفيان بن عيينة بحديث يرفعه أن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الله يقلمه و أن النبي ﷺ كان يدعو : يا مقلب القلوب ثبت قلبي - إلخ - و خبره الأول موضوع و أخيرا عمّا رآه بمراحل .

« ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال » يمكن أن يريد ﷺ بعدم اختلاف الحال منه تعالى لعدم اختلاف الدهر عليه بالنسبة إلى الفقرات المذكورة قبله من إعطائه تعالى و منعه ، و ضمانه للأرزاق ، و تقديره للأقوات ، و نهجه السبيل ، و استواء المسائل فيه عنده مع غيره ، و غيرها فإن أسخياء الناس إنما يجودون إذا جاد عليهم الزمان ، و يبخلون إذا بخل عليهم ، و يعطون أو لا ثم يمنعون ، و يضمنون شيئاً ثم يتبرعون كل ذلك بحسب تأثير الدهر و الزمان فيهم ، و هو تعالى منزّه عن ذلك .

و يمكن أن يريد ﷺ به الأعم مثلاً الإنسان في نشأة يختلف حاله باختلاف

فهو كما في فقه اللغة مادام في الرحم : جنين . فاذا ولد : وليد ، و مادام لم يستتم سبعة أيام : صديغ لأنه لم يشتد صدغه ، و مادام يرتضع : رضيع ، ثم فطيم . ثم إذا ذهبت عنه تראה الرضاع : جحوش . قال الهذلي :

قتلنا مخلداً و ابني حراق * و آخر جحوشا فوق الفطيم

ثم إذا دب و نما . فهو دارج . فاذا بلغ طوله خمسة أشبار . فهو خماسي . فاذا سقطت رواضه . فهو منثور ، فاذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو منثور بالثاء والثاء . فاذا جاوز عشر سنين . فهو متر عرع و ناشيء . فاذا كاد يبلغ الحلم . فهو يافع و مراهق . فاذا احتلم و اجتمعت قوته فهو حزور ، و اسمه في جميع هذه الأحوال غلام فاذا أخضر شاربه قيل : بقل وجهه . فاذا صار ذافئا فهو قتي و شارخ . فاذا اجتمعت لحيته ، و بلغ غاية شبابه . فهو مجتمع . ثم مادام بين الثلاثين و الأربعين شاب ثم كهل إلى أن يستوفى الستين ، و هكذا له أسام بحسب ازدياد سنه ، والله تعالى منزله عن جميع ذلك .

« ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال » قيل للرضا عليه السلام : ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس أن النبي صلى الله عليه وآله قال : ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا؟ فقال : لعن الله المحرفين للكلم عن مواضعه ، والله ما قال النبي صلى الله عليه وآله ذلك إنما قال : إن الله ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير ، و ليلة الجمعة في أول الليل - الخبر .

٩ في ١٨٧ - بعد ما مر في سابقه - و لو وهب ما تنفست

عنه معادن الجبال و ضحكت عنه اصداق البحار من فليز اللجين
و العقيان ، و نثاره الدر و حصيد المرجان ما أثر ذلك في جوده
ولا انقذ سعة ما عنده ، و لكان عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده

مَطَابِبُ الْأَنَامِ ، لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ ، وَ
لَا يَبْخِلُهُ الْحَاحُ الْمَلْحِينَ .

« ولو وهب » قال (حد) : هو من تنمة قوله ﷺ في أول الخطبة : الذي لا يفره المنع ، ولا يكديه الإيعاء . قلت : بل خصوص قوله « ولا يكديه الإيعاء » و لا ربط له بقوله « لا يفره المنع » .
« ما تنفست عنه معادن الجبال » هو استعارة كقوله تعالى « والصبح إذا تنفس »^(١) والمراد ما تشقت عنه المعادن .

« وضحكت عنه » هو أيضاً استعارة كقوله : تنفست ، والمراد أيضاً ما تشقت ، و لا يخفى حسن التعبير عن تشقق الجبال بالفلزات بالتنفس عن الشيء وعن تشقق الأصداف بالثالي بالضحك عنه .

« أصداف البحار » والصدف غشاء الدرّة .

« من فلز » بكسرتين ، وجوز القاموس فيه الضمتين كعتل ، وكسراً . فالفتح كهجف وقال : الفلز : نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة أو خبث الحديد أو الحجارة أو جواهر الأرض كلها أو ما ينقيه الكبير من كل ما يذاب منها . قلت : الصواب هو القول الرابع لقوله ﷺ : « اللجين » بالتصغير : الفضة .

« والعقيان » بالكسر : الذهب الخالص ، ورواه التوحيد ، وسبائك العقيان .

« ونشارة الدر » في الصحاح : النثار بالضم : ما تناثر من الشيء ، والدرّة :

اللؤلؤ ، والجمع درّ و درّات و درر .

« وحصيد المرجان » ورواه التوحيد : ونضائد المرجان ، وقال (حد) : وبروي :

و حصباء المرجان . قلت : و أبو نواس نسب الحصباء إلى الدرّ فقال :

كأنّ صغرى وكبرى من فقائعها ✽ حصباء درّ على أرض من الذهب

وفي اللسان قال بعضهم : المرجان البستوهو جوهر أحمر ، وقال ابن برى الكندي عليه الجمهور إنه صغار اللؤلؤ لقول امرئ القيس :

اذود القوا في عنى زيادا * زياد غلام جري جيدا
فاعزل مرجانها جانباً * و آخذ من درها المستجادا

قلت : جعله في الآية « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان »^(١) وفي كلامه عليه السلام وفي شعر امرئ القيس مقابل اللؤلؤ والدر « دال على كونه غيره ، وفي المصباح قال الطرسوسى : هو عرق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف شاهدناه بمغارب الأرض كثيراً . ثم الأكثر ذكروا مرجان في مرج ، وعن الأزهري : لأدرى أرباعى هو أم ثلاثى ؟ هذا . و « من فلز اللجيان والعقيان » راجع إلى معادن الجبال ، و « وثارة الدر وحصيد المرجان » راجع إلى أصداف البحار .

« ما أثمر ذلك في جوده ، ولأنفد سعة ما عنده » وكيف ينفذ وله خزائن السماوات والأرض ، وفي أصل البرسى : إن الله تعالى قال لداود : وعزتي وجلالي لو أن أهل سماواتي وأرضي أهلوني فأعطيت كل مؤمل أملة ، وبقدر دنياكم سبعين ضعفاً لم يكن ذلك إلا كما يغمس أحدكم بابرة في البحر ويرفعها فكيف ينقص شيء أنا قيسمه .

« ولكن عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنعام » وفي رواية التوحيد : ولكن عنده من ذخائر الأفضال ما لا تنفده مطالب السؤال ، ولا يخطر لكثرة على بال « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم »^(٢) .

« لأنه الجواد الذي لا يغيضه » من غاض الماء : قل ونضب . قال الجوهري : و غيظ الماء فعل به ذلك يتعدى ، ولا يتعدى ، وقال الأخصف في قوله تعالى « وما تغيض الأرحام » أي ما تنقص ، ويقال : غاض الكرام : أي قلوبا ، و غاض اللثام : أي كثروا ، و اعطاه غيضاً من فيض : أي قليلاً من كثير .

(١) الرحمن ٢٢ .

(٢) الحجر ٢١ .

« سؤال السائلين ، ولا يبخله إلحاح » الملحّين و في رواية التوحيد بدل : لأنّه الجواد -- إلخ -- لأنّه الجواد الذي لا تنقصه المواهب ، ولا يبخله إلحاح الملحّين وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» (١) .

١٠ في ١٨٧١ - بعد ما مر في سابقه - وَ أَنْظِرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأَنْتُمْ بِهِ ، وَ اسْتَضَىٰ بِنُورِ هِدَايَتِهِ ، وَ مَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ ، وَ لَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ أُمَّةِ الْهُدَىٰ أَثَرُهُ . فَكَلَّ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْتَهَىٰ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنْ اقْتِحَامِ السُّدِّ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْأَقْرَارِ بِجَمَلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ . فَمَدَحَ اللَّهُ - عَزَّ وَ جَلَّ - اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا ، وَ سَمَىٰ تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِي مَا لَمْ يَكْلِفَهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوحًا ، فَاقْتَصَرَ عَلَىٰ ذَلِكَ ، وَ لَا تَقْدَرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ قَدْرِ عَقْلِكَ . فَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ .

أقول : ورواه التوحيد مع زيادة وتغيير . ففيه : «الذي لما شبيهه العادلون بالخلق

المبعض المحدود في صفاته ، ذوي الأقدار و النواحي المختلفة في طبقاته ، وكان - عز وجل - الموجود بنفسه لا بأداته انتفى أن يكون قدره حق قدره فقال تنزيهاً لنفسه عن مشاركة الأنداد ، وارتفاعاً عن قياس المقدرين له بالحدود من كفر العباد : « وما قدره الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون »^(١) فما ذلك القرآن عليه من صفته فاتبعه ليوصل بينك وبين معرفته ، وأتم به ، واستضيء بنور هدايته فإنما هي نعمة و حكمة أو تيتهما فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين ، وما ذلك الشيطان - الخ -

« وانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به ، واستضيء بنور هدايته » ومما دلنا القرآن عليه من صفته تعالى « لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض . إلى : وهو العلي العظيم »^(٢) وقال تعالى « قل هو الله أحد . إلى آخر السورة ، وقال - جل وعلا - « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »^(٣).

« وما كلفك الشيطان علمه » من عرفان كنهه .

« مما ليس في الكتاب » أي القرآن .

« عليك فرضه ولا في سنة النبي ﷺ وأئمة الهدى » وهم أهل بيته ﷺ ،

وأما الثلاثة وإن سموهم الخلفاء الراشدين إلا أنه لا يصدق إلا إذا صدق قول من قال :

« ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد » .

« أثره فكل » من وكل : أي فوض .

« علمه إلى الله سبحانه » كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول : سبحانه من لم يجعل

في أحد من معرفة نعمة إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل في أحد من معرفة

إدراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه .

« فإن ذلك منتهى حق الله عليك » لأنه لم يكلف أحداً ما لم يطقه ، وفي الكافي

(١) الزمر ٦٧ .

(٢) البقرة ٢٥٥ .

(٣) الشورى ١١ .

عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى « وأن إلى ربك المنتهى » ^(١) قال إذا انتهى الكلام إلى الله تعالى فامسكوا ، وفي آخر عنه عليه السلام : إن الناس لا يزال بهم المنطق حتى يتكلموا في الله فإذا سمعتم ذلك فقولوا : لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء .
« واعلم أن الراسخين » : أي الثابتين . قال لبيد :

رسخ الدمن على أعضاده نلمته كل ريع وسبل

« في العلم هم الذين أغناهم من اقتحام » الاقتحام : الرمي بالنفس في شيء من غير روية .

« السدد » بالضم فالفتح : جمع السدة باب الدار ، وفي الخبر : الشعث الرؤوس الذين لا يفتح لهم السدد ، وقال الجزري : السدة كالظلة على الباب لتقي الباب من المطر وقيل : هي الباب نفسه .

« المضروبة دون الغيوب » فلا يمكن لأحد الوقوف عليها .
« الإقرار » وهو فاعل - أغناهم -

« بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب » أشار عليه السلام إلى قوله تعالى « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » ^(٢)

ثم إنه وإن اختلفت الخاصة والعامة في الآية هل « والراسخون في العلم » عطف على (الله) أم مستأنف إلا أن كلامه عليه السلام « دال على الثاني وهو الظاهر الآية حيث إنه لو كان عطفاً لكان الأَنسب أن يقال « ويقولون » لا « يقولون » ويأتي فيه زيادة كلام . ولا ينال في ذلك علم النبي صلى الله عليه وآله وأوصيائه بتأويل القرآن فإن علمهم به بوحيه وإلهامه فعلم تأويله من علم الغيب ، وقد قال تعالى في موضع « عالم الغيب فلا يظهر على

(١) النجم ٤٢ .

(٢) آل عمران ٧-٨ .

غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول» (١) مع أنه قال «إن الله يعلم الغيب السماوات والأرض» وقال «قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله» (٢) وحينئذ فالآية في مقام آخر نظير قوله تعالى الآخر «فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً» (٣).

«فمدح الله -- عز وجل -- اعترافهم بالعجز عن تناول، أي فهم.

« ما لم يحيطوا به علماً » من المتشابه حيث حكى عنهم أنهم يقولون آمناً به:

أي بالكتاب كل من المحكم الذي فهمنا ، والمتشابه الذي لم نفهمه من عند ربنا .

«وسمى تركهم التعمق في مالم يكلفهم البحث» أي الكشف ، والأصل فيه كشف

التراب عن الشيء المدفون . قال ابن دريد: وفي مثل : كباحثة عن حتفها بظلفها ، وذلك أن شاة بحثت عن سكين مدفون بظلفها فذبحت به .

« عن كنهه » أي حقيقته وبلوغ غايته .

« رسوخاً » أي ثبوتاً مستحكماً من رسخ الجبل . فعبّر عنهم بقوله « والراسخون

في العلم » .

« فاقصر على ذلك » وتأدب بأدب الله .

« ولا تقدر » أي لاتعيّن مقدار .

« عظمة الله » وذاته .

« على قدر عقلك » لقصوره .

« فتكون من الهالكين » حيث تجاوزت حدك . قال الباقر عليه السلام : إن قوماً تكلموا

في الله - عز وجل - فتأهوا . فكان الرجل ينادي من بين يديه فيجيب من خلفه ، وينادي

من خلفه فيجيب من بين يديه ، و قال الصادق عليه السلام : إن ملكاً عظيم الشأن كان في

مجلس له فتكلم في الرب تعالى ففقد فما يدرى أين هو ، وفي خبر آخر تكلموا في

(١) الجن ٣٦ .

(٢) النمل ٦٥ .

(٣) البقرة ٢٦ .

كل شيء ولا تتكلموا في ذات الله تعالى، وعن الباقر عليه السلام تكلموا في خلق الله، ولا تكلموا في الله. فإن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحييراً.

١١ في ١٨٧١ - أيضاً بعد ما مر - هو القادر الذي إذا ارتمت
 الأوهام لتدرك منقطع قدرته، و حاول الفكر المبرء من خطرات
 الوسوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته، و تولت القلوب
 إليه لتجربى في كيفية صفاته، و غمضت مداخل العقول في حيث
 لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ردها، و هي تجوب مهاوى
 سدف الغيوب متخلصة إليه سبحانه. فرجعت إذ جبهت معترفة بأنه
 لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته، ولا تخطر ببال أولى الرويات
 خاطرة من تقدير جلال عزته.

« هو القادر » على كل شيء .

« الذي إذا ارتمت » : أي قصدت ، والأصل فيه رمى الصيد .

« الأوهام لتدرك منقطع قدرته » وفي رواية التوحيد بدل جميع الكلام : لأنه
 اللطيف الذي إذا أرادت الأوهام أن تقع عليه في عميقات غيوب ملكه .

« وحاول » أي قصد

« الفكر المبرء من خطرات » هكذا في المصرية ، والصواب : من خطر ، كما في

(حد ، ونم ، والخطية) .

« الوسوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته » وفي رواية التوحيد بدل

جميع الكلام : وحاولت الفكر المبرأة من خطر الوسواس إدراك علم ذاته .

« وتولّيت » : أي صارت والهة .

« القلوب إليه لتجرى في كيفية صفاته » و في رواية التوحيد : لتجرى منه مكيفاً في صفاته .

« وغمضت » من أغمض في الأرض : إذا ذهب وغاب .

« مداخل العقول في حيث » : أي في مكان .

« لا تبلغه الصفات » : أي التوصيفات .

« لتناول » وفي (ثم ، والخطية) لتناول .

« علم ذاته » أي حقيقته . قال (حد) : ذات لفظة أنكر قوم إطلاقها عليه تعالى وإضافتها إليه . أمّا إطلاقها فلاّ أنّها لفظة تأنيث ، والبارى منزّه عن الأسماء والصفات المؤنثة ، و أمّا إضافتها فلاّ أنّها عين الشيء ، والشيء لا يضاف إلى نفسه ، و أجاز آخرون إطلاقها وإضافتها أمّا استعمالها . فلو جهين :

أحدهما : أنّها جاءت في الشعر القديم . قال حبيب الصحار عند صلبه :

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ✽ يبارك على أو صال شلوموزع

وقال النابغة :

مجلتهم ذات الإله ودينهم ✽ قويم فما يخشون غير العواقب

والثاني : أنّها لفظة اصطلاحية لأنّها على مؤنث لكن تستعمل ارتجالاً في مسمّأها

الذي عبّر عنه بها أرباب النظر الإلهي كما استعمالوا لفظ الجوهر والعرض ، و غيرها في غير ما كان أهل اللغة يستعملونها ، و يدلّ على جواز الإضافة قولهم : نفسه وعينه .

قلت : من المنكرين ابن برهان النحوي . قال الفيومي : قال ابن برهان :

قول المتكلمين « ذات الله » جهل لأنّ أسمائه لا يلحقها تاء التأنيث فلا يقال : علامة

و إن كان أعلم العالمين ، و قولهم (الصفات الذاتية) خطأ أيضاً فإنّ النسبة إلى ذات نوى لأنّ النسبة تردّ الاسم إلى أصله .

قلت : كلامه غلط في غلط فإنّ ذاتاً بمعنى الحقيقة ليس تأوّه للتأنيث ، وإنّما ذات

وصفي في قبالاته للتأنيث تقول : رجل ذو مال وامرئة ذات مال كما أنّ (علامة) ليست تأوّه

للتأنيث بل للمبالغة كيف ويطلق على الرجال . فيقال : فلان علامة الدهر .

و ذات بمعنى الحقيقة اسم ، وقد خلطوا بينه و بين ذات وصفى بمعنى صاحبة
و يشهد لخلطهم ما في اللسان إن ابن الأباري قال في قوله تعالى « إنه عليم بذات
الصدور » (١) : أي بحقيقة القلوب من المضمورات . فتأنيث ذات لهذا المعنى كما قال : و
تودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم . فأنث على معنى الطائفة .

فجعل « ذات صدور » كذات الشوكة مع أن الثاني وصف و الأصل أن الطائفة
غير ذات الشوكة لقوله تعالى قبل « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم » (٢) والأول
اسم ، و صرح بالفرق بينهما الفيومي أيضاً .

و قد استعمل الذات مضافاً إليه تعالى في غير كلامه ﷺ ، وبيت الصحار وبيت
النابغة في كلام سيّدة النساء في خطبتها في فدك و ابتزازهم بالأمر ، و ما نعموا من أبي-
الحسن ﷺ إلا تنمره في ذات الله .

و في بيت أبي تمام : و يضرب في ذات الإله فيوجع . نقله المصباح والمغرب ، و في
كلام العرب على نقل التكملة كما فيهما : جعل الله ما بيننا في ذاته .

و مرّ خبر الكافي : ولا تتكلموا في ذات الله .

و جاء ذات مضافاً إلى غير الله في بيت سويد بن كراع العكلى ، و قد نقله كتاب
سيبويه شاهد لكف (لعل [بلفظة] ما) .

تحلّل وعالج ذات نفسك وانظرن ⇨ أبا جعل لعلمنا أنت حالم

و في بيت ذي الرمة ، و قد نقله الأساس ، و هو :

و إن هوى صيداء في ذات نفسه ⇨ بسائر أسباب الصبابة راجح

و في بيت حكاة ابن فارس في متخير ألفاظه كما في المصباح .

فنعم ابن عم القوم في ذات ماله ⇨ إذا كان بعض القوم في ماله كلاً

(١) هود ٥ .

(٢) الانفال ٧ .

ثم الظاهر أن معناه في الكل واحد في الأصل ، والاختلاف فيه من خصوصية المقام . فهو في بيت النابغة بمعنى الإله نفسه . قال الفيومي : مجلتهم : أي صحيفتهم و معنى « مجلتهم ذات الإله » كتابهم عبودية نفس الإله .
 وفي كلامه صَلَّى وفي كلام الصادق صَلَّى : ذات الله : أي حقيقته وهويته ، وفي كلام الصديقة صَلَّى و بيت الصحار ، و بيت أبي تمام ، و كلام العرب بمعنى في جنب الله و لأجله .

و في قوله تعالى « عليم بذات الصدور » أي بباطنها و خفيها فهو في معنى قوله تعالى « و ما تخفى الصدور » و في بيت سويد أيضاً بمعنى الباطن ، و في بيت ذى الرمة بمعنى شخصه ، و في بيت ابن فارس بمعنى أصله .

« ردعها » : أي كفها .

« و هى تجوب » : أي تقطع .

« مهاوى » : أي مهالك .

« سدف » : أي ظلم .

« الغيوب متخلصة إليه سبحانه » لا يخالطها قصد غيره .

« فرجعت إنجبهت » : أي صكت جباهها .

« معترفة بأته » تعالى .

« لا ينال » بلغظ المجهول .

« بجور » : أي كثرة .

« الاعتساف » : أي الأخذ على غير الطريق .

« كنه معرفته » - عز وجل - لكونه من المحالات .

« ولا تخطر ببال » : أي ذهن .

« أولى الرويات » : أي أصحاب التفكير في الأمور .

« خاطرة من تقدير جلال عزته » كيف لا و قد قال تعالى « قل لو كان البحر

مداداً لكلمات ربِّي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربِّي ولو جئنا بمثله مدداً^(١) .
و كلامه ﷺ من أوله إلى آخره ناظر إلى قوله تعالى « ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك
البصر خاسئاً وهو حسير »^(٢) .

و مثله دعاء قنوت الصحيفة السجادية الثانية : سبحانك ألبصار في صنعتك
مديدتها ، وثنت الألباب عن كنهك أعنتها .

و قال الصادق ﷺ للمفضل : فان قالوا: لم اختلفوا فيه تعالى قيل لهم : لقصر
الأوهام عن مدى عظمته ، وتعدّيها أطوارها في طلب معرفته ، و أنها تروم الإحاطة به
و هي تعجز عن ذلك و ما دونه . فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم و
لاتوقف على حقيقة أمرها ، ولذلك كثرت الأقاويل فيها ، واختلفت الفلاسفة المذكورون
في وصفها . فقال بعضهم : هو فلك أجوف مملوء ناراً له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع .

و قال آخرون : هو جسم زجاجي تفعل نارية في العالم و ترسل عليه شعاعها .

و قال آخرون : هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر .

و قال آخرون : هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار .

و قال آخرون : هو جوهر خامس سوى الجواهر الأربعة . ثم اختلفوا في شكلها .

إلى أن قال : ثم اختلفوا في مقدارها . إلى أن قال : ففي اختلاف هذه الأقوال منهم في الشمس
دليل على أنهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها ، و إذا كانت هذه الشمس التي يقع
عليها البصر و يدركها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف
عن الحس و استتر عن الوهم .

هذا . و زاد في رواية التوحيد بعد - من تقدير جلال عزته - : لبعده من أن يكذب

في قوى المحدودين لأنه خلاف خلقه فلا شبهة له من المخلوقين ، وإنما يشبه الشيء بعديله

(١) الكهف ١٠٩

(٢) الملك ٤ .

فأما ما لا عدیل له فكيف يشبه بغير مثاله .

١٢ في ١٨٧٢ - بعد ما مر - الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ
 امْتَثَلَهُ وَلَا مِقْدَارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ ، مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ ، وَارَانَا
 مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ ، وَ عَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ ، وَ اعْتِرَافِ
 الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُوَّتِهِ مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ
 الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَ ظَهَرَتْ فِي الْبِدَائِعِ الَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنَعَتِهِ
 وَ أَعْلَامِ حِكْمَتِهِ . فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ ، وَ دَلِيلًا عَلَيْهِ ، وَ إِنْ
 كَانَ خَلْقًا صَامِتًا فَحُجَّتُهُ بِالْتَدْيِيرِ نَاطِقَةٌ ، وَ دَلَالَتُهُ عَلَى الْبَدْعِ قَائِمَةٌ .

«الذي ابتدع الخلق» : أي اخترعه قال تعالى « بديع السماوات والأرض » (١) .
 «على غير مثال امتثله» لنفسه كالصائغ الذي يصوغ حلقة من رصاص ثم يصوغ
 حلقة من ذهب عليها ، و كالبناء الذي يخط في الأرض أو غيرها خطوطاً . ثم يبني
 بحسبها ، و كالذي يضرب اللبن على القالب .

«ولامقدار احتذى عليه» : أي جعله مقابلاً له يقال: حذو النعل بالنعل، والقذوة
 بالقذوة . والقذوة : ريش السهم .

«من خالق معبود» و في المصرية : معبود ، و هو غلط .

«كان قبله» كصناع يتبعون صناعاً قبلهم كانوا مخترعي تلك الصنعة .

«و أرانا من ملكوت قدرته» قال تعالى « و من آياته أن خلقكم من تراب ثم

إذا أتم بشر تنتشرون» (١) فهل قدرة أملك من تلك القدرة التي جعلت التراب بشراً ينتشر .

« و عجائب ما نطقت به آثار حكيمته » « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٢) .
فهل حكمة أعجب من هذه فلو لم تكن أزواج الناس من جنس أنفسهم لنفروا عنها ولم يسكنوا إليها ، ولنفرت الأزواج عنهم ، ولم تسكن إليهم كما أنه لو لم يكن جعل تعالى بينهم مودةً ورحمةً كيف كانت الرجال يتحملون مشاق مؤونات النساء وكيف كانت النساء يتحملن مشاق تكليفات الرجال إلى غير ذلك من غرائب قدرته و عجائب حكيمته في خلقه الذي لا يحصى .

« و اعتراف الحاجة من الخلق » بلسان الحال .

« إلى أن » هكذا في النسخ ، والظاهر كونه مصحف - إلى من - .

« يقيمها بمسك قوته » « إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » (٣) .

« ما » مفعول ثان لقوله : وأرانا .

« دلنا باضطرار قيام الحجّة له على معرفته » بالوجود والقدرة والحكمة .

« و ظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته و أعلام حكيمته » هكذا في النهج والظاهر وقوع سقط لعدم ربط الكلام من أو له بما قبله .

و يشهد للسقط رواية التوحيد ففيها قبله : الذي صدرت الأمور عن مشيئته ، و تصاغر عزّة المتجبرين دون جلال عظمته ، و خضعت له الرقاب ، و عنت له الوجوه من مخافته .

« فصار كل ما خلق حجّة له ودليلاً عليه » قال :

فواعجباً كيف يعصى إلا له ☆ أم كيف يججده الجاحد

(٢) الروم ٢١ .

(١) الروم ٢٠ .

(٣) فاطر ٤١ .

و في كل شيء له آية ✨ تدل على أنه واحد
 وإن كان خلقاً صامتاً ، و في (ثم) وإن كان صامتاً .
 « فحجته بالتدبير » : أي بوجود مدبر للخلائق .
 « ناطقة » بلسان الحال .

« و دلالاته على البدع » : أي كونه تعالى مبدعاً لها .
 « قائمة » بشهادة العقول . قال بعضهم في وصف النرجس :

عيون في جفون في فنون ✨ بدت فأجاد صنعتها المليك
 بأبصار التنجج لامحات ✨ كأن حداقها ذهب سبيك
 على غصن الزمرد مخبرات ✨ بأن الله ليس له شريك

١٣- في ١٢٨٧ - بعدمامر - فأشهد أن من شبهك بتباين أعضاء خلقك

و تلاحم حقائق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك ، ثم يعقد غيب ضميره على
 معرفتك ، و لم يباشر قلبه اليقين بأنه لاندلك ، و كأنه لم يسمع تبرء التابعين
 من المتبوعين ، اذ يقولون « تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب
 العالمين » كذب العادلون بك ، اذ شبهوك باصنامهم ، و نحلوك حلية
 المخلوقين باوهامهم ، و جزأوك تجزئة المجسمات بخواطرهم ، و قدروك
 على الخلق المختلفة القوى بقرائح عقولهم ، و اشهد ان من ساواك بشيء
 من خلقك فقد عدل بك ، و العادل بك كافر بما نزلت به محكم آياتك ، و نطقت
 به شواهد حجج بيناتك ، و أنت الله الذي لم تتناه في العقول ، فتكون
 في مهبط فكرها مكيفا ، و لا في رويات خاطرها محدوداً مصرفاً .

« فاشهد ، إخباره ﷺ عن شهادته لتأكيد المطلب نظير قول هود عليه السلام لقومه
« إني أشهد الله وأشهدوا أنني بريء مما تشركون من دونه » (١) .

« أن من شبهك بتباين أعضاء خلقك ، في كون بعضها أفراداً وبعضها أزواجاً .
قال الصادق عليه السلام للمفضل : الرأس مما خلق فرداً ، ولم يكن للإنسان صلاح
في أن يكون له أكثر من واحد ألا ترى أنه لو أضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر
لكان ثقلاً عليه من غير حاجة إليه لأن الحواس التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد
ثم كان الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان فإن تكلم من أحدهما كان الآخر معطلاً
لا إرب فيه ، ولا حاجة إليه ، وإن تكلم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج
إليه ، وإن تكلم من أحدهما غير الذي تكلم به من الآخر لم يدر السامع بأى ذلك يأخذ
وأشبه هذا من الأغلاط ، واليدان مما خلق أزواجاً ولم يكن للإنسان خير في أن يكون
له يد واحدة لأن ذلك كان يخل به في ما يحتاج إلى معالجته من الأشياء ألا ترى أن
النجار والبناء لو شئت إحدى يديه لاستطيع أن يعالج صناعته ، وإن تكلف ذلك
لم يحكمه ، ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت يدها تتعاونان على العمل .

« وتلاحم » : أى تلاصق من تلاحمت الشجة : تلاحمت لحمها .

« حقاق » جمع الحق بالضم ، وفي الجمهرة : الحق أصل الورك الذى فيه عظم
رأس الفخذ ، ورأس العضد الذى فيه الواصلة ، وزاد اللسان ، والنقرة التى في رأس
الكتف أيضاً .

« المحتجبة » عن العيون ، وفي توحيد المفضل ، و لورأيت الدماغ إذا كشف عنه
لرأيته قد لفت بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض وتمسكه فلا يضطرب ولرأيت عليه
الجمجمة بمنزلة البيضة كيما تقيه هدم الصدمة والصكة التى ربما وقعت في الرأس
ثم قد جللت الجمجمة بالشعر حتى صارت بمنزلة الفرو للرأس يستره من شدة الحر
والبرد . فمن حصن الدماغ هذا التحصين إلا الذى خلقه ، وجعله ينبوع الحس والمستحق

للحيطة والصيانة بعلو منزلته من البدن ، وارتفاع درجته وخطير مرتبته ، تأمل يا مفضل الجفن على العين كيف جعل كالغشاء ، والأشجار كالأشراج وأولجها في هذا الغار ، وأظلمها بالحجاب ، وما عليه من الشعر .

يا مفضل من غيب الفؤاد في جوف الصدر ، وكساه المدرعة التي هي غشاؤه وحصنه بالجوانح ، وما عليها من اللحم والعصب لثلاً يصل إليه ما ينكأه .
« لتديير حكمتك » في تباين ما تباين من الأعضاء ، و تلاحم حقاك ما احتجت من المفاصل على ما عرفت .

هذا . وقال (حد) روى بعضهم قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : المحتجبة لتديير حكمتك : المحتجبة لتديير حكمتك . فمن قال : المحتجبة ، أراد أنها بما فيها من لطيف الصنعة كالمحتجبة المستدلة على التديير الحكمي من لدنه سبحانه ، وقال : المحتجبة : أراد المستترة لأن تركيبها الباطن خفي محجوب .

وفيه أن « ثم » الذي نسخته بخط المصنف لم ينقل غير (المحتجبة) ورواية التوحيد أيضاً بلفظ (المحتجبة) نسخة واحدة وقد عرفت أن التديير مربوط بجميع الكلام لا بخصوص تلاحم حقاك المفاصل .

وكيف كان فيبانه عَلَيْهِ السَّلَامُ لتديير حكمته تعالى في الأعضاء والمفاصل ضمنى فأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ في مقام إنكار تشبيه الخالق بالخلائق كما أنه قد يكون الكلام في غير مقام المدح والقدح ، ويحصلان ضمناً .

كما أن قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «شبهك بتباين» جعل وجه الشبه والمشبه به اختصاراً وإيضاحاً لشناعة مقالهم .

« لم يعقد غيب ضميره على معرفتك » : أي أن المشبه له تعالى بالخلق ، وإن ادعى أنه عرفك إلا أنه لم يصل إلى معرفتك حيث إن ما تصورته الرب ليس برب .
ولما اتهم الواثق أحمد بن نصر الخزاعي بالخروج عليه . فأخذ وحمل إليه . قال له الواثق : دع ما أخذت له أفترى ربك في القيامة . قال : كذا جاءت الرواية . فقال : ويحك يرى كما يرى المحدود والمتجسم يحويه مكان ، ويحصره الناظر أنا أكفر

برب هذه صفته ما تمولون فيه . فقال ابن أبي دؤاد : شيخ مختل لعل به عاهة أو تغير عقل قال الواثق : ما أراه إلا مؤدياً لكفره قائماً بما يعتقده ودعا بالصمصامة ، وقال : إنا أقمت إليه . فلا يقوم أحد معي فإني احتسب خطأي إلى هذا الكافر الذي يعبد رباً لانهبه ، ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ، ومشى إليه حتى ضرب عنقه .

و من المضحك أن الخطيب الحشوي وضع له نومين : أحدهما : رأوه في النوم . فقال : لقيت الله فضحك إلي .

والثاني : رأوه في النوم ، فقال : غضبت لله فأباحني النظر إلى وجهه - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - .

وروى ذلك الحشوي في عنوانه للحسين بن شبيب خبراً عن أبي بكر الصيدلاني عن أبي بكر المروزي بأسناد له أن النبي ﷺ قال : الكرسي الذي يجلس عليه الرب وما يفضل منه إلا قدر أربع ، وإن له أطيطا كاطيط الرجل الجديد : أي صوته . وقال ذلك الحشوي : من رد هذا فإني ما أراذ الطعن على أبي بكر المروزي ، و على أبي بكر بن سلم ، وهل كانا إلا رجلين معروفين بالمنكر .

ومن العجب أن ذلك الحشوي يطعن على أدلة العقول ، وعلى كلام الرسول ﷺ ويدعن ، ويسكن إلى جمع حشويين ناصيين معتقدين لما تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ .

وقال الرضا عليه السلام : إلهي بدت آياتك ، ولم تبدهيئة فجهلوك وقد روك ، والتقدير على غير ما به وصفوك ، وأنا يا إلهي برىء من الذين بالتشبيه طلبوك . « ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لاند » : أي مثل .

« لك » وإنما استندوا إلى أوهام ، و اعتمدوا على أباطيل ، ومنهم أبو إسماعيل الهروي فاستند في ما توهم إلى ما عن مراهه بمراجل . فقال : لما غاب تعالى الأصنام بعدم أرجل يمشون بها ، وأيد يبطشون بها وأعين يبصرون بها ، وآذان يسمعون بها حيث قال « ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها »^(١) .

وقال «إن تدعوهم لا يسمعون دعائكم»^(١) وقال «ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً»^(٢) ، وقال «أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً»^(٣) ، تبين أنه تعالى تمدح بها، وأنها حقائق فيه . فإن عيبهم بما قال لا يستلزم تمدحه بها كما توهم ، وإلزام أن يكون جميع البشر آلهة فعاب آلهتهم بعدم كونهم مثلهم تهجيناً لعقولهم ، ولا ينافي ذلك اختصاص الآله من عباده بكونه جامعاً للصفات الكمالية بدون الحاجة إلى الجوارح الظاهرية .

«وكانه لم يسمع تبرء التابعين من المتبوعين إذ يقولون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسوا ربكم رب العالمين» و الآياتان في الشعراء ، وقبلهما «قالوا وهم فيها يختصمون» والمراد من التابعين الغاؤون، ومن المتبوعين ما يعبدون من دون الله قال تعالى «وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون»^(٤) وخطابه ﷺ وإن كان مع الموحدين، والآيات في المشركين إلا أنهم لما شبهوه بخلقه صاروا كالمشركين غيره تعالى له - عز وجل - كما قال ﷺ :

«إن شبهوك بأصنامهم» في إثبات الجسمية له ، وفي التوحيد بدل بأصنامهم بأصنافهم .

«ونحلوك» : أي ادعوا لك باطلاً .

«حلية المخلوقين» التي يكون الخالق منزهاً عنها .

«بأوهامهم» ولم يراجعوا عقولهم .

«وجزأوك تجزئة المجسمات بخواطيرهم ، وقد روك علي الخلق المختلفة القوى

بقرائح عقولهم» الناقصة، والمراد باستنباط عقولهم الضعيفة، والأصل في القرية : أول ماء يستنبط من البئر .

(١) فاطر ١٤ .

(٢) الأعراف ١٤٨ .

(٣) طه ٨٩ .

(٤) الشعراء ٩١ - ٩٣ .

قال الدواني : من المشبهة من قال : إن الله جسم مركب من لحم ودم ، ومنهم من قال : إنه نور متلاًلاً كالسبيكة البيضاء طوله سبعة أشبار بشبر نفسه ، ومنهم من قال : إنه على صورة إنسان . فمنهم من قال : إنه شاب امرد جعد ققط ، ومنهم من قال : هو في جهة الفوق مماس للصفحة العليا من العرش ، ويجوز عليه الحركة والانتقال ، ويأط العرش تحته أطيط الرحل الجديد تحت الراكب الثقيل ، ومنهم من قال : محاذ للعرش غير مماس له وبعده عنه بمسافة منتهية ، وقيل : بمسافة غير منتهية . إلى غير ذلك من خرافاتهم - تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً - .

« وأشهد أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك » عن جلالك .

« والعدل بك » غيرك .

« كافر بما تنزلت به محكم آياتك » قال تعالى « أإله مع الله بل هم قوم يعدلون » (١)

« ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون » (٢)

« ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » . (٣)

« ونطقت به شواهد حجج بيناتك » من دلالة العقول على عدم إمكان كون الخالق

كالخلائق .

« وأنت الله الذي لم تنه في العقول » لقصورها عن الإحاطة بك .

« فتكون في مهب » رياح .

« فكرها » ككثير من الأشياء .

« مكيفاً » بكيفية .

« ولا في رويات خاطرها » : أي تفكرها في الأمور .

« محدوداً مصرفاً » كخلقه ، و رد أن رجلاً قال له ﷺ : أين المعبود ؟ .

فقال ﷺ له : لا يقال له : أين ، لأنه أين الإنسانية ، ولا يقال له : كيف لأنه

(١) النمل ٦٠ .

(٢) الانعام ١٥٠ .

(٣) الانعام ١ .

كيف الكيفية ، ولا يقال له : ماهو لأنه خلق الماهية . سبحانه من عظيم تاهت الفطن في تيار أمواج عظمته ، وحصرت الأبواب عند ذكر أزيلته ، و تحيرت العقول في أفلاك ملكوته .

هذا . وفي منهاج العلامة حكى عن بعض المنقطعين التاركين من شيوخ الحشوية أنه اجتاز عليه في بعض الأيام نفاط ، ومعه امرد حسن الصورة قطط الشعر على الصفات التي يصفون ربهم بها ، فألح بالنظر إليه وكرره فتوهم منه النفاط أمراً فجاء إليه ليلاً وقال له : رأيتك تلح بالنظر إلي هذا الغلام وقد أتيتك به . فإن كان لك فيه نية فأنت الحاكم فحرّد عليه ، وقال : إنما كررت النظر لأن مذهبي أن الله ينزل على صورة هذا الغلام ، فتوهمت أنه الله . فقال له النفاط : والله ما أنا عليه من النفاطة أجود مما أنت عليه من الزهد مع هذه المقالة .

و فيه و ذهب بعضهم إلى أنه تعالى ينزل في كل ليلة جمعة على شكل امرد بيغداد راكباً على حمار حتى أن بعضهم بيغداد صنع على سطح داره معلقاً و يضع كل ليلة جمعة فيه شعيراً و تبناً فلعن ينزل الله على حمارة على ذلك السطح فيشتغل الحمار بالأكل ، و يشتغل الرب بالنداء ، و يقول : هل تائب هل مستغفر ؟

١٤ - في ١٨٧١ - بعد مامر - قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَاحْكَمَ تَقْدِيرَهُ ،

وَ دَبَّرَهُ فَالطَّفَ تَدْبِيرَهُ ، وَ وَجَّهَهُ لَوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَّعَدْ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ وَ لَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ ، وَ لَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أَمَرَ بِالْمِضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ ، وَ كَيْفَ وَ إِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ الْمُنْشِئِءِ اصْنَافِ الْأَشْيَاءِ بِالرَّوِيَّةِ فَكَّرِ آلِ إِلَيْهَا ، وَ لَا قَرِيحَةَ غَرِيظَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا ، وَ لَا تَجْرِبَةَ اسْتِفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ ، وَ لَا شَرِيكَ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ . فَتَمَّ خَلْقُهُ ، وَ أَذَعَنَ لِبَطَاعَتِهِ ، وَ أَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ

وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْبَطِيءِ ، وَلَا أَنَاةُ الْمَمْلُوكِيِّ ، فَاقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ
أَوَدَّهَا ، وَ نَهَجَ حُدُودَهَا ، وَلَا تَمَّ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا ، وَ وَصَلَ
أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا ، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاسًا مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ وَالْغَرَائِزِ
وَالْهَيْئَاتِ بَدَايَا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا ، وَفَطَّرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا .

« قدر ما خلق فألطف » هكذا في المصرية ، والصواب : فأحكم .

« تقديره » « فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا ذلك
تقدير العزيز العليم »^(١) « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم
ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس
تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
القديم »^(٢) .

« ودبره فأحكم » هكذا في المصرية ، والصواب : فألطف كما في غيرها .

« تدييره » « قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له
أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها
في أربعة أيام سواء للسائلين »^(٣) .

و في دعاء الهلال : سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك ، وألطف ما صنع في شأنك

جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث .

و في توحيد المفضل : قال الصادق عليه السلام : انظر إلى هذه الحواس التي خص بها

الإنسان في خلقه ، وشرّف بها على غيره كيف جعلت العينان في الرأس كالمصاييح فوق
المنارة ليتمكن من مطالعة الأشياء ولم تجعلها في الأعضاء التي تحتهن كاليدين والرجلين
فتعرضها الآفات ، ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعللها ، و يؤثر فيها ، وينقص
منها ، ولا في الأعضاء التي وسط البدن كالظهر والبطن . فيعسر قلبها واطلاعها نحو

الأشياء ، اعتبر تعظيم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه ، وتسهيل خروج الأذى أليس من حسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع منها ؟ فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيئاً للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه فلم يجعله بارزاً من خلفه ، ولا ناشراً من بين يديه ، بل هو مغيب في موضع غامض من البدن مستور محجوب تلتقى عليه الفخذان ، وتحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم فتوارياته . فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة ألقى ذلك المنفذ منه منصباً مهيئاً لا نحدار الثقل . فتبارك الله الذي تظاهرت آلائه ولا تحصى نعمائه .

« ووجهه » : أي ما خلق .

« لوجهته » التي ينبغي أن يكون عليها .

« فلم يتعدّ حدود منزلته ، ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته » بل يصير إلى ما

خلق له بلا زيادة ولا نقصان .

في توحيد المفضل : انظر الآن كيف حياء الأُنثى من الفيلة في أسفل بطنها . فإذا حاجت للضراب ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من ضربها ، فاعتبر كيف جعل حياء الأُنثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام . ثم جعلت فيه هذه الخلة ليتهيأ للأمر الذي فيه قوام النسل ودوامه .

« ولم يستصعب » ما خلق .

« إذ أمر بالمضي » والنفوذ .

« على إرادته » ووفق مشيئته . قال تعالى « ثم استوى إلى السماء وهي دخان

فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم » ^(١) . « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » ^(٢) .

« وكيف » يستصعب شيء عن إرادته تعالى .

« وإنما صدرت الأمور عن مشيئته » « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن

فيكون» (١) «وما تشاءون إلا أن يشاء الله» (٢) .

«المنشئ أصناف الأشياء بالارويته» : أي تأمل .

«فكر آل» : أي رجع .

«إليها» كالناس في أفعالهم «وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابهة كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ومن الأنعام حمولة وفرشاً» (٣) .
«ولا قريحة» والأصل في القريحة : أول ماء يستنبط من البشر . ثم استعير لما يستنبط بجودة الطبع .

«غريزة» بتقديم الرأ على الزاء : أي الطبيعة .

«أضمر» : أي عمل في الضمير .

«عليها» : أي على تلك القريحة .

«ولا تجربة استفادها من حوادث الدهور» كالناس المعمرين .

«ولا شريك أعانه على ابتداء عجائب الأمور» حسب شأن الخلائق .

«فتم خلقه» من حيث جمعه لجميع مصالحه «ما ترى في خلق الرحمن من

تفاوت» (٤) .

«و أذعن» : أي خضع و ذل .

«لطاغته» : أي إطاعته .

«و أجاب إلى دعوته» فلما قال بلسان القدرة : للسماء والأرض اثني طوعاً أو

كرها قالتا بلسان المدركة له : آتينا طائعين .

«ولم يعترض دونه ريث» الريث : ضد العجلة كالبطؤ .

«البطيء ولا أناة» : أي تأني .

(١) يس : ٨٢ .

(٢) الانسان : ٣٠ .

(٣) الانعام : ١٤٢ .

(٤) الملك : ٣ .

« المتلکىء » : أي المتباطى ، وفي رواية التوحيد بدل « وأجاب إلى دعوته . إلى أناة المتلکىء » : ووافي الوقت الذي أخرجه إليه إجابة لم يعترض دونها ريث المبطىء ، ولا أناة المتلکىء ، وهو الأقرب لإفادة المقصد .

والمراد أن ما يحصل في الوجود كالأسنان للرضيع ، واللحية للرجل ، والثدي للمرأة إنما كان لأن الأوتل إنما يوافي الوقت الذي يحتاج إلى الأكل ، والثاني إنما يوافي الوقت الذي يتميز الرجل من الطفل ، والثالث إنما يوافي الوقت الذي تستعد المرثة للحمل ، وكل منها قبل ذلك وجوده لغولائها تلكات وأبطات عليه تعالى كالناس يريدون شيئاً لا يحصل لهم في ذلك الوقت .

« فأقام من الأشياء أودها » : أي عوجها .

« و نهج » : أي أو ضح .

« حدودها » و نقله (حد) : جدها ، وقال : أي طريقها مع أن الصحاح :

الجدد : بالفتح الأرض الصلبة ، وفي اللسان قال ابن شميل : الجدد : ما استوى من الأرض . قلت : و يشهد للثاني المثل : من سلك الجدد أمن العثار . ثم في التوحيد بدل الجملة : « و نهى معالم حدودها » .

« ولائم بقدرته بين متضادها » فسر متضاد الأشياء التي لائم تعالى بينها بعضهم

بالحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة ، و بعضهم بالنار والماء والريح والتراب .

« ووصل أسباب قرائنها » قيل : المراد اقتران النفوس بالأبدان ، وقيل : هدايتها

لما هو الأليق بها في معاشها و معارها ، و زاد التوحيد : و خالف بين ألوانها .

« و فرقها أجناساً مختلفات » الإنسان و أنواع الحيوانات والطيور والهوام .

« في الأقدار » : أي المقادير .

« والغرائز » بتقديم الراء : أي الطبايع .

« والهيئات » : أي الأشكال . قال الصادق عليه السلام للمفضل : فكّر في هذه الأصناف

الثلاثة من الحيوان ، وفي خلقها على ما هي عليه بما فيه صلاح كل واحد منها فالإنس

لما قدر أن يكونوا ذوي ذهن و فطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة

والصياغة وغير ذلك خلقت لهم أكف كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض على الأشياء ، و آكلات اللحم لمّا قدر أن يكون معاشها من الصيد خلقت لهم أكف لطاف مدمجة ذوات برائن ومخالب تصلح لأخذ الصيد ولا تصلح للصناعات ، و آكلات النبات لمّا قدر أن يكن لا ذوات صنعة ، ولا ذوات صيد خلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونة الأرض إذا حاول طلب الرعى ، و لبعضها حوافر ذات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض ليتهيأ للحمولة والركوب . تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان حداد ، و برائن شداد و أشداق و أفواه واسعة فإنّه لمّا قدر أن يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك ، وأعينت بسلاح وأدوات تصلح للصيد وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخالب مهيأة لفعالها ، ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد أعطيت ما لا تحتاج إليه لأنها لا تصيد ولا تأكل اللحم ، ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج إليه أعنى السلاح الذي به تصيد و تعيش أفلاترى كيف أعطى كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه و طبقته بل ما فيه بقاؤه و صلاحه .

« بدايا خلائق أحكم صنعها » قال الصادق عليه السلام للمفضل : ففكر في خلق الزرافة و اختلاف أعضائها ، و شبهها بأعضاء أصناف من الحيوان . فرأسها رأس فرس ، و عنقها عنق جمل ، و أظلافها أظلاف بقرة ، و جلدها جلد نمرة ، و يزعم ناس من الجهال بالله تعالى أن نتاجها من فحول شتى ، وهذا جهل من قائله وقلة معرفة بالباريء - جلّ قدسه - و ليس كل صنف من الحيوان يلقح كل صنف فلا الفرس يلقح الجمل ، ولا الجمل يلقح البقر ، و إنّما يكون التلقيح من بعض الحيوان في ما يشاكله ، و يقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمارة ، فيخرج بينهما البغل ، و يلقح الذئب الضبع ، فيخرج بينهما السمع .

« و فطرها على ما أراد و ابتدئها » « سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوّى و الذي قدر فهدى » (١) .

وقال الصادق عليه السلام للمفضل: فكّر في الفطر التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفاً من الله - عز وجل - لهم لئلا يخلو من نعمه - جل وعز - أحد من خلقه لا بعقل وروية فإن الأبل يأكل الحيات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع من شرب الماء خوفاً من أن يدب السم في جسمه فيقتله . فيقف على الغدير ، وهو مجبور عطشاً فيعج عجباً عالياً ، ولا يشرب منه ، ولو شرب لمات من ساعته . فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمّل الظماء الغالب خوفاً من المضرة في الشرب ، وذلك مما لا يكاد إلا إنسان العاقل المميّز يضبطه من نفسه .

هذا . وزاد التوحيد على ما مر : وانتظم علمه صنوف ذرعاها ، وأدرك تدبيره حسن تقديرها .

١٠٣١٥ و من خطبة له عليه السلام (و هي من خطب الملاحم) :
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلِّي لَخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ . خَلَقَ الْخَلْقَ
 مِنْ غَيْرِ رُويَةٍ إِذْ كَانَتْ الرُّويَاتُ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ ، وَ لَيْسَ
 بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ خَرَقَ عِلْمَهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّرَاتِ ، وَ أَحَاطَ بِغُمُوضِ
 عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ .

قول المصنف « وهي من خطب الملاحم » الملاحم : الوقائع العظيمة في القتن جعلها منها لأن فيها راية ضلالة قامت على قطبها - الخ - كما يأتي في فصل إخباره عليه السلام بالملاحم .

قوله عليه السلام : « الحمد لله المتجلي لخلقه » تجلياً أجلى من الشمس فقد يشك في طلوع الشمس وغروبها وزوالها ومحلها من السماء إذا كانت تحت السحاب . وليس يشك في وجود الصانع غير مكابر في وقت « أفي الله شك فاطر السماوات والأرض » (١) .
 « بخلقه » : أي تجليته بسبب مشاهدة مخلوقاته ، ولولم يكن في خلقه إلا الشمس

لكفاه في تجليته لخلقه كيف و خلقه لا يحصى .

« والظاهر لقلوبهم بحجته » وإن لم يظهر لأعينهم بمشاهدته .

كلم الصادق عليه السلام ابن أبي العوجاء يوماً فعاد إليه غداً . فقال : كأنك جئت

تعيد بعض ما كنا فيه . فقال : أردت ذلك يا ابن رسول الله .

فقال عليه السلام له : ما أعجب هذا تنكر الله و تشهد أنني ابن رسوله .

فقال : العادة تحملني على ذلك .

فقال عليه السلام : فما يمنعك من الكلام . قال : إجلالاً لك ومهابةً ما ينطق لسانى

بين يديك فأنتى شاهدت العلماء و ناظرت المتكلمين فما تداخلنى هبة قطّ مثل ما

تداخلنى من هيبتك . قال : يكون ذلك لكن أفتح لك سؤالاً - و أقبل عليه - .

فقال له : أمصنوع أنت أم غير مصنوع ؟ فقال : بل غير مصنوع . فقال عليه السلام له :

فصف لى لو كنت مصنوعاً كيف كنت ؟ فبقى ملياً لا يحير جواباً ، و ولع بخشبة كانت

بين يديه و هو يقول : طويل عريض عميق قصير متحرك ساكن كل ذلك صفة خلقه فقال

عليه السلام : فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة غيرها فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك مما

يحدث من هذه الأمور .

فقال : سألتنى عن مسألة لم يسألنى عنها أحد قبلك ، ولا يسألنى أحد بعدك

عن مثلها .

فقال عليه السلام : هب علمت أنك لم تسأل فى ما مضى . فما علمك أنك لا تسأل فى

ما بعد على أنك تزعم أن الأشياء من الأوّل سواء فكيف قدمت و أخرت ، وأزبدك

وضوحاً أ رأيت لو كان معك كيس فيه جواهر . فقال لك قائل : هل فى الكيس دينار ؟

فنفتت كون الدينار فى الكيس . فقال لك قائل : صف لى الدينار ، و كنت غير عالم

بصفته هل كان لك أن تنفى الدينار عن الكيس و أنت لا تعلم ؟ فقال : لا .

فقال عليه السلام : فالعالم أكبر و أطول و أعرض من الكيس . فلعلّ فى العالم صنعة من

حيث لا تعلم صفة الصنعة من غير الصنعة : أى فكيف تنفى الصنعة . فانقطع ابن أبى -

العوجاء ، و أجاب بعض أصحابه إلى الإسلام و بقى هو و بعض أصحابه فعاد فى اليوم

الثالث . فقال : أقلب السؤال .

فقال عليه السلام : سل عما شئت . فقال : فما الدليل على حدث الأجسام ؟

فقال عليه السلام : إنني ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلا وإذا ضم إليه مثله صار أكبر ، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى ، ولو كان قديماً ما زال ولا حال لأن الذي يزول و يحول يجوز أن يوجد و يبطل ، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث ، وفي كونه في الأزل دخوله في القدم ، ولن تجتمع صفة الأزل والحدث ، والقدم والعدم في شيء .

فقال : هبك علمت في جرى الحالتين والزمانين على ما ذكرت واستدللت على حدوثها

فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثها .

فقال عليه السلام : إنما تتكلم على هذا العالم المصنوع . فلو رفعناه ووضعنا عالماً آخر

كان لا شيء أدل على الحدث من رفعنا إياه ، ووضعنا غيره مكانه ، ولكن أجيبك من حيث قدرت أن تلزمننا . فنقول : إن الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنه متى ما ضم شيء منه إلى مثله كان أكبر ، وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم كما بان في تغييره دخوله في الحدث ليس لك وراءه شيء . فانقطع وخزي . فلما أن كان من العام القابل التقى معه في الحرم . فقال له بعض شيعته : إن ابن أبي العوجاء قد أسلم .

فقال عليه السلام : هو أعمى من ذلك لا يسلم أبداً ثم بصر عليه السلام به . فقال : ما جاء بك إلى هذا الموضوع . فقال : عادة الجسد سنة البلد ، ولنبصر ما الناس فيه من الجنون والحلق والرمى . فقال له عليه السلام : أنت بعد على عتوك وضلالك . فذهب يتكلم فقال عليه السلام له : لاجدال في الحج ، و نفص ردائه من يده وقال : إن يكن الأمر كما تقول - وليس كما تقول - نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما تقول - وهو كما تقول - نجونا وهلكنا . فأقبل ابن أبي العوجاء على من معه ، وقال : وجدت في قلبي حرارة فردوني فردوه ، ومات .

« خلق الخلق من غير رويّة » : أي تفكّر .

« إن كانت الرويات لا تليق إلا بنوى الضمائر » الذين لهم قلوب في الصدور .

« وليس بندي ضمير في نفسه » وهو نظير قوله عليه السلام في الخطبة الأولى « بلا رويّة »

أجالها ، ولا همامة نفس اضطرب فيها .

« خرق علمه باطن السترات » فجعلها منكشفة « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور »^(١) « فإنه يعلم السر وأخفى »^(٢) قالوا : أخفى من السر ما خطر بالقلب ولم يحصل في الخارج .

« وأحاط بغموض » : أي خفي .

« عقائد السريرات » « قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ، و يعلم ما في السماوات والأرض »^(٣) « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله و هو معهم إن يبيتوا ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا »^(٤) « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو و يعلم ما في البر والبحر و ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » « وهو الذي يتوفاكم بالليل و يعلم ما جرحتم بالنهار »^(٥) .

١٠٥١٦ و من خطبة له ﷺ : كُلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ لَهُ ، وَ كُلُّ شَيْءٍ

قَائِمٌ بِهِ ، غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ ، وَ عِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ ،

وَ مَفْرَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ . مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نَطْقَهُ ، وَ مَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ .

وَ مَنْ عَاشَ فَعَلِيهِ رِزْقُهُ ، وَ مَنْ مَاتَ فَالِيهِ مَنَقَلِبُهُ . لَمْ تَرَكَ الْعَيُونَ

(١) غافر ١٩ .

(٢) طه ٧ .

(٣) آل عمران ٢٩ .

(٤) النساء ١٠٨ .

(٥) الانعام ٦٠ .

فَتَخْبِرُ عَنْكَ بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ ، لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِيُوحِشَةَ ،
 وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ ، وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ ، وَلَا يَفْلُتُكَ مَنْ أَخَذْتَ
 وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مِنْ عَصَاكَ ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ اطَاعَكَ ، وَ
 لَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مِنْ سَخِطِ قَضَائِكَ ، وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ
 أَمْرِكَ . كُلُّ سِرِّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ . أَنْتَ الْأَبَدُ
 لَا أَمَدَ لَكَ . وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى لَا مَحِيصَ عَنْكَ . وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ
 لَا مَنجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ . بِيَدِكَ نَاصِيَةٌ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ
 نَسَمَةٍ . سُبْحَانَكَ مَا اعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ ، وَمَا اصْغَرَ عِظْمَهُ فِي
 جَنْبِ قُدْرَتِكَ ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ ، وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ
 غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ، وَمَا اسْبَغَ نِعْمَكَ فِي الدُّنْيَا ، وَمَا اصْغَرَهَا
 فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ .

« كل شيء خاضع له » هكذا في المصرية ، والصواب : (خاشع له) كما في (حد ، و
 ثم ، والخطيئة) وخشوع كل شيء له بمعنى كونه تحت إرادته كالسجود له . قال تعالى
 « ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال » (١)
 « أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيسوا ضلاله عن اليمين والشمال سجداً لله وهم
 داخرون » (٢) « ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم

(١) الرعد ١٥ .

(٢) النحل ٤٨ .

لا يستكبرون» (١).

«وكل شيء قائم به» «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت» (٢) «إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» (٣).
 «غنى كل فقير» «هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون» (٤) «ووجدك عائلاً فأغنى» (٥) «إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً فعسى ربّي أن يؤتين خيراً من جنتك» (٦).

«وعزّ كل ذليل» «أيتبعون عندهم العزّة فإنّ العزّة لله جميعاً» (٧) «ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لا يعلمون» (٨).
 «وقوّة كل ضعيف» «ألم يجدك يتيماً فأوى» (٩).

«ومفزع كل ملهوف» «أمن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء» (١٠).
 «وما بكم من نعمة فمن الله ثمّ إذا مسّكم الضرّ فإليه تجأرون» (١١)، ويشهد لجميع الفقرات قوله تعالى «قل اللهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار

(١) النحل ٤٩.

(٢) الرعد ٣٣.

(٣) فاطر ٤١.

(٤) المنافقون ٧.

(٥) الضحى ٨.

(٦) الكهف ٤٠.

(٧) النساء ١٣٩.

(٨) المنافقون ٨.

(٩) الضحى ٥.

(١٠) النمل ٦٢.

(١١) النحل ٥٣.

و تولج النهار في الليل و تخرج الحي من الميت و تخرج الميت من الحي و ترزق من
تشاء بغير حساب» (١) .

« و من » هكذا في المصرية ، والصواب : من بدون و او كما في (حد ، و ثم ،
والخطيئة) .

« تكلم سمع نطقه ، و من سكت علم سره » « سواء منكم من أسر القول و من
جهر به هو مستخف بالليل و سارب بالنهار» (٢) « و إن تجهر بالقول فإنه يعلم السر
و أخفى» (٣) .

« و من عاش فعليه رزقه » « و ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها و يعلم
مستقرها و مستودعها كل في كتاب مبين» (٤) .

و قال الشاعر :

إن الذي شق فمى ضامن ✽ للرزق حتى يتوفاني
« و من مات فإليه منقلبه » « قل يتوفاكم ملك الموت الذي و كل بكم ثم إلى
ربكم ترجعون» (٥) .

« لم ترك » الكاف مفعول (لم تر) .

« العيون » كما ترى الجسمانيات .

« فتخبر عنك » بكيفية أو كمية .

« بل كنت قبل الواصفين من خلقك » يعني أن شهادة العقول بكونك قبل الخلق

دالة على أن المخبر عنك إنما هو القلوب الشاهدة للغيوب لا العيون القاصرة عن رؤية

أمر محجوب .

(١) آل عمران ٢٦ .

(٢) الرعد ١٠ .

(٣) طه ٧ .

(٤) هود ٦ .

(٥) الصعدة ١١ .

« لم تخلق الخلق لوحشة » « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » (١) .
 « ولا استعملتهم لمنفعة » « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوّة المتين » (٢) .

« ولا يسبقك من طلبت » « وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال » (٣) « أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا » (٤) .

« ولا يفلتك » : أي لا يخرج من تحت يدك .
 « من أخذت » « فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر » (٥) « فخشفنا به وباداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله » (٦) « فلو لا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين » (٧) .

« ولا ينقص سلطانك من عصاك » « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً » (٨) « يا أيّها الناس إنّما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثمّ إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون » (٩) .

« ولا يزيد في ملكك من أطاعك » « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » (١٠)
 « ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربيّ غنيّ كريم » (١١) .
 « ولا يردّ أمرك » المراد أمره القدرى لا التكليفى .

(١) الذاريات ٥٦ .

(٢) » ٥٨ .

(٣) الرعد ١١ .

(٤) الانبياء ٤٣ .

(٥) القمر ٤٢ .

(٦) القصص ٨١ .

(٧) الواقعة ٨٦ - ٨٧ .

(٨) آل عمران ١٧٦ .

(٩) يونس ٢٣ .

(١٠) فصلت ٤٦ .

(١١) النمل ٤٠ .

« و من سخط قضاءك » « وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً » (١)
 يهب لمن يشاء إناثاً و يهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراً و إناثاً و يجعل من
 يشاء عقيماً (٢) .

« ولا يستغنى عنك من توكلى عن أمرك » والمراد أمره التشريعى ، ولذا لم يقل:
 عنه مع تقدم قوله : ولا يرد أمرك « و إذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً
 أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره مسه » (٣) « وما بكم من
 نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق
 منكم بربهم يشركون » (٤) .

« كل سر عندك علانية » « ألا أنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين
 يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون و ما يعلنون إنه عليم بذات الصدور » (٥) .

« و كل غيب عندك شهادة » « عالم الغيب والشهادة و هو الحكيم الخبير » (٦) .
 « أنت الأبد » : أي وجودك أبدي .
 « لا أمد » : أي لا نهاية .

« لك » كما للخلق حتى السماء و الأرض و الشمس و القمر ، وقال (حد) أنت
 الأبد كلام علوى شريف لا يفهمه إلا الراسخون في العلم ، وفيه شمة من قول النبي ﷺ
 لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله ، و في مناجاة الحكماء ملحمة منه أيضاً وهو قولهم:
 أنت الأزل السرمد ، و أنت الأبد الذي لا ينفد .

قلت : و هو كما ترى فإن الطبيعيين ينسبون الخلق إلى الدهر فيعتبرون عن الله

(١) آل عمران ٨٣ .

(٢) الشورى ٥٠ .

(٣) يونس ١٢ .

(٤) النحل ٥٢ - ٥٣ .

(٥) هود ٥ .

(٦) الانعام ٧٣ .

تعالى بالدهر ، و أما الأبد فلم ينسب أحد إليه أفعال الله ، والنهى عن سب الدهر في الخبر إنَّما هو لكون الناس إذا نزلت بهم حادثة ينسبونها إلى الدهر و يسمونه مع أن المبدء لكل أمر هو الله تعالى ، والكلام الذي نسبه إلى الحكماء لا يعرف حججته مع أنه لو كان مأخوذاً من كلامه ﷺ فيه تجوز ، والأصل إلى الأبد .

، و أنت المنتهى لامحيص : أي لا عدول .

« عنك » ، و أن إلى ربك المنتهى » (١) .

« و أنت الموعد » : أي في القيامة .

« لا منجى منك إلا إليك » الكلام بتمامه في المصرية ، و أما في (ثم ، والخطية)

فليس قوله : إلا إليك فيهما لكن الأول ذكره في الشرح ، و كأنه أخذه من (حد) .

و كيف كان فالأصل فيه قوله تعالى « و ظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه » (٢) لا أنه

في معنى كلامه ﷺ فكما لا ملجأ غيره كذلك لا منجى غيره .

« بيدك ناصية كل دابة » « ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على

صراط مستقيم » (٣) .

« و إليك مصير كل نسمة » : أي ذى روح أو ذى نفس « إليه مرجعكم جميعاً » (٤) .

« سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك » من السماء والأرض والشمس والقمر و

النجوم والجبال والبحار والأنهار والوحوش والطيور .

« و ما أصغر عظمه » هكذا في المصرية ، والصواب : عظيمة كما في (حد ، و ثم

والخطية) .

« في جنب قدرتك » « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن

(١) الحج ٤٢ .

(٢) التوبة ١١٨ .

(٣) هود ٥٦ .

(٤) يونس ٤ .

تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً» (١) «إن يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديدوما ذلك على الله بعزيز» (٢).

وفي الخبر أن رجلاً جاء إليه عليه السلام فقال: أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا يصغر الأرض ولا يكبر البيضة. فقال: ويملك إن الله لا يوصف بالعجز، ومن أقدر ممن يلطف الأرض أو يعظم البيضة.

« وما أهول ما نرى من ملكوتك ، و ما أحقر ذلك في ماغاب عنا من سلطانك »
 « خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير » (٣) « له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » (٤) « وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم » (٥) « قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله » (٦) « و ينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه بمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » (٧).

وفي الفقيه في باب وصف الصلاة عن الصادق عليه السلام صار التسييح أفضل من القراءة في الأخيرتين لأن النبي صلى الله عليه وآله لما كان في الأخيرتين ذكر ما رأى من عظمة الله - عز وجل - فدهش فقال: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ».

« وما أسبغ » : أي ما أكمل .

« نعمك في الدنيا » « و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة » (٨).

(١) الكهف ١٠٩ .

(٢) إبراهيم ١٩ - ٢٠ .

(٣) الطلاق ١٢ .

(٤) طه ٦ .

(٥) البقرة ٢٥٥ .

(٦) المؤمنون ١٦ .

(٧) النور ٤٣ .

(٨) لقمان ٢٠ .

« وما أصغرها في نعيم » هكذا في المصرية ، والصواب : في نعم كما في الثلاثة .
 « الآخرة » « فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة عين جزاء بما كانوا يعملون » (١)
 وفي الخبر في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا على خاطر خطر وأنّ نعمة
 أدنى أهل الجنة سبعون ضعفاً لنعم الدنيا جميعاً .

١٧٩ ر ١٢٩ و من كلام له عليه السلام : وَ انْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ
 بِأَزْمَتِهَا ؛ وَ قَدَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا ، وَ سَجَدَتْ
 لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاصِرَةُ ، وَ قَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا
 النَّيْرَانَ الْمَضِيئَةَ ، وَ آتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارُ الْيَانِعَةَ .

« وانقاد له الدنيا والآخرة بأزمتها » كانقياد الخيول لراكبيها بأعنتها . أما انقياد
 الدنيا له تعالى بأزمتها فلا تبه كما وصف نفسه « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من
 تشاء و تنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء و تذلل من تشاء بيدك الخير إنك على كل
 شيء قدير تولج الليل في النهار و تولج النهار في الليل و تخرج الحي من الميت و
 تخرج الميت من الحي و ترزق من تشاء بغير حساب » (٢) .

و أما انقياد الآخرة له تعالى فأوضح فلا يملك غيره يومئذ شيئاً « لمن الملك اليوم
 لله الواحد القهار » (٣) « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله » (٤) « وخشعت
 الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن و
 رضى له قولاً يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم ولا يحيطون به علماً و عنت الوجوه للحي

(١) السجدة ١٧ .

(٢) آل عمران ٢٦ - ٢٧ .

(٣) المؤمن ١٦ .

(٤) الانطار ١٩ .

القيوم و قدخاب من حمل ظلاماً» (١) .

« وقذفت » : أي ألقى .

« إليه السماوات والأرضون مقاليدها » جمع مقلد : المفتاح ، والأصل فيه قوله تعالى « له مقاليد السماوات والأرض » (٢) .

وقذف السماوات والأرض مقاليدها إليه تعالى كناية حسنة عن كمال سيطرته عليهما كبيت مفتاحه بيد شخص يفتحه متى شاء ويغلقه متى شاء . فمتى شاء تعالى جادت السماء ، ومتى شاء بخلت ، ومتى شاء أخضبت الأرض ومتى شاء أجذبت ، وقال تعالى في قصة نوح في ابتداءها « وفتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر » وفي انتهاءها « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي » (٣) .

ثم الذي وقفنا عليه في النسخ (بأزمتها) و (مقاليدها) والظاهر وقوع تصحيف وكون الأصل : بأزمتها ، ومقاليدهما بلفظ التثنية إرجاعاً للأول إلى الدنيا والآخرة ، وللثاني إلى السماوات والأرضون . فإن أول الثاني يكون السماوات والأرضون بلفظ الجمع فلا يتأتى في الأول لكون كل من الدنيا والآخرة بلفظ المفرد وليس في معنى الجمع حتى يعبر عنهما بلفظ الجمع نظراً إلى المعنى كقوله تعالى « هذان خصمان اختصموا في ربهم » (٤) مع أن الثاني أيضاً يعبر عنه بلفظ الاثنين كقوله تعالى « أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما » (٥) .

« وسجدت له بالعدو » على فعول جمع العدو على فعل كما قاله الليث وجمعه الآخر العدو ، وأما الغدايا في قولهم « إنني لآتية بالغدايا والعشايا » فلا يأتي جمعاً إلا ازدواجاً

(١) طه ١٠٨ - ١١١ .

(٢) الزمر ٦٣ .

(٣) هود ٤٤ .

(٤) الحج ١٩ .

(٥) الانبياء ٣٠ .

مع الغثايا .

« والآصال » جمع الأصيل : الوقت بعد العصر إلى المغرب .

و في القرآن كلما ذكر (الأصيل) ذكر مع (بكرة) و كلما ذكر الآصال ذكر مع الغدو كما أنه كلما ذكر الأوتان نكرا فقال « بكرة وأصيلا » و كلما ذكر الأخيران عرفا فقال « بالغدو والآصال » . الأول في أربع آيات : في الفرقان والأحزاب والفتح والدر ، والثاني في ثلاث : في الأعراف والرعد و نور .

« الأشجار الناضرة » : أي ذات الحسن والرواق ، والأشجار الناضرة وأن تسجد له تعالى في كل حال حسب غيرها من الأشياء كما قال تعالى « ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب » (١) إلا أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قيّد سجودها بالغدو والآصال لأن المراد بالسجود لها هنا سجود خاص بظهور طراوتها وصفاتها و انتشار شميمها فيهما دون السجود العالم المراد به الدخول تحت خضوع التكوين كما أراد - عز وجل - فيها .

« و قدحت » بلفظ المجهول من قدحت النار : أي أوقدتها .

« له » : أي لأمره .

« من قضابنها » القضبان : جمع القضيب : أي الغصن .

« النيران » جمع النار .

« المضيفة » « أفرايتم النار التي تورون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين » (٢) « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون » (٣) .

« و آتت » : أي أعطت .

« أكلها » أي ما يؤكل منها مفعول مقدم .

« بكلماته الثمار اليانعة » و ينع الثمر : نضجه . قال تعالى « انظروا إلى ثمرة إذا

(٢) الواقعة ٧٢ .

(١) الحج ١٨ .

(٣) يس ٨٠ .

أثمروينعه إن في ذلكم آيات لقوم يؤمنون» (١) وقوله عليه السلام: بكلماته إشارة إلى قوله تعالى «تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها» (٢) ونظير فقراته عليه السلام في العنوان كلام السجاد عليه السلام من عثرته في مناجاته الانجيلية: فسبحت له السماوات وأكنافاها، والأرض وأطرافها، والجبال وأعراقها، والأشجار وأغصانها، والبحار وحيثانها، والنجوم في مطالعها، والأمطار في مواقعها، ووحوش الأرض وسباعها، ومدد الأنهار وأمواجها، وعذب المياه وأجاجها، وهبوب الرياح وعجاجها، وكل ما وقع عليه وصف وتسمية، أو يدركه حد يحويه مما يتصور في الفكر، أو يتمثل بجسم، أو ينسب إلى عرض أو جوهر من صغير حقير أو خطر كبير مقرأ له بالعبودية. خاشعاً متضرعاً طشيثته متواضعاً له.

١٤٨، ١٤٨ و من خطبة له عليه السلام: الحمد لله الدال على وجوده بخلقه، و بمحدث خلقه على ازليته، و بأشباههم على ان لا شبه له لا تستلمه المشاعر، ولا تحجبه السواتر لا فتراق الصانع والمصنوع، والحاد والمحدود، والرّب والمربوب، الاحد لا بتأويل عدد، و الخالق لا بمعنى حركة و نصب، والسميع لا باداة، والبصير لا بتفريق آله، والشاهد لا بمماسه، والبائن لا بتراخي مسافة، والظاهر لا برؤية، والباطن لا بلطافة، بان من الاشياء بالقهر لها، والقدرة عليها، و بانّ الاشياء منه بالخضوع له، والرجوع اليه، من وصفه فقد حده و من حده فقد عدّه، و من عدّه فقد ابطل اذله. و من قال كيف

. (١) الانعام ٩٩ .

. (٢) ابراهيم ٢٥ .

فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ . وَ مِنْ قَالِ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّزَهُ . عَالِمٍ إِذٍ لَا مَعْلُومٍ . وَ رَبِّ إِذٍ لَا مَرْبُوبٍ . وَ قَادِرٍ إِذٍ لَا مَقْدُورٍ .

أقول : رواه الكافي في اسناد عن الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام وفي آخر عن الكاظم عليه السلام ، ورواه توحيد عن الصادق عن الرضا عليه السلام . فروى الأول أو لا : عن علي بن محمد عن سهل عن شباب الصير في عن علي بن سيف عن إسماعيل بن قتيبة قال : دخلت أنا وعيسى شلقان على أبي عبد الله عليه السلام فقال : عجبا لأقوام يدعون علي أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يتكلم به قط خطب عليه السلام الناس بالكوفة فقال : الحمد لله الملهم عباده حمده ، و فاطرهم على معرفة ربوبيته . الدال على وجوه بخلقه ، و بحدوث خلقه على أزاله ، و باشتباههم على أن لا شبه له . المستشهد بآياته على قدرته . الممتنعة من الصفات ذاته ، و من الابصار رؤيته ، و من الأوهام الإحاطة به ، لا أمد لكونه ، و لا غاية لبقائه لا تشتمله المشاعر ، و لا تحجبه الحجب ، و الحجاب بينه و بين خلقه خلقه إياهم لامتناعه مما يمكن في ذواتهم ، و لا مكان مما يمتنع منه ، و لا فتراق الصانع من المصنوع ، و الحاد من المحدود ، و الرب من المربوب . الواحد بلا تأويل عدد ، و الخالق لا بمعنى حركة ، و البصير لا بأداة ، و السميع لا بتفريق آلة ، و الشاهد لا بمماسة ، و الباطن لا باجتنان ، و الظاهر البائن لا بتراخي مسافة ، أزاله نهية لمجاول الأفكار ، و دوامه ردع لطامحات العقول ، قد حسر كنهه نوافذ الابصار ، و قمع وجوده جوائل الأوهام . فمن وصف الله فقد حده ، و من حده فقد عدّه ، و من عدّه فقد أبطل أزاله ، و من قال : أين فقد غيابه ، و من قال على م فقد أخلى منه ، و من قال في م فقد ضمّنه .

ثم قال : و رواه محمد بن الحسين عن صالح بن حمزة عن فتح بن عبد الله مولى بني هاشم . قال : كتبت إلى أبي إبراهيم عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد فكتب إلي بخطه : الحمد لله ، و ذكر مثل ما رواه سهل . إلى قوله : و قمع وجوده جوائل الأوهام . رواه في باب جوامع التوحيد .

و روى الثاني عن الدقاق عن الأُسدي عن البرمكي عن علي بن عباس عن جعفر

بن محمد الأشعري عن فتح بن يزيد الجرجاني . قال : كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد فكتب إلي بخطه : قال جعفر : وإن فتحاً أخرج إلى الكتاب فقرأته بخط أبي الحسن عليه السلام - إلخ - مع تفاوت يسير .

« الحمد لله الدال على وجوده بخلقه ، وبمحدث خلقه على أزمته ، وبأشباههم على أن لا شبه له » استدلال عليه السلام على أصل وجوده تعالى ثم على أزمته ثم على نفى الشبه له بما ذكر .

قال الصادق عليه السلام : لم يكن بدء من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار منهم إليه أنهم مصنوعون ، وأن صانعهم غيرهم ، وليس مثلهم إذ كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف ، وفي ما يجري عليهم من حدوثهم بعد إن لم يكونوا ، وتنقلهم من صغر إلى كبر ، ومن سواد إلى بياض ، ومن قوة إلى ضعف .

« لا تستلمه » من استلم الحجر : إذا لمسه .

« المشاعر » : أى الحواس الظاهرة ، وهى : السامعة والباصرة والذائقة والشامة .

واللامسة . قال الشاعر :

و الرأس مرتفع فيه مشاعره بهدى السبيل له سمع وعينان

« ولا تحجبه السواتر » كما تستر البيت أستار الكعبة .

« لافتراق الصانع والمصنوع » فلا يمكن أن يكون في الصانع مشاعر مثل مشاعر

المصنوعين .

« والحاد والمحدود ، والرب والمربوب » فلا يمكن أن تحجبه السواتر كالمحدود

والمربوب .

« الأحد لا يتأويل عدد » هكذا في (حد ، ونم ، و الخطيئة) وأما ما في المصريّة

« الأحد بلا تأويل عدد » فغلط .

وفي الخبر أن أعرابياً قام إليه عليه السلام يوم الجمل وقال له : هل يقال : إن الله

واحد ؟ فقال عليه السلام : إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام . فوجهان منها لا يجوزان

على الله تعالى ، ووجهان يثبتان . فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل (واحد)

يقصد به باب الأعداد . فهذا ما لا يجوز لأن ما لثاني له لا يدخل في باب الأعداد - الخبر - .

وأما ما في دعاء الصحيفة (٢٨) لك يا إلهي وحدانية العدد . فالمراد به أنه لا يطلق عليه من لفظ الأعداد إلا الواحد ، وإن لم يكن إطلاقه عليه بمعنى كونه أول الأعداد بل بمعنى أنه لثاني له .

وأما قول ابن سينا - كما نقل عنه العاملي تلميذ البهائي في حاشيته على خلاصته - في استشكله في كون موضوع علم الحساب العدد الحاصل في المادة : بأن المحاسب يبحث عن العدد المفارق للمادة في الخارج أيضاً لعروضه المجردات كالعقول والنفوس ، و ذات الواجب إن قلنا : إن الواحد عدد . فخطأ منه حسب كثير من أوهامه في أصول الدين .

«والخالق لا بمعنى حركة ونصب» : أي تعب «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» (١) .

«والسميع لأبادة» : أي أذن وسامعة .

«والبصير لتفريق» و أما ما في المصيرية : والبصير بالتفريق . فغلط .

«آلة» قد عرفت أن الكافي رواه : البصير لأبادة ، والسميع لا بتفريق آلة . لكن

الظاهر صحة ما هنا لتصديق (التوحيد) له مع أنه لا معنى لتفريق الآلة في السمع بخلافه في البصر . فالإنسان في إبصاره للأشياء يفرق الآلة : أي الحدقة مرة إلى شيء وأخرى إلى آخر ، وسماعه لشيئين وإن كان بتوجهه إلى هذا مرة ، وإلى ذاك أخرى إلا أنه ليس فيه تفريق آلة .

قال (حد) : المراد بتفريق الآلة في البصر : الشعاع الذي باعتباره يكون الواحد

منها مبصراً . فإن القائلين بالشعاع يقولون : إنه يخرج من العين أجسام لطيفة هي الأشعة . فكل جسم يقع عليه ذلك الشعاع يكون مبصراً .

قلت : وعلى ما فسّرنا كلامه عليه السلام لا يستلزم صحة القول بالشعاع بل الأصح هو القول بالانطباع ، ويشهد له الأخبار الدالة على أن الله تعالى أدخل العالم بكبره في سواد العين الذي يكون بقدر عدسة .

« والشاهد » للأشياء .

« لا بمماسّة » منه تعالى لها بل بعلمه وإحاطته بها .

« والبائن » : أي البعيد عن الأشياء .

« لا تراخي » تفاعل من الرخو في مقابل الصعب ، والمراد البعد يقال : تراخى

السماء إذا بعد نزول المطر .

« مسافة » والأصل في المسافة : سفت الشيء : إذا شمّمته كان الدليل على الطريق

إذا كان في فلاة أخذ التراب فشمّمه ليعلم أعلى قصد أم جور . قال روبة :

إذا الدليل استاف أخلاق الطرق

ثم كثر حتّى سمّوا البعد مسافة ، والمسافة في قصر الصلوة أربعة وعشرون ميلاً

« والظاهر لبرؤية » أحد له كظهور غيره من الأشياء .

« و الباطن لابلطافة » كبطون غيره من الأشياء .

« بان » : أي انفصل وبعد .

« من الأشياء بالقهرها والقدرة عليها » جملة : بان - إلخ - تفسير وشرح لقوله :

والباطن لا تراخي مسافة .

« وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع إليه » الجملة من تنمة الأولى فإنّه

إذا كان تعالى بان من الأشياء كانت الأشياء بائنة منه لكن كل منهما لا بمعنى البينونة

في الأشياء بعضها مع بعض .

« من وصفه فقد حدّه » ولاحد له .

« ومن حدّه فقد عدّه » وهو منزّه عن العدد .

« ومن عدّه فقد أبطل أزلّه » مع أنّه أزلّي . لا آخر له فلا يجيء العدّ في أمده .

« ومن قال : كيف » خبراً .

« فقد استوصفه » ومحال استيصافه ، وبيان وصف له .

« ومن قال : أين ، خبراً .

« فقد حيزه » : أى جعله في حيزٍ و موضع . قال الفطامى في امرئته خافت أن

يصير ضيفها :

تحييز منى خيفة أن أضيفها ❖ كما انحازت الأفعى مخافة ضارب

وفي الكافي بدل (فقد حيزه) : فقد غيَّاه ، وفي التوحيد بدله (فقد أخلى منه)

« عالم إذ لا معلوم ، ورب إذ لا مربوب ، وقادر إذ لا مقدور » إذ الثلاثة من صفات

الذات لا الفعل ، وصفات الذات أبدية بلا ضد بخلاف صفات الفعل .

قال الكليني : إن كل شيئين وصفت الله بهما وكانا جميعاً في الوجود فذلك صفة

الفعل فتثبت ما يريد وما لا يريد ، وما يرضاه وما يسخطه ، وما يحب وما يبغض ، ولا نجد

في الوجود ما لا يعلمه وما لا يقدر عليه . قال الصادق عليه السلام لكبير بن أعين لما سأله هل

علمه تعالى ومشيئته متفقان أم مختلفان ؟ : العلم ليس هو المشيئة تقول : سأفعل كذا

إن شاء الله ، ولا تقول : سأفعل ذلك إن علم الله ، وبالجملة كان - عز وجل - عالماً ورباً

وقادراً أبدأ قبل الخلق وبعد الخلق .

١٩ ر ١٥٨ ومن خطبة له عليه السلام : الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ ، وَسَاطِحِ

الْمِهَادِ ، وَ مَسِيلِ الْوَهَادِ ، وَمُخَصِّبِ النَّجَادِ ، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ ،

وَلَا لِأَزَلِّيَّتِهِ انْقِضَاءٌ . هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ ، وَ الْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ . خَرَّتْ لَهُ

الْجِبَاهُ وَوَحْدَتُهُ الشَّفَاهُ . حَدَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا ابَانَةٌ لَهُ مِنْ شَبْهِهَا

لَا تَقْدَرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدْوَاتِ .

لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى ، وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى . الظاهر لا يقال مما ، والباطن

لَا يُقَالُ فِي مَا ، لَا شَبِيحَ فَيَتَقَضَى ، وَلَا مَحْجُوبٌ فِي حَوَى ، لَمْ يَقْرَبْ مِنَ
 الْأَشْيَاءِ بِالتَّصَاقِ ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ . لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ
 شَخُوصٌ لِحِظَةٍ ، وَلَا كُرُورٌ لَفِظَةٍ ، وَلَا زِدْلَافٌ رُبُوعَةٍ ، وَلَا انْبِسَاطٌ خُطُوعَةٍ فِي
 لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ . يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ ، وَتَعْقِبُهُ الشَّمْسُ
 ذَاتُ النُّورِ فِي الْأَفْوَالِ وَ الْكُرُورِ ، وَ تَقَلِّبُ الْأَزْمِنَةَ وَ الدُّهُورَ ، مِنْ
 أَقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَادْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ . قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَ مَدَّةٍ ، وَكُلِّ احْتِصَاءٍ
 وَ عِدَّةٍ . تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدَّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ ، وَنِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ ،
 وَتَأْتِلِ الْمَسَاكِينِ ، وَتَمَكِّنُ الْأَمَاكِينِ . فَالْحَدُّ لِحَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَ إِلَى غَيْرِهِ
 مَنْسُوبٌ . لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ اِزْلِيَّةٍ . وَلَا أَوَائِلَ اِبْدِيَّةٍ . بَلْ
 خَلَقَ مَا خَلَقَ . فَاقَامَ حَدَّهُ ، وَ صَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَاحْسَنَ صُورَتَهُ . لَيْسَ
 لِشَيْءٍ مِنْهُ اِمْتِنَاعٌ ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ اِنْتِفَاعٌ . عَلِمَهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ
 كَعَلِمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ ، وَ عَلِمَهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى كَعَلِمِهِ بِمَا فِي
 الْأَرْضِينَ السُّفْلَى .

أقول : لا يبعد أن يكون الأصل في الخطبة ما رواه توحيد الصدوق مسنداً عن
 أبي المعتمر مسلم بن أوس . قال : حضرت مجلس علي عليه السلام في جامع الكوفة فقام إليه
 رجل مصفر اللون كأنه من متهودة اليمن . فقال له : صف لنا خالقك وانعمته لنا كأننا
 نراه و ننظر إليه . فسبح علي عليه السلام ربّه وعظّمه ، وقال : الحمد لله الذي هو أول

بلا بدء ممّا ، ولا باطن فيما ، ولا يزال مهما ، ولا ممزوج مع ما ، ولا خيال وهما . ليس بشبح فيرى ، ولا بجسم فيتجزئ ، ولا بذى غاية فيتناهى ، ولا بمحدث فيبصر ، ولا بمستتر فيكشف ، ولا بذى حجب فيحوى . كان ولا أماكن تحمله أكتافها ، ولا حملة ترفعه بقوتها ولا كان بعد أن لم يكن ، بل حارت الأوهام أن يكيّف المكيّف للأشياء ، ومن لم ينزل بلا مكان ، ولا يزول باختلاف الأزمان ، ولا ينقلب شأناً بعد شأن ، البعيد من حدس القلوب ، المتعالى عن الأشباه والضروب . الوتر علام الغيوب . فمعاني الخلق عنه منفيّة وسرائرهم علنته [عليه] غير خفيّة . المعروف بغير كفيّة ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، ولا تدركه الأبصار ، ولا تحيطه الأفكار ، ولا تقدّمه العقول ، ولا تقع عليه الأوهام فكل ما قدّره عقل أو عرف له مثل فهو محدود ، وكيف يوصف بالأشباح وينعت بالألسن الفصاح ، من لم يحلل في الأشياء . فيقال : هو فيها كائن ، ولم ينأ عنها فيقال : هو عنها بائن ، ولم يخل منها . فيقال : أين ، ولم يقرب منها بالاتزاق ، ولم يبعد عنها بالافتراق ، بل هو في الأشياء بلا كفيّة ، وهو أقرب إلينا من جبل الوريد ، وأبعد من الشبهة من كل بعيد ، لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة ، ولا من أوائل كانت أبدية ، بل خلق ما خلق وأتقن خلقه ، وصور ما صور فأحسن صورته . فسبحان من توحد في علوه ، فليس لشيء منه امتناع ، ولاله بطاعة أحد من خلقه انتفاع ، إجابته للداعين سريعة ، والملائكة له في السماوات والأرض مطيعة ، كلم موسى تكليماً بلا جوارح وأدوات ولا شفة ولهوات سبحانه وتعالى عن الصفات ، فمن زعم أن إله الخلق محدود . فقد جهل الخالق المعبود - إلخ - .

فإنهما مشتركتان في كثير من الفقرات واختلافهما في بعضها لا يبعد أن يكون من اختلاف الروايات كما أن نقصهما وزيادتهما لا يبعد أن يكونا من حيث إن الرضى - رضوان الله عليه - ينتخب من الخطب ، وقد قال في هذه الخطبة : ومنها أيها المخلوق السوى - إلخ - وصرح التوحيد أيضاً بأن الخطبة طويلة أخذ منها موضع الحاجة .

« الحمد لله خالق العباد » « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس

واحدة وخلق منها زوجها و بثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً» (١) .
 يمكن أن يراد بقوله ﷺ : العباد : البشر فقط ، و يمكن أن يراد به الجن
 والانس معاً لقوله تعالى « و ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » (٢) فالكلّ عباده
 بل مع الملائكة لقوله تعالى « إن كلّ من في السماوات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً
 لقد أحصاهم وعدّهم عدداً وكلّهم آتية يوم القيامة فردا » (٣) .
 « و ساطح المهاد » : أى الأرض التى جعلها للناس كالمهد للطفل قال تعالى « ألم
 نجعل الأرض مهاداً » (٤) أو : أى الأرض التى جعلناها ممهّدة و مهياة لانتفاع الناس بها
 أى نوع أرادوا منها . قال تعالى « والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً
 فجاجاً » (٥) و قال - عزّ وجلّ - « والأرض فرشناها فنعم الماهدون » (٦) و قال - عزّ
 اسمه - « و إلى الأرض كيف سطحت » (٧) .
 هذا ، وقالوا : إنّ قوله ﷺ : ساطح المهاد كالأية الأخيرة لا ينافي كروية
 الأرض .

« و مسيل الوهاد » : أى الأمكنة المنخفضة .
 حمد الله تعالى على إيجاده الأراضى المنخفضة التى تجري فيها سيول المطر لأنّه
 لولا ذلك لما حدثت هذه الأنهار ، ولا حصلت منها البساتين والأشجار ، والرياحين
 والأزهار .
 « ومخصب النجد » النجد: جمع النجد الموضع المرتفع عكس الوهد ، والنخب

(١) النساء : ١

(٢) الذاريات : ٥٤ .

(٣) ريم : ٩٤ .

(٤) الأنبياء : ٦ .

(٥) نوح : ٢٠ .

(٦) الذاريات : ٤٨ .

(٧) الفاشية : ٢٠ .

ضدّ الجذب . حمد تعالى على إخصابه النجاد بإزالة الأمصار عليها في مالم تجرالأ نهار إليها ، ولولذلك لبقيت الأراضي المرتفعة ورؤوس الجبال والآكام معطلة مجدبة .
 « ليس لأوليته ابتداء ، ولا لأزليته انقضاء » « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » ^(١) و سئل الصادق عليه السلام عن الأول ، والآخر في وصفه تعالى . فقال: الأول لا عن أول قبله ، والآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين ، ولكن قديم أول آخر لم يزل ولا يزال بلابدء ولا نهاية .

« هو الأول لم يزل ، والباقي بلا أجل » هما كالشرح لسابقيهما .
 « خرت له الجباه » الجباه : جمع الجبهة . يمكن أن يراد بالجهاء الجباه الظاهرة ، فيكون المراد جباه بني آدم ، ويمكن أن يراد بها جباه الذكّة والمسكنة من جميع الخليقة استعارة ، وهو الأظهر . قال تعالى « أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ وظلاله عن اليمين والشمال سجداً لله وهم داخرون » ^(٢) « ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال » ^(٣) .

« وحدته الشفاء » الشفاء : جمع الشفة ، والكلام فيه كسابقه فيمكن أن يكون الكلام على الحقيقة ، ويمكن أن يكون استعارة فيراد بالشفاء شفاء الاعتراف بلسان الحال من كلّ الخليقة بربوبيته « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » ^(٤) .

« حدّ الأشياء عند خلقه لها » : أي جعلها محدودة فلنشوا الحيوان والنبات حدّ .
 « إبانة » : أي فصلا .
 « له » تعالى .

(١) الحديد : ٢ .

(٢) النحل : ٣٨ .

(٣) الرعد : ١٥ .

(٤) الاسراء : ٤٤ .

- « من شبهها » فلا يمكن أن يكون محدوداً ، وفي خطبة أخرى له عليه السلام : إبانة لها من شبهه ، وإبانة له من شبهها .
- « لا تقدره الأوهام » : أى لا تقدر الأفكار أن تعين له مقداراً .
- « بالحدود والحركات » كما تكون للكواكب .
- « ولا بالجوارح والأدوات » كما تكون للإنسان والحيوانات .
- « يقال له متى » لأنّها موضوعة للسؤال عن الزمان . قال امرء القيس :
- متى عهدنا بطعان الكماة * والمجد والحمد والسود
وقال جرير :
- متى كان حكم الله * في كرب النخل
وهو تعالى منزّه عن المكان .
- « ولا يضرب له أمد » : أى مدّة .
- « بعثتى » لأنّها موضوعة للانتهاء ولا انتهاء له تعالى .
- « الظاهر لا يقال ممّا » كما تقول : ظهرت الشمس من السحاب .
- « والباطن لا يقال في ما » كما تقول : بطن القمر في السحاب ، (ما) في (ممّا)
و (في ما) كناية عن الشيء غير المعين .
- « لا شبح » يأتي الشبح بمعنى الجسد كقولهم : أشباح بلا أرواح ، و بمعنى الهباء كقولهم : أدق من شبح باطل . والظاهر أن المراد هنا الثاني لقوله عليه السلام :
- « فيتقضى » : أى فينقضى .
- « ولا محجوب » كملوك الدنيا .
- « فيحوى » بالأستار والكلل .
- « لم يقرب من الأشياء بالتصاق » كقرب جسم من جسم .
- « ولم يبعد عنها بافتراق » كبعد شخص عن شخص .
- « لا يخفى عليه من عباده شخوص » من شخص بصره : إذا فتحه ، وجعل لا يطرف .
- « لحظة » : أى النظر بمؤخر العين ، واللحاظ : بالفتح مؤخر العين ، واللحاظ

بالكسر مصدر لا حظ . قال تعالى « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » (١) .
« ولا كرور » مصدر كر .

« لفظة » والأصل في اللفظ : الحذف . يقال : لفظ اللقمة من فيه . سمى اللفظ لفظاً لأنه يحذف من الفم . قال تعالى « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » (٢) و قال - عز وجل - « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة » (٣) .
« ولا ازدلاف » : أي التقدم والتقرب .

قال الشاعر :

وكل يوم مضى أوليلة سلفت ❖ فيها النفوس إلى الآجال تزدلف

« ربوة » بالضم والفتح والكسر : الموضع المرتفع .

« ولا انبساط خطوة » بالفتح : المشى قدماً واحدة ، وأما بالضم فما بين قدمين مرة أو أكثر .

« في ليل داج » : أي مظلم ، و عن الأصمعي معنى ليل داج : ألبس كل شيء لقولهم : دجى الإسلام - إلخ - وقال الشاعر : والليل داج كنفنا جلبابه .
« ولا غسق » عطف على شخص . قال الجوهري : الغاسق : الليل إذا غاب الشفق .

« ساج » : أي دام وسكن . قال تعالى « والليل إذا سجي » (٤) و كيف يخفى عليه شيء وقد قال - عز وجل - « وما تكون من شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين » (٥) « سواء منكم من أسر »

(١) غافر : ١٩ .

(٢) ق : ١٨ .

(٣) المجادلة : ٧ .

(٤) الضحى : ٢ .

(٥) يونس : ٦١ .

القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل و سارب بالنهار « (١) .
 « يتفياً » : أي يرجع .
 « عليه » : أي على الليل الداجي أو الغسق الساجي .
 « القمر المنير » « أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً وظلاله عن اليمين
 والشمال سجداً لله وهم داخرون » (٢) .
 « وتعقبه الشمس ذات النور في الأقول » : أي الغروب .
 « و الكرور » : أي الرجوع والطلوع . قال تعالى « والشمس وضحاها والقمر
 إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها » (٣) وقال - عز وجل - « والليل
 إذا يغشى والنهار إذا تجلى » (٤) .
 « و تقلب » وفي المصرية : و تقلب ، وهو غلط .
 « الأزمنة والدهور من إقبال ليل مقبل و إدبار نهار مدبر » وقال تعالى « كلا
 والقمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر » (٥) ولعل وجه تخصيصه بالإقبال بالليل
 والإدبار بالنهار مع أن لكل منهما إقبالا و إدباراً كون الأمور في الدنيا على خلاف
 المراد في الأغلب .

« قبل كل غاية ومدّة » فلا يمكن أن تكونا مضافتين إليه تعالى .
 « و كل احصاء وعدة » فلا يمكن أن يكونا منسويين إليه - جل وعلا - .
 « تعالى » : أي ارتفع .
 « عمماً ينحله » بالفتح : أي يدعيه .
 « المحددون » له تعالى .

(١) الرعد : ١٠ .

(٢) النحل : ٤٨ .

(٣) الشمس : ١-٥ .

(٤) الليل : ٢ .

(٥) المدثر : ٣١-٣٤ .

« من صفات الأقدار » : أى الأشياء التى لها مقدار ،
 « و نهايات الأقطار » من الطول والعرض و العمق .
 « وتأئل » : أى اتخاذا .

« المساكن و تمكّن الأماكن » : أى جعلها مكاناً له .
 « فالحدّ لخلقه مضروب » و هو تعالى أجل من أن يحدّ .
 « و إلى غيره منسوب » فمن نسبه إليه فقد أخطأ .

« لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة ، ولا أوائل أبدية » هو مثل قوله ﷺ في
 خطبة له أخرى « ولا من شيء خلق ما كان » ، وقال الكليني بعد نقل ذلك القول : دفع
 ﷺ بهذا الكلام جميع حجج الثنوية و شبههم لأنّ أكثر ما تعتمد الثنوية في عدم
 حدوث العالم أن يتمولوا لا يخلو من أن يكون الخالق خلق الأشياء من شيء أو لا شيء .
 فقولهم : من شيء خطأ ، و قولهم : من لا شيء مناقضة ، و إحالة لأنّ من شيء توجب
 شيئاً ، و لا شيء تنفيه . فأخرج ﷺ هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ و أصحابها . فقال :
 لا من شيء خلق ما كان . فنفي من إذ كانت توجب شيئاً ، و نفي الشيء إذ كان كل شيء
 مخلوقاً محدثاً لا من أصل أحدث الخالق كما قالت الثنوية : إنّه خلق من أصل قديم .
 « بل خلق ما خلق فأقام حدّه » « الذي خلق كل شيء ثمّ هدى » .

« وصور ما صور فأحسن صورته » « وصوركم فأحسن صوركم و إليه المصير » (١)
 « الذي أحسن كل شيء خلقه و بدء خلق الإنسان من طين » (٢) .
 « ليس لشيء منه امتناع » « إن يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد وما ذلك على
 الله بعزيز » (٣) .

« و لاله بطاعة شيء انتفاع » « وقال موسى إن تكفروا أنتم و من في الأرض جميعاً
 فإنّ الله لغنى حميد » (٤) .

(١) غافر : ٦٤ .

(٢) السجدة : ٧ .

(٣) فاطر : ١٧ .

(٤) إبراهيم : ٨ .

« علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين » ، ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ،^(١) .

« وعلمه بما في السماوات العلى كعلمه بما في الأرضين السفلى » ، والله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله »^(٢) ، وفي الخبر أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ لما وقف بعرفات ونظر إلى الناس وكثرتهم صعد الجبل وأقبل يدعو . فأناه جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال له : يقول لك ربك ظننت أنه يخفى على صوت من صوت ثم مضى به إلى جدة . فرسب به في البحر مسيرة أربعين صباحاً في البر فإذاً بصخرة ففلقها فإذاً فيها دودة . فقال له : إن ربك يقول : أنا أسمع صوت هذه الدودة في بطن هذه الصخرة في قعر هذا البحر . فظننت أنه يخفى على صوت من صوت .

٢٠ - ١٧٣ ومن خطبة له عَلَيْهِ السَّلَامُ : لا يشغله شأن ، ولا يغيره زمان ،

ولا يحويه مكان ، ولا يصفه لسان ، ولا يعزب عنه عدد قطر الماء ، ولا نجوم السماء ، ولا سوافي الريح في الهواء ، ولا دبيب النمل على الصفا ، ولا مقييل الذر في الليلة الظلماء ، يعلم مساقط الأوراق ، وخفي طرف الأحداق .

« لا يشغله شأن » : أى عن شأن آخر كما هوشأن الناس . فإن اشتغل أحد بالخياطة لا يمكنه التجارة ، وإذا تكلم مع زيد لا يستطيع التكلم مع عمرو .
« ولا يغيره زمان » كما يغير الخلق .
« ولا يحويه » : أى لا يضمه .

« مكان » كما يحوى الجسمانيات ، وفي الخبر سأل يونس بن عبد الرحمن الكاظم

(١) الحجر ٢٤ .

(٢) هود ١٢٣ .

عَنْ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ثُمَّ إِلَى حِجْبِ النُّورِ ،
فَخَاطَبَهُ وَنَاجَاهُ هُنَاكَ ، وَاللَّهُ لَا يُوَصِّفُ بِمَكَانٍ . فَقَالَ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ زَمَانٌ
وَلَا يُوَصِّفُ بِمَكَانٍ ، وَلَكِنَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَرَادَ أَنْ يُشْرَفَ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَسُكَّانُ سَمَاوَاتِهِ ،
وَيُكْرِمُهُمْ بِمَشَاهِدَتِهِ ، وَيُرِيهِ مِنْ عَجَائِبِ عَظَمَتِهِ مَا يَخْبِرُ بِهِ بَعْدَ هَبْوَتِهِ .

« ولا يصفه لسان » « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن
تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » (١) .

« ولا يعزب » : أي لا يغيب ولا يبعد .

« عنه عدد قطر » بالكسر فالفتح جمع قطرة .

« الماء » من الأمطار والبحار . قال تعالى « وأحصى كل شيء عددا » (٢) .

« ولا نجوم السماء » « والنجوم مستخرات بأمره » (٣) .

« ولا سوافي » جمع سافية من سفت الريح التراب إذا ذرت .

« الريح في الهواء » والمراد ذرات التراب التي تثيرها الرياح في الفضاء . قال تعالى

« عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك و
لأكبر إلا في كتاب مبين » (٤) .

« ولا ديب » وهو المشى على البطن .

« النمل على الصفا » : أي الصخرة الملساء « وسع ربنا كل شيء علما » (٥) .

« ولا مقيل » : أي مستقر . قال ابن رواحة :

اليوم نضربكم على تنزيله ضرباً يزيل الهم عن مقيله

« الذر » قال الجوهري : الذر جمع ذرة وهي أصغر النمل .

(١) الكهف ١٠٩ .

(٢) الجن ٢٨ .

(٣) النحل ١٢ .

(٤) سبأ ٣ .

(٥) الاعراف ٨٩ .

« في الليلة الظلماء » « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين » (١) .

« يعلم مساقط الأوراق » « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » (٢) .

« وخفي » من اضافة الصفة .

« طرف » بالفتح فالسكون . قال الجوهري : طرف بصره : إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر . الواحدة طرفة يقال : أسرع من طرفة عين ، وفلان مطروف العين بفلان : إذا كان لا ينظر إلا إليه .

« الأحداق » جمع الحدقة سواد العين الأعظم . قال تعالى « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » (٣) .

٢١ ر ١٦٦ و من خطبة له عليه السلام ، الحمد لله الذي لا توارى عنه سماء

سما ، ولا أرض أرضاً .

في تسبيح الصحيفة : سبحانك تسمع وترى ماتحت الثرى ، سبحانك أنت شاهد كل نجوى . سبحانك موضع كل شكوى . سبحانك حاضر كل مالا ، سبحانك عظيم الرجاء . سبحانك ترى ما في قعر الماء . سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار . سبحانك تعلم وزن السماوات ، سبحانك تعلم وزن الأرضين ، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر ، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور ، سبحانك تعلم وزن الفئء والهواء ، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرة . سبحانك قدوس قدوس قدوس ، وقال تعالى « يعلم ما يلبج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها » (٤) « وهو معكم أينما كنتم والله

(١) هود ٦ .

(٢) الانعام ٥٩ .

(٣) المؤمن ١٩ .

(٤) سبا ٢ .

بما تعملون بصير» (١) «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء و
لأصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين» (٢).

٢٢ ر ١٩٣ و من خطبة له عليه السلام : يعلم عجيج الوحوش في الفلوات

و معاصي العباد في الخلوات ، واختلاف النينان في البحار الغامرات
و تلاطم الماء بالرياح العاصفات .

« يعلم عجيج » : أي صياح .

« الوحوش » والمراد ما يعم السباع .

« في الفلوات » : أي البراري والمفازات ، و مر في العنوان العشرين خبر داود

في ذلك .

« و معاصي العباد في الخلوات » « و هو الذي يتوقاكم بالليل و يعلم ما جرحتم
بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم
تعملون » (٣) و في دعاء الوتر « فإن قلت : نعم فأين المهرب من عدلك ، وإن قلت : لا قلت
ألم أكن الشاهد عليك ، وفي الخبر أن إبراهيم عليه السلام لما أرى ملكوت السماوات والأرض
التفت فرآى رجلا يزني فدعا عليه فمات حتى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا فاوحى
تعالى إليه أن دعوتك مجابة فلا تدع على عبادي ، ولو شئت لم أخلقهم - الخبر - .

هذا ، و في اليتيمة يحكى أنه كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى
و يجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة
ابن قريعة و ابن معروف ، والقاضى التنوخى ، و ما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ، و
كذلك كان الوزير المهلبى ، فإذا تكامل الانس و طاب المجلس ، ولذت السماع ، وأخذ

(١) الحديد ٤ .

(٢) يونس ٦١

(٣) الانعام ٦٠

الطرب منهم مأخذه ، وهبوا ثوب الوقار للعقار ، و تقلبوا في إعطاف العيش بين الخفة والطيش ، و وضع في يد كل منهم كأس ذهب من ألف مثقال إلى ما دونها مملوءاً شراباً قطر بلبيا أو عكبر يا فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تشرب أكثره و يرش بها بعضهم على بعض و يرقصون أجمعهم ، و عليهم المصبغات ، و مخانق البرم والمنثور ، و يقولون كلما يكثر شربهم : هرهر ، وإياهم عنى السري بقوله :

مجالس ترقص القضاة بها	☆	إذا انتشوا في مخالق البرم
و صاحب يخلط المجون لنا	☆	بشيمة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شبية عبثا	☆	أنامل مثل حمرة النعم
حتى تخال العيون شببته	☆	قتلان ضربت بدم

فاذا أصبحوا عادتهم عادتهم في التوقر و التحفظ بأبهة القضاة و حشمة المشائخ الكبراء .

قلت : ألم يكونوا سمعوا قوله تعالى « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله و هو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول و كان الله بما يعملون محيطا » ^(١) . فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول و الله يكتب ما يبيتون » ^(٢) . « واختلاف النينان » جمع النون : أي الحيتان بأنواعها التي لا يعلمها إلا خالقها واختلافها بالذهاب والإياب في الماء ، و في توحيد المفضل : تأمل خلق السمك و مشاكلته للأمر الذي قدر أن يكون عليه فإنه خلق غير ذي قوائم لأنه لا يحتاج إلى المشي إذ كان مسكنه الماء ، و خلق غير ذي رية لأنه لا يستطيع أن يتنفس وهو منغمس في اللجة ، و جعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاديف من جانبي السفينة ، وكسى جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات . فأعين بفضل حس في الشم لأن بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعم من البعد البعيد فينتجعه فيتبعه وإلا فكيف يعلمه و هو بموضعه ، و

(١) النساء ١٠٨

(٢) النساء ٨١

اعلم أن من فيه إلى صماخيه منافذ فهو يعب الماء بفيه ، و يرسله من صماخيه فيتروح إلى ذلك كما يتروح غيره من الحيوان إلى تنسم هذا النسيم .

فكسر الآن في كثرة نسله ، وما خص به من ذلك فإنك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة ، و العلة في ذلك أن يتسع لما يغتذى به من أصناف الحيوان فإن أكثرها يأكل السمك حتى أن السباع في حافات الآجام أيضاً عاكفة على الماء كي ترصد السمك فإذا مر بها خطفته . فلما كانت السباع تأكل السمك ، والطير تأكل السمك والناس يأكلون السمك والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة . فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك و دواب الماء والأصداف والأصناف التي لا تحصى ولا تعرف منافعها إلا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث مثل القرمز فإنه لما عرف الناس صبغه بأن كلبة تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذي يسمى الحلزون فأكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس إلى حسنه فاتخذوه صبغاً ، و أشباه هذا مما يقف عليه الناس حالاً بعد حال .

« في البحار الغامرات » : أي تغمر كل شيء دخلها و تغطيه لكثرتها ، فالبهار ثلاثة أرباع الأرض . قال الصادق عليه السلام للمفضل : فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت ما الأرب فيه فاعلم أنه مكتنف ما لا يحصى من أصناف السمك و دواب البحر ، و معدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر و أصناف شتى تستخرج من البحر ، و في سواحله منابت العود واليلنجوج و ضروب من الطيب والعقاقير ثم هو بعد مركب للتجارات من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق ، و من العراق إلى الصين فإن هذه التجارات لو لم يكن لها حمل إلا على الظهر لبارت و بقيت في بلدانها و أيدي أهلها لأن أجر حملها يجاوز أثمانها فلا يتعرض أحد لحملها ، و كان يجتمع في ذلك أمران : فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها و انقطاع معاش من يحملها و يتعيش بفضلها .

٢٣ ر ١٧٤ و من كلام له عليه السلام وَقَدْ سَأَلَهُ ذَعْبُ الْيَمَانِيِّ فَقَالَ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ عليه السلام : أَفَاعْبُدُ مَا لَا أَرَى ؟ فَقَالَ وَ كَيْفَ تَرَاهُ فَقَالَ : لَا تُدْرِكُهُ الْعَيْونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَ لَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ مَلَامِسٍ ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرِ مُبَايِنٍ ، مُتَكَلِّمٌ لَا بِرُويَةٍ ، مُرِيدٌ لَا بِهَمَّةٍ ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ ، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَةِ ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَّةِ ، تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعِظَمَتِهِ ، وَ تَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ .

قول المصنف : « ومن كلام له عليه السلام المفهوم من أسانيد أنه من خطبة له عليه السلام .
 فروى توحيد الصدوق في باب إثبات حدوث العالم ، وأماله في مجلسه الخامس والخمسين مسنداً عن الاصبع قال : لما بايع الناس علياً عليه السلام خرج إلى الناس متعمماً بعمامة النبي صلى الله عليه وآله لا بسأ برده صلى الله عليه وآله متنعلًا نعله صلى الله عليه وآله متقلداً سيفه صلى الله عليه وآله فصعد المنبر فجلس متمكناً ثم شبك أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثم قال : يامعاشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني هذا سفت العلم . هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله هذا ما زقني النبي صلى الله عليه وآله زقازقاً سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين أما والله لو نيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فنقول : صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في ، وأفتيت أهل الانجيل بانجيلهم حتى ينطق الانجيل فيقول : صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في ، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه ؟ ولو لا آية في كتاب الله لا أخبرتكم بما كان وما يكون إلى

يوم القيامة والآية «بمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» ثم قال : سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل أنزلت أو في نهار أنزلت مكيتها ومدنيتها سفريتها حضريتها ناسخها ومنسوخها محكمها ومتشابهاتها وأولياها وتنزيلها لأخبرتكم . فقام إليه رجل يقال له : ذعلب ، وكان ذرب اللسان بليغاً في الخطب شجاع القلب . فقال : لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة لأخجلننه اليوم لكم في مسئلتى إياه . فقال له : هل رأيت ربك . قال : وبيك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره . فقال : فكيف رأيته صفه لنا ؟ . قال : وبيك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ، ولكن رأيته القلوب بحقائق الإيمان ، وبيك يا ذعلب إن ربى لا يوصف بالبعد ، ولا بالحركة و لا بالسكون ، و لا بالقيام قيام انتصاف ، و لا بمجيء ولا بذهاب ، لطيف اللطافة لا يوصف باللفظ ، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم ، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر ، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقوة ، مؤمن لا بعبادة ، مدرك لا بمجسة ، قائل لا باللفظ ، هو في الأشياء على غير ممازجة ، خارج منها على غير مباينة ، فوق كل شيء فلا يقال شيء فوقه ، و أمام كل شيء ولا يقال له أمام ، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل ، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج . قال فخر ذعلب مغشياً عليه . ثم قال : تالله ماسمعت بمثل هذا الجواب والله لا عدت إلى مثله - الخبر - .

لكن يمكن أن يقال : إنه يصدق مع ذلك أن يجعل العنوان كلاماً لأنه كان كلاماً خارجاً عن خطبته عليه السلام في جواب ذعلب لما اعترض في الأثناء .

« وقد سأله ذعلب اليماني » لم أقف في أسانيده على وصف (ذعلب) (اليماني) فقد رأيت خلو أسناد الصدوق في التوحيد والأمالى عنه ، ورواه الكافي في باب جوامع التوحيد عن محمد بن أبي عبدالله مرفوعاً عن الصادق عليه السلام قال : بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخلب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له : ذعلب ذولسان بليغ في الخطب ، شجاع القلب . فقال : هل رأيت ربك - الخبر - باختلاف مع رواية الصدوق ، وفي الإرشاد في باب مختصر من كلامه عليه السلام في وجوب المعرفة بالله ، روى أهل السيرة ، وعلماء النقلة أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : خبرني عن الله تعالى رأيته حين عبدته .

فقال عليه السلام له : لم أك بالذى أعبد من لم أره . فقال له فكيف رأيتَه ؟ فقال له : ويحك لم تره العيون بمشاهدة الابصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان ، معروف بالدلالات منعت بالعلامات لا يقاس بالناس ، ولا تدركه الحواس . فانصرف الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالاته ، وتبعه في الاحتجاج ، وروى مضمون الخبر الكافي في باب ابطال الرؤية عن الباقر عليه السلام واشتمل على أن رجلاً من الخوارج سأل الباقر عليه السلام فالظاهر وهم المفيد في نسبه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، ولعل المصنف وقف على مستند آخر غير سند الكليني والصدوق في الكتابين وكان مشتملاً على ذكر اليماني لكن الظاهر أن ذعلب اليماني كان رجلاً آخر متأخراً من الرواة التبس عليه المصنف هذا بذلك . فقال نفسه في العنوان ٢٢٩ : أى روى ذعلب اليماني عن أحمد بن قتيبة عن عبدالله بن يزيد عن مالك بن دحية قال : كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام - إلخ لكن نقله ابن أبي الحديد على ما في النسخة (ذعلب اليماني) .

«فقال : هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين» وقد عرفت أن خارجياً سأل الباقر عليه السلام عن مثله .

« فقال : أفأعبد ما لا أرى » وروى المحاسن أن رجلاً من اليهود أتاه عليه السلام فقال هل رأيت ربك يا على فقال عليه السلام : ما كنت أعبد إلهاً لم أره . ثم قال : لم تره العيون في مشاهدة الأبصار غير أن الايمان بالغيب من عقد القلوب .

« فقال : وكيف تراه . فقال هكذا في المصرية ، والصواب قال : كيف تراه قال - كما في (حد ، وثم ، والخطية) ثم كلمة - قال - الثانية زائدة توكيداً وإلا يصير ما بعدها مقولها ، ويبقى قوله « ومن كلام له عليه السلام » خبراً بلا مبتداء .

«لا تدركه العيون بمشاهدة العيان» وفي رواية الكليني والصدوق : لم تره العيون بمشاهدة الأبصار .

« ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان » وإدراك القلوب فوق إدراك العيون لعدم وقوع لبس في إدراكها بخلاف إدراك العيون فيقع اللبس فيها كثيراً ، وقال الصدوق في توحيده : و الأخبار التي ذكرها أحمد بن محمد بن عيسى في نوادره ، ومحمد بن أحمد بن

يحيى في جامعه في معنى الرؤية صحيحة ، و ألفاظها ألفاظ القرآن و لكل خبر معنى ينفي التشبيه و التعطيل ، و يثبت التوحيد ، و معنى الرؤية الواردة في الأخبار العلم و ذلك أن الدنيا دار شكوك و ارتياب و خطرات . فإذا كان يوم القيامة كشف للعباد من آيات الله و أموره في ثوابه و عقابه ما تزول به الشكوك ، و تعلم حقيقة قدرة الله تعالى و تصديق ذلك في كتاب الله تعالى « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد »^(١) فمعنى ما روى في الحديث - أنه تعالى يرى - أنه يعلم علماً يقينياً كقوله تعالى « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل »^(٢) و قوله تعالى « ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه »^(٣) و قوله تعالى « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت »^(٤) و قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل »^(٥) و أشباه ذلك من رؤية القلب ، و ليست من رؤية العين ، و أما قوله تعالى « فلما تجلجى ربه للجبل »^(٦) فمعناه أنه لما ظهر - عز وجل - للجبل بآية من آيات الآخرة التي تكون بها الجبال سراياً و التي ينسف بها الجبال نسفاً ، تدكدك الجبل فصار تراباً لأنه لم يطق حمل تلك الآيه - إلخ - ، و أما قول موسى عليه السلام « رب أرني أنظر إليك »^(٧) فليس دالاً على تجويز موسى عليه السلام رؤيته تعالى فإنه عليه السلام قال ذلك لما سأله قومه رؤيته تعالى جهرة ، فقال ذلك ليفهمهم امتناعها بجوابه تعالى (لن تراني) كما يشهد له قوله تعالى في موضع آخر « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم »^(٨) فإن القصة في الآيتين واحدة ، وقد صرح في الثانية بأن السؤال له تعالى كان منهم فكان موسى عليه السلام حاكياً عنهم .

هذا ، والإمامية والمعتزلة على امتناع رؤيته تعالى في الدنيا والآخرة لقوله

(١) ق ٢٢ .

(٢) الفرقان ٤٥ .

(٣) البقرة ٢٥٨ .

(٤) البقرة ٢٤٣ .

(٥) الزيل ١ .

(٦) الاعراف ١٤٣ .

(٧) النساء ١٥٣ .

تعالى « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير »^(١) ولقوله تعالى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ « لن تراني » ونهبت الأشاعرة إلى جواز رؤيته في الدنيا منزهاً عن الجهة والمكان والمقابلة وقالت المشبهة والكرامية برؤيته في الجهة والمكان لكونه عندهم جسماً ونسبوا إلى ابن عباس أنه قال : إن الله اختص محمداً بالرؤية كما اختص موسى بالكلام ، وقال ابن حائط و ابن الحدادي وهما من أصحاب النظام يحمل ماورد في الخبر « أنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ولا تضامون في رؤيته » على رؤية العقل الأول الذي هو أول مبدع وهو العقل الفعال الذي تفيض منه الصور على الموجودات وإياه عنى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله : أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل . إلى أن قال : فهو الذي يظهر يوم القيامة ويرتفع الحجب بينه وبين الصور التي فاضت منه فيرونه كمثل القمر ليلة البدر . فأما واهب العقل فلا يري البتة . إلى غير ذلك من مذاهبهم البدعية التي نقلها الملل ، والرجلان وإن نفياعنه رؤية البصر وهو حق إلا أنهما جعلاه شريكاً وتعالى الله عما يشركون .

« قريب من الأشياء غير ملامس » قال تعالى في وصف قربه « ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد »^(٢) وقال - عز وجل - « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان »^(٣) .

« بعيد منها غير مباين » فالبعد بالبينونة صفة الأجسام .

« متكلم لا بروية » كالأنسان يتروى أو لا في المعاني ثم يتكلم بالألفاظ .

« مرید لا بهمة » بالإضمار في نفسه .

« صانع لا بجارحة » كالأنسان يصنع شيئاً بيده .

« لطيف لا يوصف بالخفاء » كأرواح ذوي الأرواح .

« كبير لا يوصف بالجفاء » كأجساد ذوي الأجساد الجسمية .

(١) الانعام ١٠٣

(٢) ق ١٦

(٣) البقرة ١٨٦

« بصير لا يوصف بالحاسة » : أي الباصرة .

« رحيم لا يوصف بالرقوة » للقلب .

« تعنو » : أي تخضع و تذلل .

« الوجوه لعظمته » « و عنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما »^(١) .

« و تجب » : أي تضرب .

« القلوب من مخافته » « والذين يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجله أنهم إلى ربهم

راجعون »^(٢) .

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا و هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت

الهاب »^(٣) .

٢٣ ر ١٨٠ و من خطبة له عليه السلام : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ

وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاطِرُ ، وَلَا تَحْجِبُهُ السَّوَاتِرُ . الدَّالُّ عَلَى

قَدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لِأَشْبَهَ لَهُ . الَّذِي صَدَقَ فِي

مِيعَادِهِ ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظَلَمِ عِبَادِهِ ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ، وَعَدَلَ

عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ . مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَلِيَّتِهِ ، وَبِمَا وَسَمَهَا

بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ

وَاحِدٍ لَا يَبْعُدُ ، دَائِمٌ لَا يَبْمُدُ ، وَقَائِمٌ لَا يَبْعُدُ ، تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لِابْتِشَاعِ

(١) طه ١١١

(٢) المؤمنون ٦٠

(٣) ال عمران ٨

وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لِابِمِحَاضِرَةٍ ، لَمْ تَحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا
وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا ، وَالِئِهَا حَاكَمَهَا . لَيْسَ بِنَدَى كَبِيرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَاتُ
فَكَبِيرَتُهُ تَجَسِّمًا ، وَلَا بِنَدَى عَظِيمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَمْتَهُ تَجَسِّدًا بَلْ كَبِيرِ
شَأْنًا وَ عَظْمَ سُلْطَانًا .

أقول : قد عرفت في أول الكتاب أن نسخنا من هنا إلى خطبة المتقين - وهي
ثمان - مختلفة مع نسخة (حد) وقد عرفت تصريح (ثم) باختلاف من الأول .
« الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد » الشواهد جمع الشاهدة ، والشاهدة الحاسة
فيكون المعنى لا تدركه الحواس الظاهرة : السامعة ، والباصرة ، والذائقة ، والشماعة ،
واللامسة . فإنها تدرك المحسوسات .

« ولا تحويه » قال الجوهري : حواه يحويه حيثما : أي جمعه .
« المشاهد » : أي المحاضر قالوا : مشاهد مكة : مواطن يحضرها الناس ، وأنه تعالى
شاهد كل مالا ، ولا يحويه مشهد .
« ولا تراه النواظر » النواظر جمع الناظرة : أي القوة الباصرة . قال تعالى
« لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » (١) .
« ولا تحجبه السواتر » بخلاف باقي الأشياء حتى الشمس فإنها مع كونها
أظهر من كل شيء وبها يظهر كل شيء تحجب بعمام بل بقتام .
« الدال على قدمه بحدوث خلقه » وإلا لزم التسلسل المحال ، وزاد الاحتجاج :
« وبحدوث خلقه على وجوده » .

« وباشتباههم على أن لا شبه له » : أي لما امتنع عند العقل مشابهة الصانع والمصنوع
ونرى في جميع الأشياء التشابه نعلم أنه تعالى هو الذي ليس له شبه .

« الذي صدق في ميعاده » إن وعد الله حق فلا تفرتكم الحياة الدنيا « (١) .
 « و ارتفع عن ظلم عباده » « إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم
 يظلمون » (٢) والظالم إنما يظلم إما لاحتياجه وإما لجبهله كما أن المخلف لوعده إنما
 يخلف إما لعجزه عن الوفاء به أو لجبهله بقبحه ، وهو تعالى منزّه عن الحاجة والعجز
 والجهل . نعم يمكن صفحه عن وعيده ، وفي الدعاء : يا من إذا وعدوفاؤنا توعد عفا .
 « وقام بالقسط » : أى العدل .

« في خلقه » شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط « (٣) .
 « وعدل عليهم في حكمه » « ويؤت كل ذى فضل فضله » (٤) « إننى لا أضيع عمل
 عامل منكم من ذكر أو أنثى » (٥) « وما كان الله ليضيع أيمانكم » (٦) « إننا لنضيع أجر
 المصلحين » (٧) « ولا نضيع أجر المحسنين » (٨) « فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » (٩)
 « يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » (١٠) « إننا لنضيع أجر من
 أحسن عملاً » (١١) .

« مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته » قال الرضا عليه السلام : خلق السماوات والأرض
 في ستة أيام وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين ليظهر للملائكة بالخلقة منها شيئاً
 بعد شيء . فيستدل بحدوث ما يحدث على الله تعالى مرة بعد مرة .

« وبما وسماها » : أى جعل لها علامة من اسمه إذا أثر فيه بسمة وكى .
 « به من العجز على قدرته » فحيث إن كلمهم عاجزون ، ومعلوم أن في الوجود

-
- | | |
|--------------------|---------------------|
| (١) لقمان ٣٣ . | (٢) يونس ٤٤ . |
| (٣) آل عمران ١٨ . | (٤) هود ٣ . |
| (٥) آل عمران ١٩٥ . | (٦) البقرة ١٤٣ . |
| (٧) الاعراف ١٧٠ . | (٨) يوسف ٥٤ . |
| (٩) هود ١١٥ . | (١٠) آل عمران ١٧١ . |
| (١١) الكهف ٣٠ . | |

قادراً على ما يشاء يعلم أنه هو القادر . قال تعالى « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » (١) « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز » (٢) .
« وما اضطرها إليه من الفناء » : أي مستشهد به أيضاً .

« على دوامه » فحيث نرى جميع الخلق فانيين ، و معلوم أنه يجب أن يكون في الوجود مفن دائم الوجود نعلم و نفهم من فنائهم دوامه تعالى . قال تعالى « كل شيء هالك إلا وجهه » (٣) « كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » (٤) .
« واحد لا بعدد » : أي أحد لا ثاني له .

« دائم لا بأمد » أي مدة وانتهاء ، وكل شيء سواه تعالى حتى الأرض والسماء ، والشمس والقمر ، والجبال والبحار التي يضرب الناس بها الأمثال في الدوام له أمد و مدة . قال تعالى « وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى » (٥) .

« و قائم لا بعمد » كل قائم سواه تعالى على ساق يعتمد عليه كالأإنسان ، وأقسام الحيوان أو على عمد يستند إليه كالأبنية والأخبية ، و هو تعالى قائم بوجود ذاته .
« تتلقاه الأذهان » : أي العقول .

« لا بمشاعة » فإن كثيراً من الأشياء تتلقاه الأذهان من المشاعر الظاهرية و هو - عز وجل - لا يتلقى إلا من البراهين العقلية .

« وتشهد له المرثي لا بمحاضرة » هكذا في النسخ ، ويمكن أن يكون (المرثي) مصحف (المرايا) جمع المرأة فيكون المعنى أن المرثي يشهد لما حاضرها بالتقابل بالوجود

(١) الحج ٧٣ .

(٢) ابراهيم ١٩ .

(٣) القصص ٨٨ .

(٤) الرحمن ٢٧ .

(٥) الزمر ٥ .

لانتقاشها فيها ، و أما الباري تعالى فتشهد لوجوده مرايا العقول من غير حضور ومقابلة ،
ويحتمل أن يكون (المرئي) جمع (المرأي) اسم مكان بمعنى المنظر ، وهو الناظر
كما قاله (ثم) فيكون المعنى : أن رؤيته تعالى لما كانت بالقلب لا بالنواظر لا يحتاج
إلى أن يكون حاضراً للناظر ، ولا يخلو من بعد ، و أما ما قال (حد) من أنه من
قولهم : فلان حسن في مرآة عيني يعني : أن الرؤية تشهد لوجوده تعالى من غير محاضرة
منه للحواس ففي غاية البعد ، و أما ما قاله (خو) تبعاً للمجلسي من أنه جمع المرئي ،
بلفظ المفعول : أي المرئيات تشهد بوجوده تعالى من غير محاضرة منه . فلا وجه له فإن
الشاهد لشيء إنما يكون الرائي لا المرئي ، والمرئيات وإن تشهد له تعالى إلا أنه ليس
من حيث كونها مرئية بل من حيث كونها أشياء .

« لم تحط به الأوهام » لقصرها عن الإحاطة به .

« بل تجلّى لها » هكذا في المصرية الأخيرة ، وفي المصرية الأولى (بل تجلّى
بها) و كلتاهما ناقصة ، والصواب ما في (حد ، وثم ، والخطيئة) بلفظ : بل تجلّى لها بها .
هذا من حيث إحراز ما في النهج لكن الظاهر وقوع تحريف فيه ، و أن الأصل : (بل
تجلّى للعقول بها) كما يشهد له قوله عَلَيْهَا في الآتي (بها تجلّى صانعها للعقول) .

و حينئذ يكون معنى قوله عَلَيْهَا بعده « وبها امتنع منها ، وإليها حاكمها » أن
بالعقول و حكمها أنه تعالى لا يدرك بالأوهام امتنع من الأوهام أن تدركه و أن إلى
العقول حاكم تعالى الأوهام لو تدعى معرفته تعالى حتى تحكم العقول بعجزها عن إدراك
جلاله . فيكون الضمير في (بها) راجعاً إلى العقول ، وفي (منها) راجعاً إلى الأوهام ،
و في (وإليها) أيضاً راجعاً إلى العقول ، و في (حاكمها) راجعاً إلى الأوهام ، و أما
على ما في النهج من إرجاع الضمائر كلها إلى الأوهام كما يقتضيه السياق فيحتاج المعنى
إلى تكلف بأن يكون المراد من الأوهام المعنى الأعم لها من المتعارف ، و من معنى
العقول كما احتمله المجلسي .

« ليس بذئ كبر امتدت به النهايات » : أي الطول والعرض والعمق .

« فكبرته تجسيماً » حسب شأن أشياء نهاياتها ممتدة .

« ولا بذى عظم تناهت به الغايات » في إبعاده .

« فعضمته تجسيداً » و تجعل جسده ضخيماً .

« بل كبر شأناً وعظم سلطاناً » يعنى أن الكبر والعظمة بالنسبة إليه تعالى كبر

الشأن ، وعظم السلطان ، وإنما كبر الجسم وعظم الجسد في غيره تعالى . قال تعالى في كبره

« عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » ^(١) وقال - عز وجل - في عظمه « فسبح باسم

ربك العظيم » ^(٢) .

٢٥ ر ١٨١ ومن خطبة له ^(١) في التوحيد و تجمع هذه الخطبة

من اصول العلم مالا تجمعه خطبة .

مَا وَحَدَهُ مِنْ كَيْفِهِ ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مِنْ مِثْلِهِ ، وَلَا أَيَّاهُ

عَنِ مَنْ شَبَّهَهُ ، وَلَا صَمَدَهُ مِنْ أَشَارِ إِلَيْهِ وَ تَوَهَّمَهُ ، كُلُّ مَعْرُوفٍ

بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ ، وَ كُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُومٌ . فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابٍ

آلَةٍ ، وَ مُقَدَّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ . غَنِىٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ . لَا تَصْحَبُهُ

الْأَوْقَاتُ ، وَلَا تَرْفُدُهُ الْأَدْوَاتُ . سَبَقَ الْأَوْقَاتُ كَوْنَهُ . وَ الْعَدَمُ

وَجُودُهُ . وَ الْإِبْتِدَاءُ أَزَلُهُ . بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عَرَفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ ، وَ

بِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عَرَفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ ، وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عَرَفَ

(١) الرعد ٩

(٢) الواقعة ٩٦ .

أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ . ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ ، وَالْوُضُوحَ بِالْبَهْمَةِ ، وَالْجُمُودَ
 بِالْبَلْبَلِ ، وَالْحُرُورَ بِالصَّرْدِ . مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا . مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا
 مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا [مُفْرَقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا] لَا يَشْمَلُ بَحْدٍ ، وَلَا يَحْسَبُ
 بَعْدَ ، وَ إِنَّمَا تَجِدُ الْأَدْوَاتِ أَنْفُسَهَا ، وَ تُشِيرُ الْأَلَةُ إِلَى نِظَائِرِهَا . مُنْعَتُهَا مِنْذُ
 الْقَدَمِيَّةِ ، وَحَمَتُهَا قَدِ الْأَزَلِيَّةِ ، وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا التَّكْمِلَةُ ، بِهَا تَجَلَّى
 صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ، وَ بِهَا أَمْتَنَعَ عَنِ نَظَرِ الْعَيُونِ . لَا يَجْرِي عَلَيْهِ
 السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ ، وَ كَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ، وَ يَعُودُ فِيهِ
 مَا هُوَ أَبْدَاهُ ، وَ يَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثُهُ ، إِذَنْ لَتَفَاوَتْ ذَاتُهُ ، وَ
 لَتَجَزَّأَ كُنْهَهُ ، وَ لَأَمْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ ، وَ لَكَانَ لَهُ وِرَاءَ إِذْ وَجِدَلَهُ
 أَمَامَ ، وَ لَا لَتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النِّقْصَانُ ، وَ إِذَنْ لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ
 فِيهِ ، وَ لَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ ، وَ خَرَجَ بِسُلْطَانِ
 الْأَمْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ . الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ
 وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَفْوَلُ ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُودًا ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ
 مَحْدُودًا . جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ ، وَ طَهَّرَ عَنِ مَلَامَسَةِ النِّسَاءِ . لِاتِّنَالِهِ
 الْأَوْهَامَ فَتَقْدَرُهُ ، وَ لَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنَ فَتَصَوِّرُهُ ، وَ لَا تَدْرِكُهُ الْحَوَاسِ
 فَتَحْسَهُ وَ لَا تَلْمَسُهُ الْأَيْدِي فَتَمْسَهُ . لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَ لَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ ،

وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَلَا يَغْيِرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ ، وَلَا يوصفُ بِشَيْءٍ
 مِنَ الْأَجْزَاءِ ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ ، وَلَا بَعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ ،
 وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ ، وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ
 وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ ، فَتَقْلَهُ أَوْ تُهْوِيهِ ، أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَيَمِيلُهُ
 أَوْ يُعَدِّلُهُ ، وَنَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ . يَخْبِرُ لِأَبْسَانٍ
 وَلِهَوَاتٍ ، وَيَسْمَعُ لِأَبْخُرُوقٍ وَادَوَاتٍ . يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ ، وَيَحْفَظُ
 وَلَا يَتَحَفَظُ ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ ، يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ ، وَيَبْغِضُ
 وَيَغْضِبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ ، يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كَنْ فَيَكُونُ . لِأَبْصُوتٍ
 يَقْرَعُ ، وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ ، وَانَّمَا كَلَامُهُ سَبْحَانَهُ فَعِلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ ، وَمِثْلُهُ
 لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا ، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ الْهَاءُ ثَانِيًا ، لِأَيْقَالٍ
 كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحَدَّثَاتُ ، وَلَا يَكُونُ
 بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَضْلٌ ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ ، فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ
 وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ . خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا عَنْ
 غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعْنِ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَاْمَسَكَهَا مِنْ
 غَيْرِ اسْتِغَالٍ ، وَارْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ ، وَاقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ
 دَعَائِمٍ ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْأَعْوَجَاجِ ، وَمَنْعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالْانْفِرَاجِ ،

أَرْسَى أَوْتَادَهَا ، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا ، وَاسْتَفَاضَ عِيُونَهَا وَخَدَّ أَوْدِيَّتَهَا . فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ . هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَهُوَ البَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَالعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ ، وَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ ، خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ ، لَا يَسْتَطِيعُ الْهَرَبُ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَيَمْتَنِعُ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ ، وَلَا كَفُولُهُ فَيَكْفِيهِ وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيَسَاوِيهِ ، هُوَ المَقْنَى لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا ، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودَهَا كَمَقْضُودِهَا .

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِعَاجِبٍ مِنْ انْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا ، وَكَيْفَ لَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبِهَائِمِهَا ، وَمَا كَانَ مِنْ مَرَاحِهَا وَسَائِمِهَا ، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَاجْنَاسِهَا ، وَمَتَبَلَدَةِ أُمَّمِهَا وَآكِيَّاسِهَا ، عَلَى أَحْدَاثٍ بَعُوضَةٍ . مَا قَدَّرَتْ عَلَى أَحْدَاثِهَا ؛ وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِيجَادِهَا ، وَتَحْيِيرِ عُقُولِهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ ، وَعَجَزَتْ قَوَاهَا وَتَنَاهَتْ وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً . عَارِفَةٌ بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ . مَقْرَةٌ بِالْعَجْزِ عَنِ انْشَائِهَا . مُذْعَنَةٌ بِالضَّعْفِ عَنِ إِفْنَائِهَا .

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَهُ لِأَشْيَاءٍ مَعَهُ كَمَا كَانَ
 قَبْلَ ابْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حِينَ
 وَلَا زَمَانٍ. عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالُ وَالْأَوْقَاتُ، وَزَالَتِ السُّنُونُ وَالسَّاعَاتُ.
 فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ. بِالْقُدْرَةِ
 مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا، وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَائِهَا، وَلَوْ قَدَّرَتْ
 عَلَى الْاِمْتِنَاعِ دَامَ بَقَائُهَا. لَمْ يَتَكَأْ دَهْ صَنَعَ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ، وَلَمْ
 يُؤْذِهِ مِنْهَا خَلْقَ مَا خَلَقَهُ إِذْ بَرَأَهُ، وَلَمْ يَكُونِهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلَا لِخَوْفٍ
 مِنْ زَوَالٍ وَنَقْصَانٍ، وَلَا لِاسْتِعَانَةٍ بِهَا عَلَى نَدِّ مَكَاثِرٍ، وَلَا لِالْحَتْرَازِ بِهَا
 مِنْ ضِدِّ مَثَاوِرٍ، وَلَا لِالْاَزْدِيَادِ بِهَا فِي مَلِكِهِ، وَلَا لِالْمَكَاثِرَةِ شَرِيكَ فِي
 شَرِكِهِ، وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَارَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا.
 ثُمَّ هُوَ يَفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا لِالْسَّامِ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيْفِهَا وَ
 تَدْبِيرِهَا، وَلَا لِرَاحَةٍ وَأَصْلَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ لَمْ يَمْلَهُ
 طَوْلَ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ افْنَائِهَا. لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ،
 وَامْسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَاتَّقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ. ثُمَّ يَعْبُدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ
 حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلَا لِاسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ
 وَحْشَةٍ إِلَى حَالٍ اسْتِئْنَاسٍ، وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى حَالٍ عِلْمٍ وَالتَّمَاسِ،
 وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ، وَلَا مِنْ ذُلِّ وَضِعَةٍ إِلَى عِزِّ وَقُدْرَةٍ.

أقول : ورواه تحف العقول مع اختلاف . إلى قوله : ولتحول دليلا .

قول المصنّف « و تجمع هذه الخطبة من أصول العام ما لا تجمه خطبة » .

قلت : و بعد هذه الخطبة في الجامعية خطبة الأشباح المتقدمة .

« قوله ﷺ : ما وحدته من كيفه » لأن من كيفه فقد نساها .

« ولا حقيقته أصاب من مثله » لأنه ليس كمثل شيء . فمن مثله أخطأه تعالى

و أصاب غيره .

هذا ، و في ميزان الذهبى في أبى السعادات أحمد بن منصور : كان أحمد وضاعاً

للحديث وضع أن بين يدي الرب لوح فيه أسماء من يثبت الصورة والرؤية والكيفية

أى له تعالى . فيباهى الرب بهم الملائكة .

قلت : فتكنيته بأبى السعادات من قبيل ما قيل بالفارسية : بر عكس نهند نام

زنكى كافور ، و إلا فهو أبو الشقاوات .

« ولا إياه عنى » أى قصد .

« من شبهه » و ما قدروا الله حق قدره « (١) .

« ولا صمده » : أى قصده .

« من أشار إليه » عن الباقر ﷺ أن الكفار نبهوا على آلهتهم بحرف إشارة

الشاهد المدرك . فقالوا للنبي ﷺ هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشرأنت

إلى إلهك الذى تدعو إليه حتى نراه وندركه ولا ناله فيه . فأنزل الله تعالى « قل هو الله

أحد » - الخبر - و حاصله أنه الغائب عن درك الأبصار و لمس الحواس .

« و توهمه » عطف على (أشار إليه) ولكن في تحف العقول : ولا إياه أراد من

توهمه ، و هو الأصح .

« كل معروف بنفسه » : أى بذاته .

« مصنوع » وليس بالصانع .

« و كل قائم في سواء معلول » والباري تعالى قائم بذاته ، و زاد التحف : باطن لا بمداخلة ، ظاهر لا بمزايلة ، متجل لا باشتغال رؤية ، لطيف لا بتجسم .
 « فاعل لا باضطراب آلة » كالناس « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » (١) .

« ومقدر » : فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حساباً ذلك تقدير العزيز العليم » (٢) « والشمس تجري مسطرة لها ذلك تقدير العزيز العليم » (٣) « وزينا السماء الدنيا بمصابيح و حفظاً ذلك تقدير العزيز العليم » (٤) « و خلق كل شيء فقدره تقديراً » (٥) « إننا كل شيء خلقناه بقدر » (٦) .
 « لا بجول » : أي جولان .

« فكرة » كالناس بل بايجاده على طبق الحكمة .
 « غني لا باستفادة » شيء كالناس « ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون » (٧) .

« لا تصحبه الأوقات » لكونه جاعل الأوقات .
 « ولا ترفده » : أي لا تعينه .
 « الأدوات » جمع الأداة : أي الآلات ، وكيف ترفده تعالى و هو موجودها .
 « سبق الأوقات » بالنصب .

« كونه » : أي وجوده فالأوقات عبارة عن الليل والنهار والشهور والسنين وهي لا توجد إلا من طلوع الشمس و غروبها و قطع الشمس والقمر بروجهما و هو تعالى سابق عليهما .

(١) يس ٨٢ (٢) الانعام ٩٦

(٣) يس ٣٨ (٤) فصلت ١٢

(٥) الفرقان ٢ (٦) القمر ٤٩

(٧) المنافقون ٧

« والعدم » بالنصب أيضاً .

« وجوده » بالرفع ، وإنما سبق العدم وجود خلقه .

« والابتداء » أيضاً بالنصب .

« أزله » بالرفع ، وإنما يكون ابتداء لشيء لم يكن أزلياً .

« بتشعيره المشاعر عرف أن لامشعر له » زاد في رواية التحف : وبتهيئته الجواهر

علم أن لا جوهر له ، وبانشائه البرايا علم أن لا منشاء له .

« وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له ، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له »

والمشاعر : الحواس . قال بلعاء .

و الرأس مرتفع فيه مشاعره ﴿ يهـدى السبيل له سمع وعينان ﴾

« ضد النور بالظلمة » قال تعالى : « الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل

الظلمات والنور » (١) .

وجعل كالأمن الضدين ذاحكمة في نظام العالم وصلاح بنى آدم فإنه لو كان النهار

ولم يكن ليل كم كان يدخل على الناس كما في عكسه كالنور والظلمة .

« والوضوح بالبهمة » فجعل علم الحرث والغرس واتخاذ الأنعام و استخراج

المعادن واضحا جلياً في جميع الأدوار ، وعند جميع الأجيال ، وجعل علم الآجال والرزايا

والبلايا المقدره مبهماً خفياً وإلا لتنغص عيش الإنسان ، ولم يتمتع بشيء من النعم .

و « ضد الجمود بالبلل ، والحرور بالبرد » : أى البرد فجعل كلاً منها ذاحكمة

فلو لم يجعل جمود الخريف وبلل الربيع ، وحرور الصيف وبرد الشتاء لما وجد كثير من

المصالح وتولد كثير من المفاسد ، وقالوا يؤجل العنين سنة في فسح امرأته العقد لعله يرفع

عجزه بأحد الفصول الأربعة ، ثم بعد السنة للمرثة الفسخ إنالم يرفع مرضه إذ علم أن

العلة لم تكن البلل والجمود والحرور والبرد كما أنه تعالى خلق الذكر والأنثى في

البشر وغيره ، وإلما حصل نسل .

هذا ، وفي المروج : قال يموت بن المزرع : كان خالي الجاحظ في علكته التي مات

فيها يطلى نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدة حرارته ، والنصف الآخر لوقرض بالمقاريض ماشعربه من خدره وبرده .

« مؤلف بين متعادياتها . مقارن بين متبايناتها » قال تعالى « ألم تر أن الله يزوجى سبحاً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله » (١) .

« مقرّب بين متباعاتها » بجعل أسباب لذلك ، وفي توحيد المفضل : لو كان فرج الرجل مسترخياً أبداً كيف كان يصل إلى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه ، ولو كان منعظاً أبداً كيف كان يتقلّب الرجل في الفراش أو يمشى بين الناس وشيء شاخص أمامه . ثم يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة في كل وقت من الرجال والنساء جميعاً فقد ر - جلّ اسمه - أن يكون أكثر ذلك لا يبد وللبر ، وجعل فيه قوّة الانتصاب وقت الحاجة لما قدر فيه من دوام النسل وبقائه .

« لا يشمل بحدّ ، ولا يحسب بعدّ » وفي التحف : أحد لا يتأويل عدد . صمد لا بتبويض

بدد .

« وإنّما تحدّ الأدوات أنفسها ، وتشير الآلات إلى نظائرها » الظاهر وقوع سقط في الكلام لعدم ذكر حكم للأدوات والآلات قبل حتى يقال بعد (وإنّما) - إلخ - وبشاهد للسقط أن في التحف وخطبة الرضا عليه السلام ومجالس الشيخ قبل هذا الكلام : « له معنى الربوبية إنلامر بوب ، وحقيقة الإلهية إنلامألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ، ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع . ليس منذ خلق استحق معنى الخالق ، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائية . كيف ولا تنغييه مذ ، ولا تدنيه قد ، ولا تحجبه لعل ، ولا توقته متى ، ولا شمله حين ، ولا تمارنه مع » لكن في الأخير بدل قوله « ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائية » : (ولا من حيث أحدث استفاد معنى المحدث) .

وحينئذ يكون معنى قوله : « وإنّما تحدّ الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها » أن هذه الأدوات والآلات : أى مذ ، وقد ، ولعل ، ومتى ، وحين ، ومع إنّما تعين الحدّ لأنفسها من الممكنات ، وتشير إلى نظائرها من المخلوقات ، ولا يمكن أن تحدّ

البارى تعالى وتشير إليه - جلّ وعلا -

هذا ، وزاد بعد « إلى نظائرها » « وعن الفاقة تخبر الأداة ، وعن الضدّ يخبر التضادّ ، وإلى شبهه يؤول الشبيه ، ومع الأحداث أوقاتها ، وبالأسماء تفترق صفاتها ، ومنها فصلت قرائنها ، وإليها آلت أصدافها » .

« منعته منذ » تخفف (منذ) فيقال: منذ قال : (ومازلت أبغى المال مذناً يافع) مع أنّ التحف بدّها بها .

« القديمة » هكذا في المصرية ، والصواب « القديمة » كما في (حد ، ثم ، والخطية) « وحمتها » أى منعته « قد » في اللسان قال الخليل : (قد) جواب لقوم ينتظرون الخبر أو لقوم ينتظرون شيئاً تقول : « قد مات فلان » ولو أخبره وهو لا ينتظره لم يقل : « قد مات » ، ولكن يقول : « مات » ، وقيل : « هي جواب قولك : « لما يفعل » فيقول . قد فعل . قال النابغة :

أفدا لترحل غير أنّ ركابنا ☆ لما نزل برحالنا و كأن قد

أى و كأن قد زالت ، وتكون « قد » مع الأفعال الآتية بمنزلة ربّما . قال .

قد أترك القرن مصفراً أنامله ☆ كأنّ أثوابه مجتّت بفرصاد

وتكون بمنزلة « ما » فينفى بها سمع بعض الفصحاء يقول « قد كنت في خير فتعرفه » وفي القاموس : لقد ستّة معان : التوقع نحو « قد يقدم الغائب » ، وتقريب الماضى من الحال نحو « قد قام زيد » ، والتحقق نحو « قد أفلح من زكّاه » ، والنفى نحو « قد كنت في خير فتعرفه » بنصب تعرف ، والتقليل نحو « قد يصدق الكذوب » ، والتكثير نحو « قد أترك القرن » .

« الأزليّة » له تعالى .

« و جنبته لولا » التى تثبت النقص فتقول « نعم الرجل فلان لولاه فيه الشيء »

الفلانى ، وقال الشاعر :

فلو لاحصين غيبه أن أسوءه ☆ وإنّ بنى سعد صديق ووالد

« التكملة » : أى كماله تعالى في ذاته ، وجعل اللسان التكملة كالتكميل خطأ .

هذا . وفي التحف بدل « وجنبتها لولا التكملة » ووفت عنها (لولا) الجبرية ، ثم إن (حد) قال : إن بعضهم نصب «القدمة» و«الأزليّة» و«التكملة» على أنها مفعول ثان ، والأول الضمائر المتصلة بالأفعال والفاعل (منذ) و(قد) و(لولا) فيكون المعنى إن إطلاق (منذ) على الآلات و الأدوات يمنعها عن كونها قديمة ، وإطلاق (لولا) عليها يمنعها من التكملة . قال : وبعضهم رفع «القدمة» و«الأزليّة» و«التكملة» على الفاعلية ، وتكون الضمائر مفعولاً أولاً و«منذ» و«قد» و«لولا» مفعولاً ثانياً ، ويكون المعنى : أن قدم الباري و أزليته و كماله منعت الأدوات ، والآلات من إطلاق «منذ» و«قد» و«لولا» عليه سبحانه .

وقال (ثم) بعد نقلهما : و الأول أولى لوجوده في خط الرضى . قلت : و التحقيق أن الأفعال الثلاثة ليس لها إلا مفعول واحد ، وإنما تعدى إلى مفعول آخر بواسطة «من» و«عن» وليستا في الكلام و إن (منذ) و(قد) و(لولا) بدل بعض من الضمائر في (منعتها) و(حمتها) و(جنبتها) فيتعيّن كون (القدمة) و(الأزليّة) و(التكملة) بالرفع فواعل لأفعالها فقد عرفت من رواية التحف أن قبل قوله ﷺ « وإنما تحدّ الأدوات » كان قوله ﷺ (ولا تغيبه مذ ، ولا تدنيه قد ، ولا تحجبه لعل ، ولا توقّته متى ، ولا تشمله حين ولا تقارنه مع) و حينئذ فالأدوات والآلات عبارة عن (منذ ، وقد ، ولولا) .

و في كلام للحسين ﷺ : لا تحلّه في ، ولا توقّته إن ، ولا تؤامره إن . « بها تجلّى صانعها للعقول » قالت الشراح : معنى الجملة : إن بمشاعرنا وخلقها تعالى إياها ، و تصويره لها تجلّى صانعها لعقولنا بالعلم والقدرة . فجعلوا الضمير في (بها) للمشاعر مع أن الظاهر أن الضمير للأموور والأشياء في قوله ﷺ (و بمضادته بين الأمور) و (بمقارنته بين الأشياء) بعد قوله ﷺ : (و بتشعيره المشاعر) . و يشهد له أن قبل الفقرة في خطبة الرضا ﷺ : افتقرت فدلّت على مفرقتها ، و تباينت فأعربت عن مباينتها . فإن الضمير في (افتقرت) و (تباينت) للأمور والأشياء قطعاً .

و يمكن أن يكون الضمير في (بها) للتشعير والمضادة والمقارنة في الفقرات الثلاث المتقدمة .

« و بها امتنع عن نظر العيون » قال بعضهم : أي و بمشاعرنا استنبطنا استحالة كونه مرئياً بالعيون لأننا بالمشاعر والحواس كملت عقولنا ، وبعقولنا استخرجنا الدلالة على أنه لا تصح رؤيته .

و قال بعضهم : أي بايجاده المشاعر مدركة لحاسة البصر ظهر امتناعه عن نظر العيون . قلت : وكلاهما كما ترى ، والصواب كون الضمير في (وبها) راجعاً إلى العقول المذكورة قبله : أي بالعقول و حكمها امتنع عن نظر العيون .

و يشهد له أيضاً أن التحف زاد بعد الفقرة : و إليها تحاكم الأوهام ، ولا ريب أن الضمير (وإليها) راجع إلى العقول مع أنه لو كان الضمير راجعاً إلى مرجع الأول لما احتاج إلى تكراره ، و كان يقول : و امتنع عن نظر العيون .

مع أنك قد عرفت أن الضمير الأول أيضاً غير راجع إلى المشاعر .

« لا يجري عليه السكون والحركة . إلى ولتجزء كنهه » زاد التحف وخطبة الرضا عليه السلام قبله فقرات وفي آخرها : فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه ، وكل ما يمكن فيه يمتنع في صانعه .

« ولا يمتنع من الأزل معناه » زاد التحف ، وخطبة الرضا عليه السلام : و لما كان للباريء معنى غير المبروء .

« و لكان له وراء إذ وجد له أمام » إزهما من الأمور الإضافية .

« ولا لتمس التمام إذ لزمه النقصان » كما هو شأن كل ساكن يتحرك .

« و إذن لقامت آية المصنوع فيه » زاد قبله : كيف يستحق الأزل من لا يمتنع

من الحدث ، و كيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الإينشاء ، و زاد الأول : وكيف يستأهل الدوام من تنقله الأحوال و الأعوام .

« و لتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه » حسب دلالة المصنوع على الصانع ،

والبناء على الباني .

« وخرج » مستأنفة ، ولا يبعد أن يكون « وخرج » محرف (قد خرج) فالفرق بينهما في الخط قليل .

« بسطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره » إذن لتساوى مع باقي الأشياء ، « وليس كمثله شيء » (١) .

«الذي لا يحول ولا يزول ، ولا يجوز عليه الأ قول » : أي الغيبة بشهادة العقول أن كل آفل لا يمكن أن يكون رباً ، ولذا كان الخليل ﷺ لما رأى أقول الكوكب والقمر والشمس أنكر على عابديها بأقولها ، وقال لهم : إني بريء مما تعبدون من دونه تعالى .

« ولم يلد » هكذا في المصرية ، والصواب (لم يلد) بدون واو كما في (حد ، و نم ، والخطية) ولأن المقام مقام الفصل .

« فيكون مولوداً » كما هو شأن المتوالدة .

« ولم يولد فيصير محدوداً » فإن كل مولود محدود .

« جل » عن اتخاذ الأبناء » رد على اليهود في قولهم (عزير ابن الله) ، وعلى النصارى في قولهم (المسيح ابن الله) ، وعلى الوثنيين في قولهم (إن الملائكة بنات الله) قال تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون » (١) .

وورد أن اليهود والنصارى حضروا عند النبي ﷺ للمحاجة . فقال لليهود: ما الذي دعاكم إلى القول بأن عزير ابن الله قالوا لا أنه أحبي لبني إسرائيل التوراة بعد ما ذهب ، ولم يفعل به هذا إلا لأنه ابنه . فقال النبي ﷺ : فكيف صار عزير ابن الله دون موسى ، وهو الذي جاءهم بالتوراة ، ولئن كان هذا المقدار من الكرامة لعزير يوجب أنه ابنه فأضعاف هذه الكرامة لموسى يوجب له منزلة أجل من النبوة .

وأيضاً إن كنتم تريدون بالنبوة الدلالة على سبيل ما تشاهدون في دنياكم هذه من ولادة الأمهات الأ ولاد بوطيء آباءهم لهم . فقد كفرتم بالله و شبهتموه بخلقه و أوجبتم فيه صفات المحدثين ، ووجب عندكم أن يكون محدثاً مخلوقاً ، وأن له خالقاً

صنعه وابتدعه . قالوا : لسنا نعنى هذا فإن هذا كفر كما قلت لكنا نعنى أنه ابنه على معنى الكرامة وإن لم يكن هناك ولادة كما يقول بعض عظمائنا لمن يريد إكرامه و ابنته بالمنزلة من غيره (يا بني) و (إنه ابني) لا على إثبات ولادته منه لأنه قد يقول ذلك لمن هو أجنبي لا نسب له بينه وبينه .

وكذلك لما فعل الله بعزير ما فعل كان قد اتخذته إبناً على الكرامة لا على الولادة ، فقال النبي ﷺ فهذا ما قلته لكم إنه إن وجب على هذا القول أن يكون عزير ابنه فإن هذه المنزلة بموسى أولى ، وإن الله يفضح كل مبطل باقراره و يغلب على حجته إن ما احتججتم به يؤديكم إلى ما هو أكثر مما ذكرته لأنكم قلتم إن عظيمامن عظماءكم يقول لأجنبي لا نسب بينه وبينه (يا بني) لا على طريق الولادة فقد تجدون هذا العظيم يقول لأجنبي آخر (هذا أخي) و لآخر (هذا شخي وأبي) و لآخر (هذا سيدي ، و ياسيدي) على سبيل الإكرام ، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول فإن يجوز عندكم أن يكون موسى أخاً لله وشيخاً له أو أباً وسيداً لأنه قد زاده في الإكرام مما لعزيره فبهتوا .

ثم أقبل على النصارى وقال لهم : وأنتم قلتم إن القديم - عز وجل - اتحد بالمسيح ابنه ما الذي اردتموه بهذا القول . فإن أردتم بأن القديم صار محدثاً فقد أبطلتم لأن القديم محال أن ينقلب فيصير محدثاً ، وإن أردتم أن المحدث صار قديماً فقد أحلتم لأن المحدث أيضاً محال أن ينقلب فيصير قديماً ، وإن أردتم بقولكم (اتحد به) إنه اختصه و اصطفاه على سائر عباداه فقد أقررتم بحدوث عيسى ، و بحدوث المعنى الذي اتحد به من أجله ، فقالوا لما أظهر الله على يده من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتخذوه ولداً على جهة الكرامة .

فقال ﷺ فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى و أعاده ، فقال رجل منهم : قولنا (عيسى ابن الله) كقولك (ابراهيم خليل الله) فقال له النبي ﷺ إنما سماء الله تعالى خليلاً لما قال لجبرئيل لما لقيه في الهواء (لا حاجة لي إلا إليه) والخليل من الخلّة وهي الفاقة ، و ذلك لا يوجب تشبيهاً بخلقه ، و الخلّة يمكن أن تسلب والولادة

لا يمكن أن تسلب ثم يجب على قولكم أن يجوز أن يقال ذلك لموسى .

فقال بعضهم : في الكتب المنزلة أن عيسى قال (اذهب إلى أبي) فقال النبي ﷺ إن كنتم تعملون بذاك الكتاب ففيه (اذهب إلى أبي و أبيكم) فقولوا : إن جميع مخاطبيه أيضاً كانوا أبناء الله و ما يدريكم لعله عنى (اذهب إلى آدم و نوح) برفعه الله إليه و جمعه بينه و بينهما وهم أبواه و أبواهم ، فسكتوا .

« و طهر عن ملامسة النساء » « ولم يكن له كفواً أحد » ^(١) « أنتى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة و خلق كل شيء و هو بكل شيء عليم » ^(٢) « و أنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة و لا ولدا » ^(٣) .

« لا تناله الأوهام » : أي الخيالات .

« فتقدره » : أي تعين له مقداراً بتخمينها .

« و لا توهمه الفطن » بالكسر فالفتح جمع الفطنة .

« فنصوره » : أي تعين له صورة بحدسها .

« و لا تدركه الحواس » جمع الحاسة و المراد السامعة و الباصرة و الشامة

واللامسة .

« فنحسه » : أي تجعله من محسوساتها .

« و لا تلمسه الأيدي فتمسه » ذكر الأيدي بعد الحواس من ذكر الخاص بعد

العام ، و أمّا الخبر « يده بيد الله يرفعه » فاستعارة .

« لا يتغير بحال » كالأإنسان يكون أولاً طفلاً . ثم شاباً . ثم شيخاً .

« و لا يتبدل بالأحوال » هكذا في المصرية ، والصواب (في الأحوال) كما في ،

(١) الاخلاص ٤ .

(٢) الانعام ١٠١ .

(٣) الجن ٣

(ثم ، وحد ، والخطيئة) .

« ولا تبليه » : أي لا تجعله بالياً .

« الليالي والأيام » كما تبليان الإنسان والحيوان والنبات .

« ولا يغيره الضياء والظلام » فهو متجل بالوجود في الظلام كالضياء ، ومستور

بالكنه في الضياء كالظلام .

« ولا يوصف بشيء من الأجزاء » حتى الأجزاء العقلية فعلمه وقدرته عين ذاته .

« ولا بالجوارح والأعضاء » وأما قوله تعالى « يدالله فوق أيديهم » (١) فهو

استعارة .

« ولا يعرض من الأعراض » كأبيض يصير أسود أو أحر أو أخضر أو أصفر ، وسليم

يصير سقيماً .

« ولا بالغيرية والأبعض » فليست سمعيته غير بصيرته كما أن السمع ليس

بعضاً منه ، ولا البصر بعضاً منه كما هو كذلك في خلقه .

وفي خبر الصادق عليه السلام مع الزنديق : ليس قولي إنه سميع بصير : أي يسمع

بنفسه ، ويبصر بنفسه ، إنه شيء والنفس شيء آخر ، وإنما أردت عبارة عن نفسي إذ كنت

مسئولاً وفهاماً لك إذ كنت سائلاً . فأقول : إنه سميع بكله لا أن الكل منه له بعض

ولكنني أردت إفهامك والتعبير عن نفسي .

« ولا يقال له حد ولا نهاية » فكل ذي روح له حد ونهاية في حيوته الطبيعية

« ولا انقطاع ولا غاية » كما ليس له أول وبداية .

« ولا أن الأشياء تحويه » : أي تجمعها وتستولي عليه .

« فتنقله » : أي ترفعه يقال : (أقل الجرّة) إذا أطاق رفعها .

« أو تهويه » : أي تخفضه .

« أو أن شيئاً يحمله فيميله أو يعد له » : أي ليس محمولاً على شيء حتى يميله

أويعد له على ظهره من غير ميل .

« وليس » هكذا في المصرية ، والصواب (ليس) بدون واو كما في (حد ، وثم ، والخطية) .

« في الأشياء بوالج » : أى داخل ،

« ولا عنها بخارج » فإن ذلك صفة مخلوقة بل كما قال هو تعالى (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها)^(١) .

« يخبر لابلسان ولهوات ، اللهوات : جمع اللهاة الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم .

« ويسمع لابخروق » : أى خروق الآذان .

« وأدوات » يتركب منها السامعة .

روى الفتح الجرجاني عن الهادي عليه السلام قال : سمى ربنا سمياً لابخرت فيه يسمع به الصوت ، ولا يبصر به كما أن خرتنا الأذى به نسمع لانقوى به على البصر ، ولكنته أخبر أنه لا يخفى عليه شيء من الأصوات ، وهكذا البصر لابخرت منه أبصر كما أننا نبصر بخرت منّا لاننتفع به في غيره .

« يقول ولا يلفظ » : أى لا يكون قوله خارجاً من فم .

ومن أمثالهم (أسمع من لافظة) قيل : المراد باللافظة العنز أنها تشلى للحلب

وهى تجتر فتلفظ بجرتها ، وتقبل فرحاً منها بالحلب ، وقيل : المراد بها الطيور التى تزق فراخها لأنها تخرج ما في جوفها وتطعمها ، وقيل : المراد بها الديك لأنه يلفظ الحب من منقاره لدجاجة ، وقيل : المراد بها الرحى لأنها تلفظ ما صب فيها وقيل : المراد بها البحر لأنه يلفظ بالعنبر والجوهر .

« ويحفظ » كل شيء .

« ولا يتحفظ » بالقوة الحافظة مثلنا .

« ويريد » شيئاً .

« ولا يضر » في النفس مثلنا .

« يحب ويرضى من غير رقة » له تحصل في القلب مثلنا .

« و يبغض » وفي الكافي عن الصادق عليه السلام : ما من شيء أحله الله - عز وجل -

أبغض إليه من الطلاق ، و أن الله يبغض الطلاق الذواق .

« و يغضب » في الخبر : لا يغضب تعالى كغضبه لظلم الضعيفين : النساء والأطفال .

و روى الكافي عن الباقر والصادق عليهما السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : صدقة السر تطفىء

غضب الرب .

« من غير مشقة » : أي غضبه ليس كغضبنا بتأثر و انقلاب في النفس يوجب

المشقة . قال الباقر عليه السلام في قوله سبحانه « و من يحلل عليه غضبي فقد هوى » : غضبه هو

عقابه لا أنه استفزه شيء .

« يقول لما » هكذا في (حد ، وثم ، والخطية) و لمن في المصرية غلط .

« أراد كونه » : أي وجوده .

« كن فيكون » : أي فيوجد .

« لا بصوت يقرع ، ولا بنداء يسمع » كما في أقوال الناس بعضهم مع بعض . فإن

كلامهم أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء ، والهواء يؤديه إلى المسامع ، وليس كلامه

تعالى - والمراد كلامه التكويني - كذلك ليس فيه صوت يقرع ولا نداء يسمع بل هو

فعله و خلقه كما قال .

« و إنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه و مثله » فله تعالى صفات ذات كالعلم

والقدرة ، وصفات فعل كالمشيئة والإرادة و كلامه مع خلقه .

« لم يكن » : أي ذاك الفعل الذي أنشأه و مثله .

« من قبل ذلك » أي أنشأه تعالى .

« كائناً » : أي موجوداً .

« ولو كان قديماً » : أي وجد قبل .

« لكن إلهاً ثانياً » مع الله تعالى و قلنا : إن مراده عليه السلام كلامه تعالى التكويني

وأما كلامه التكليفي مع ملائكته ورسله فبايجاده الكلمات . ففي خبر عن الرضا عليه السلام لما كلمه الله تعالى موسى عليه السلام ، وقرّبه به نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله - عز وجل - كلمه وقرّبه وناجاه . فقالوا : إن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت ، و كان القوم سبعمائة ألف رجل . فاختار منهم سبعين ألفاً . ثم اختار منهم سبعة آلاف . ثم اختار منهم سبعمائة . ثم اختار منهم سبعين رجلاً لمليقات ربه . فخرج بهم إلى طور سيناء . فأقامهم في سفح الجبل و صعد موسى عليه السلام إلى الطور ، و سأل الله تعالى أن يكلمهم و يسمعهم كلامه فكلمهم الله تعالى و سمعوا كلامه من فوق و أسفل ، و يمين و شمال ، و وراء و أمام لأن الله - عز وجل - أحده في الشجرة . ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه - الخبر - .

و في منهاج العلامة عن كتاب أخطب خوارزم عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وآله و قد سئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ فقال : بلغة علي بن أبي طالب . فألهمني أن قلت : أخطبتني أنت أم علي؟ فقال : يا محمد أنا شيء لا كالأشياء . لا أقاس بالناس ، ولا أوصف بالأشياء ، خلقتك من نوري ، و خلقت علياً من نورك فاطلعت على سرائر قلبك ، فلم أجد إلى قلبك أحب من علي بن أبي طالب فخطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك .

و يمكن أن يكون قوله عليه السلام : وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأ ومثله إشارة إلى كلامه التكليفي الذي قلنا لكن مع وقوع تحريف فيه ، و أن الأصل : وأما كلامه سبحانه فقول منه أنشأ ومثله ، و حينئذ فقول به بعد : لم يكن من قبل ذلك كائناً ، و لو كان لكان إليها ثانياً ، معناه أن كلامه تعالى لما كان صفة فعله ليس بقديم ، و لو كان قديماً و هو غيره صار إليها ثانياً ، و في خبر أبي بصير عن الصادق عليه السلام قلت : فلم يزل الله متكلماً؟ قال : إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله تعالى ولا متكلم .

ومن كلامه عليه السلام يظهر بطلان مذاهب الحنابلة ، والكرامية ، والأشعرية فقالوا : قالت الحنابلة : إن كلامه تعالى حروف و أصوات قديمة ، و قالت الكرامية : إن كلامه تعالى صفة له مؤلفة من الحروف والأصوات الحادثة القائمة بذاته ، و قالت

الأشاعة كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاته قديمة .

هذا ، وفي ملل الشهرستاني : حكم الجبائي بكونه تعالى متكلماً بكلام يخلقه في محل لكن قال : يحدث الله تعالى عند قراءة كل قارئ كلاماً لنفسه في محل القراءة وذلك حين ألزم أن الذي يقرأه القارئ ليس بكلام الله ، والمسموع منه ليس بكلام الله ، فالنزم هذا المحال من إثبات أمر غير معقول ولا مسموع ، وهو إثبات كلامين في محل واحد .

« لا يقال كان بعد أن لم يكن » يعني أن قولنا (كان) في (كان الله سميعاً بصيراً) (كان الله عليمًا حكيمًا) بمعنى الاستمرار لا بمعنى (صار) وإلا لزم بواطل : أحدها : « فتجرى عليه الصفات المحدثات » قال (حد ، وثم) و روى (صفات المحدثات) : أي بالاضافة ، وكيف كان فوجه جريان المحدثات عليه حينئذ إن شيئاً لم يكن ثم كان محدث .

و ثانيها : « ولا يكون بينها » : أي المحدثات .

« و بينه » تعالى .

« فصل » لكونه مثلها في السبق بالعدم .

و ثالثها : « ولاله عليها فضل » بدوام الوجود .

« فيستوي الصانع والمصنوع » في كونه معدوماً أو لا .

« و يتكافأ المبتدع » قال (ثم) : و في نسخة الرضي (المبدع) بفتح الدال .

« والبديع » : أي الله تعالى . قال - عز وجل - « بديع السموات والأرض »^(١) .

« خلق الخلائق على غير مثال خلا » : أي مضى .

« عن غيره » كيف لا ، ولم يكن موجود غيره تعالى فكيف يكون منه له مثال .

« و لم يستعن على خلقها بأحد من خلقه » فلم يكن خلق حتى يستعين بهم

في خلقه .

« و أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال » بامساكها عن فعل آخر كأحدنا إذا

أمسك شيئاً يشتغل به عن شيء آخر « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولن
زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » (١) .

« وأرساها » : أى أثبتها .

« على غير قرار » لها فإنيها تتحرك في الفضاء وتدور .

« و أقامها بغير قوائم » جمع القائمة .

« و رفعها » في الفضاء كباقي الكرات .

« بغير دعائم » جمع الدعامة : أى العماد لها .

« و حصنها » بالتشديد : أى أحكمها .

« من الأود » : أى الميل والانحناء عن مدارها

« والاعوجاج » بالخروج عن مركزها .

« و منعها من التهافت » : أى التساقط قطعة قطعة .

« والانفراج » : أى الانكشاف . قال : له فرجة كحل العقال .

« أرسى » : أى أثبت .

« أو تادها » و هي جبالها قال تعالى « والجبال أرساها » (٢) .

« و ضرب أسدادها » حتى لا يختلط شيء منها بشيء آخر . قال تعالى « مرج

البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان » (٣) « آمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها

أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً إله مع الله بل أكثرهم

لا يعلمون » (٤) .

« و استفاض » يقال : فاض الماء يفيض إذا كثر حتى سال .

« عيونها » : أى يبايعها « أخرج منها ماءها و مرعاها » (٥) .

(١) فاطر ٢١

(٢) النازعات ٣٢

(٣) الرحمن ٢٠

(٤) النمل ٦١

(٥) الفارعات ٣١

« وخذت » : أى شقّ و حفر .

« أوديتها » جمع الوادى ، و في اللسان قال ابن سيّدة : الوادى كل مفرج بين الجبال والتلال والآكام سمى بذلك لسيلانه يكون مسلكاً للسيل ومنفذاً . قال التغلبى :

لا صلح بينى فاعلموه ولا ☆ بينكم ما حملت عاتقى

سيفى و ما كنا بنجد و ما ☆ قرقر قمر الواد بالشاهق

و قوله - عزّ وجلّ - « ألم تر أنّهم في كلّ واديهيمون » ^(١) ليس يعنى أودية

الأرض إنّما هو مثل لشعر الشعراء كما تقول : أنا لك في واد ، و أنت لى في واد : أى يقولون في الذم و يكذبون ، و في المدح و يكذبون ، و جمع الوادى أوداء و أودية و أوداية . قال : « واقطع الابحر والأوداية » .

« فلم يهن » : أى لم يضعف .

« ما بناه » « و السماء بنيناها بأيد و إنّنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم

الماهدون » ^(٢) .

« ولا ضعف ما قواه » « و بنيينا فوقكم سبعاً شداداً و جعلنا سراجاً وهاجاً » ^(٣)

« ءأتتم أشدّ خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسويها و أغطش ليلها و أخرج ضحاها و الأرض بعد ذلك دحاهها » ^(٤) .

« هو الظاهر عليها » الضمير في « عليها » راجع إلى « الأرض » في قوله : و أنشأ

الأرض ، أو إلى « الخلائق » في قوله : خلق الخلائق ، والأوّل أقرب لفظاً ، والثانى

معنى .

« بسلطانه و عظّمته » يتصرف فيها ما يشاء كيف يشاء .

« و هو الباطن لها بعلمه و معرفته » « و لقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس

(١) الشعراء ٢٢٥

(٢) الذاريات ٤٨

(٣) النبأ ١٣

(٤) النازعات ٣٠

به نفسه و نحن أقرب إليه من جبل الوريد » (١) .

« والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزته » « والله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون » (٢) .

« ولا يعجزه شيء منها طلبه » « ومن لم يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء » (٣) « ولا يؤده حفظهما و هو العلي العظيم » (٤) .
« ولا يمتنع شيء » .

« عليه فيغلبه » ذلك الشيء . قال تعالى « فلو لا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين » (٤) .

« ولا يفوته السريع منها » كما يفوتنا كثير من الأشياء السريعة .

« فيسبغه » فلا يلحقه « يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون » (٥) وفي الخبر أن إبراهيم عليه السلام لما أرى ملكوت السموات والأرض فالتفت ثلاثاً ورأى رجالاً يزنون فدعا عليهم فماتوا أو حى تعالى إليه إننى خلقتهم على أصناف عبد يعبد غيرى فلن يفوتنى - الخبر - .

« ولا يحتاج إلى ذى مال فيرزقه » « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (٦) .

« خضعت الأشياء له ، و ذلك مستكينة لعظمته » « قل أنئبكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين و تجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين و جعل فيها رواسي من فوقها و بارك فيها و قدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء

(١) ق ١٦

(٢) يوسف ٢١

(٣) البقرة ٢٥٥

(٤) الواقعة ٨٧

(٥) يونس ٢٣

(٦) الذاريات ٥٨

وهي دخان فقال لها و للأرض اثنيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم « (١) .

« لا يستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فيمتنع من نفعه وضره » فهرب موسى عليه السلام من مصر لما خاف أن يقتله فرعون فورد ماء مدين وامتنع من أن تناله يد فرعون و هرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مشركي مكة لما أرادوا قتله فلما ورد المدينة أمن من أذاهم و كثير من الناس إذا لم يرضوا بسلطانهم يخرجون من مملكته فيمتنعون من نفعه وضره و أما هو تعالى فالأرض والسماء في سلطانه والبر والبحر من مملكته « قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوء أو أراد بكم رحمة » (٢) « قل إنني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً قل إنني لن يجيرني من الله أحد و لن أجد من دونه ملتحداً » (٣) .

« ولا كفوء له فيكا فيئه » كيف وهو الخالق وغيره مخلوق .

« ولا نظير له فيساويه » ليس كمثله شيء و هو السميع البصير « (٤) .

« هو المفنى لها بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها » « كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » (٥) .

« وليس فناء » هكذا في النسخ، والظاهر أن الأصل « افناء » .

« الدنيا بعد ابتداعها » و خلقها .

« بأعجب من إنشاءها و اختراعها » كيف لا والايجاد أصعب من الاخراب فاستبعاد من استبعد إخراب هذه الأفلاك من قصر نظره و ضعف بصره .

« و كيف » لا يكون الانشاء والافناء مختصين به تعالى .

(١) فصلت ١٢

(٢) الاحزاب ١٧

(٣) الجن ٢٢

(٤) الشورى ١١

(٥) الرحمن ٢٧

« لو اجتمع جميع حيوانها من طيرها و بهائمها » البهائم جمع البهيمة ، وفي اللسان البهيمة : كل ذات أربع قوائم من دواب البر والماء ، وقال الزجاج : كل حتى لا يميز بهيمة .

« وما كان من مراحها » بالضم ، والمراد به ما اربح من تعب الرعى كالحمير والبغال والخيول .

« و سائمها » والمراد بالسائم ما ترعى كالأغنام و ما من قبيلها ، فالتقابل واقع بين المراح والسائم مثل الطير والبهائم ، ولقد وقع (حد) و كثير منهم هنا في حيص و بيص و خبط و خلط .

« و أصناف أسناخها » : أى أصولها .

« و أجناسها » : أى أنواعها فالضأن والمعز متحدان بالأصل مختلفان بالنوع .
« و متبلدة » من البلادة ضد الذكوة والكياسة ، وقولهم : (بيضة البلد في الذم كقول حسبان في نفسه ، وابن الفريجة : أمسى بيضة البلد) بكسر اللام الوصف من البلادة ، و المراد بالبلد فيه النعامة فمن أمثالهم . أحقق من نعامة . قالوا : إنها تنتشر للطعم فربما رأيت بيض نعامة قد انتشرت لمثل ما انتشرت هي له فتحضن بيضها وتنسى بيض نفسها . قال ابن هرمة :

كثاركة بيضها بالعراء ☆ و ملبسة بيض أخرى جناحا

وقالوا أيضاً : أذل من بيضة البلد ، وفسر أم البيض في قول الشاعر :

و اتانا يسعى ☆ تفرش أم البيض

بالنعامة ، و أمافي المدح كقول أخت عمرو بن عبدود فيه عليه السلام : أبوه قد كان يدعى بيضة البلد . فالبلد فيه بالفتح واحد البلاد كما أن (البيضة) في الأول بيضة الطير ، و في الثاني بيضة الحديد التي يقال لها بالفارسية (كلاه خود) وقد خلطوا بينهما فقالوا : بيضة البلد يأتي للمدح والذم ، والحقيقة ما عرفت .

هذا ، وقد يأتي التبدل في قبال التجلد إذا كان تبلده عارضيا من شدة المصيبة .

قال الشاعر :

ألا لا تلمه إن يتبدلا ﴿ فقد غلب المحزون أن يتجلدا

«أممها» قال الجوهري: كل جنس من الحيوان أمة، وفي الخبر: لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها.

قلت: لم خص الأمة بالحيوان وقد قال تعالى «وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُمم أمثالكم» (١).

«وأكياسها»: أي أذكياها، ومن أمثالهم (أكيس من قشّة، وهي: جبر والقرد كما أن من أمثالهم (أبلد من ثور ومن سلحفاة).

«على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها» «إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له» (٢).

«ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها» «أفرأيتم ما تمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون» (٣).

«ولتحيّرت عقولها في علم ذلك» كيف لا ولا وقفت بعد على حقيقة الروح وعرفانها فضلا عن علم إيجادها.

«وتأهت»: أي ضلّت.

«وعجزت قواها، وتناهت»: أي بلغت إلى النهاية.

«ورجعت خاسئة» من: خساً البصر كل وأعيب.

«حسيرة» من حسر بصره: إذا كل وانقطع من طول النظر، والأصل في كلامه

عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى «مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ» (٤).

(١) الانعام ٣٨.

(٢) الحج ٧٣.

(٣) الواقعة ٥٩.

(٤) الملك ٣-٣.

«عارفة بأنها مقهورة» : أى مغلوبة .

« مفرّة بالعجز عن انشائها » فكيف تقدر على ايجاد الروح فيها ، وكيف تقدر على ايجاد السامعة والباصرة والذائقة والشامة واللامسة فيها بل والعاطفة وقوى آخر غير معصورة .

« مدعنة » : أى معتقدة .

« بالضعف عن إفنائها » والمراد إفناء نوعها .

« وإن الله » هكذا في المصرية ، والصواب (وإنه) كما في (حد ، وثم ، والخطية) « سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لاشيء معه كما كان » وحده لاشيء معه .
« قبل ابتداءها كذلك يكون » وحده لاشيء معه .

« بعد فنائها » حتى ملك الموت أيضاً لا يبقى . روى الكافي في نوادر جنائزه عن يعقوب الأحمر قال: دخلنا على الصادق عليه السلام نعتز به باسمعيل فترحم عليه ثم قال : إن الله - عز وجل - نعى إلى نبيه عليه السلام نفسه فقال « إنك ميت وإنتهم ميتون » ^(١) وقال - عز وجل - « وكل نفس ذائقة الموت » ^(٢) ثم أنشأ يحدث فقال ، إنه يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد . ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل فيجىء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله فيقال له : من بقى وهو أعلم فيقول : يارب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل فيقال له : فيقول : يارب لم يبق إلا ملك الموت فيقال له : مت ياملك الموت فيموت ، ثم يأخذ الأرض بيمينه والسموات بيمينه ويقول : أين الذين كانوا يدعون معى شريكاً أين الذين كانوا يجعلون معى إليها آخر ؟

« بلاوقت » من ليل أو نهار .

« ولا مكان » أرض أو سماء .

(١) الزمر ٣٠ .

(٢) آل عمران ١٨٥ .

« ولا حين ولا زمان » شهر أو سنة .
 « عدمت عند ذلك » : أى فناء العالم .
 « الآجال » للأشياء .
 « والأوقات » للأُمور لعدم وجود شمس وقمر .
 « والسنون » هكذا في المصرية ، والصواب : وزالت السنون كما في (حد ، وثم ،
 والخطية) .

« والساعات » التى هى أجزاء الليل والنهار .
 « فلاشئ إلا الواحد القهار » لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ، (١) .
 « الذى إليه مصير جميع الأمور » وتديرها .
 « بلاقدرة منها » الظرف الأوّل خبر كان قدّم لكونه مهمماً في القصد ، والظرف
 الثانى متعلق بالأوّل .

« كان ابتداء خلقها » كيف لا ولم تكن شيئاً حتى تكون ذات قدرة .
 « وبغير امتناع منها » مثل سابقه في التركيب .
 « كان فناؤها » ولو كان فيها استعداد البقاء .
 « ولو قدرت على الامتناع » من الفناء .
 « دام » هكذا في المصرية ، والصواب : لدام كما في (حد ، وثم ، والخطية) .
 « بقاؤها » بالامتناع من الفناء .
 « لم يتكأده » : أى لم يشقّ عليه .
 « صنع شئ منها إن صنعه » وما ذلك على الله بعزيز (٢) .
 « ولم يؤده » بدون و او : أى لم يتقل عليه .
 « منها خلق ما خلقه إن برأه » : أى خلقه عن غير مثال .

(١) المؤمن ١٦ .

(٢) ابراهيم ٢٠ .

« ولم يكوّنها » : أى لم يوجد لها .

« لتشديد سلطان » كسلطين الدنيا يصنعون أموراً لتشديد سلطانهم ، و منهم المعتصم جمع من الأتراك أربعة آلاف وألبسهم - كما في المروج - أنواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة و أبانهم بالزى عن سائر جنوده ، واصطنع قوماً من حوف اليمن وحوف قيس فسمّاهم المغاربة ، واستنقذ رجال خراسان من الفراغنة والأشروسية فكثرت جيشه حتّى اضطرّ إلى الخروج عن بغداد لما ينال الناس من جيشه فانتقل إلى محل سامراء وبنائها .

« ولا للخوف من زوال ونقصان » كالناس يبنون القلاع لتصونهم من الزوال والنقصان « ولا للاستعانة بها على ندّ » : أى مثل ونظير .
« مكائز » له .

« ولا للاحتراز بها » : أى التوقى .

« من ضدّ مثابر » : أى موائب . بنى المنصور تحت قصره نفقا يخرج إلى خارج البلد لكي يفرّ إذا غلبه عدو .

« ولا للازباد بها في ملكه » كملوك الدنيا في بناء هم للبلاد .
« ولا لمكائز شريك في شركه » كأهل الدنيا في تكائزهم بالأموال والأولاد في ما بينهم .

« ولا لوحشة كانت منه » إذ كان وحده .

« فأراد أن يستأنس إليها » ويرفع وحشته بها .

« ثم هو » تعالى .

« يفنيها بعد تكوينها » وایجادها .

« لالسأم » : أى ملال .

« دخل عليه في تصريفها » وتغييرها من حال إلى حال .

« وتديورها » بما يكون صلاحها .

- « ولا لراحة واصلة إليه » من إفنائها .
 « ولا لثقل شيء منها عليه » وقت بقاءها .
 « لم يملكه » : أى لم يجعله ملولا .
 « طول بقاءها فيدعوه » ملله .
 « إلى سرعة إفنائها » حتى لا يزداد ملله .
 « لكنّه سبحانه دبرها » حين ابقاءها .
 « باطفه » « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » (١) .
 « وأمسكها بأمره » لكيلا تضيع .
 « وأتقنها » : أى أحكمها .
 « بقدرته » فلم يكن فيها انقطاع دون ما أريد منها .
 « ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها » كمن يخرّب بيته ثم يعيده لحاجته إلى سكناه .
 « ولا لاستعانة بشيء منها عليها » كالناس في أسباب أعمالهم .
 « ولا لانصراف من حال وحشة » حين الفناء .
 « إلى حال استئناس » بها بعد اعادتها .
 « ولا من حال جهل وعمى » في افنائها .
 « إلى حال علم » هكذا في المصريه ، والصواب : إلى علم كما في (حد ، وثم ، والخطية) .
 « والتماس » : أى تبصّر .
 « ولا من فقر وحاجة » من فناءها .
 « إلى غنى وكثرة » باعادتها .

« ولا من نزل وضعة » : أى انحطاط من انعدامها .

« إلى عز و قدرة » بعدايجادها .

٢٤ ر ١٩٠ (ومن خطبة له عليه السلام) الحمد لله الذى أظهر من آثار

سلطانه ، و جلال كبريائه ، ما حير مقل العيون من عجائب قدرته ،
وردد خطرات همامهم النفوس عن عرفان كنه صفته .

« الحمد لله الذى أظهر من آثار سلطانه » في تصرفه في العالم وفي نفوس بنى آدم
بما شاء وكيف شاء .

« و جلال كبريائه » من خلقه السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال
والبهار وأصناف الخلق .
« ما حير » وأدهش .

« مقل » بالضم فالفتح جمع مقلة : شحمة العين التى تجمع البياض والسواد .
« العيون » هكذا في المصرية ، والصواب : العقول كما في (حد ، وثم ، والخطية) .
« من عجائب قدرته » ومنها ما بيّنه في قوله عز وجل - « إن في خلق السماوات
والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل
الله من السماء من ماء فأحى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون » (١) .

وقال الصادق عليه السلام للمفضل في ما بيّنه من حكم البارئ تعالى : إن اسم هذا العالم
بلسان اليونانية الجارى المعروف عندهم (فوسموس) وتفسيره : الزينة ، وكذلك سمّته
الفلاسفة ومن ادعى الحكمة فكانوا لا يسمّونه بهذا الاسم إلا لما رأوا فيه من التقدير
والنظام فلم يرضوا أن يسمّوه تقدير أو نظاماً حتى سمّوه زينة ليخبروا أنهم مع ما هو عليه

من الصواب والاتقان على غاية الحسن والبهاء .

وقال الرضا عليه السلام : خلق الله الخلق على أنواع شتى ، ولم يخلقهم نوعاً واحداً لئلا يقع في الأوهام أنه عاجز فلا يقع في وهم أحد صورة إلا وقد خلق تعالى عليها خلقاً ، ولا يقول قائل : هل يقدر الله على أن يخلق على صورة كذا وكذا إلا وجد ذلك في خلقه - عز وجل - فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كل شيء قدير .

« وردع » : أى كف .

« خطرات » مما يخطر بالبال .

« هماهم » جمع الهمهمة : ترديد الصوت في الصدر .

« النفوس عن عرفان كنه صفته » - جلّ وعلا - فإذا كان الإنسان لا يعرف كنه كثير مما أظهر من آثار سلطنته من الشمس والقمر والنجوم والسماء وغيرها مما يشاهدها كيف يعرف كنه صانعها ، وفي الحلية قال أحمد بن أبي الحواري : حدثني أحمد بن داود عليه السلام أن بنى إسرائيل اجتمعوا فأخرجوا من كل عشرة واحداً . ثم أخرجوا من كل مائة واحداً . ثم أخرجوا من كل ألف واحداً حتى أخرجوا سبعة خيار بنى إسرائيل . فقال : ادخلونا في بيت وطينوا علينا ، ولا تخرجونا حتى نعرف ربنا . ففعلوا فمات أول يوم واحد ، وفي اليوم الثاني آخر . ثم مات في اليوم الثالث آخر . فقال شاب وكان أصغرهم : اخرجونا قد عرفته قالوا : وأى شيء عرفت . قال : عرفت أنه لا يعرف . فإن شتمت فمدعونا حتى نموت عن آخرنا وإن شتمت اخرجونا .

٢٧ ر ١٥١ و من خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقه الخفاش .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْحَسَتْ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ ، وَرَدَّ عَتَّ عَظَمَتِهِ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ ، هُوَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، أَحَقُّ وَأَبِينُ مِمَّا تَرَاهُ الْعَيُونَ ، لَمْ تَبْلُغْ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ ، فَيَكُونُ

مَشَبَهَا ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْاَوْهَامُ [بِتَقْدِيرِ خ] فَيَكُونُ مِمَثَلًا ، خَلَقَ الْخَلْقَ
عَلَى غَيْرِ تَمَثِيلٍ وَلَا مَشَوْرَةَ مُشِيرٍ ، وَلَا مَعُونَةَ مُعِينٍ ، فَتَمَّ خَلْقَهُ بِأَمْرِهِ ،
وَأَذَعَنَ لِبَطَاعَتِهِ ، فَأَجَابَ وَلَمْ يَدْفَعْ ، وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ .

« الحمد لله الذي انحسرت » : أى كَلَّتْ وانقطعت .

« الأوصاف عن كنه معرفته » كيف لا تنحسر عن كنه معرفته ، وقد انحسرت عن

كنه كثير من خلقه .

« وردت » : أى كَفَّتْ .

« عظمته العقول » عن فهمه .

« فلم تجد مساعاً » : أى جوازاً ، والأصل فيه « ساغ الشراب » إذا سهل مدخله في

الحلق .

« إلى بلوغ غاية ملكوته » قال تعالى « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى

لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً » (١) وقال الصادق عليه السلام :

لا يدرك تعالى بالعقل لأنه فوق مرتبة العقل ، كما لا يدرك بالبصر ما هو فوق مرتبته .

فإنك لو رأيت حجراً يرتفع في الهواء علمت أن رامياً رمى به . فليس هذا العلم من قبل

البصر بل من قبل العقل لأن العقل هو الذي يميزه فيعلم أن الحجر لا يذهب علواً من

تلقاء نفسه أفلا ترى كيف وقف البصر على حده فلم يتجاوز ، وكذلك يقف العقل

على حده من معرفة الخالق فلا يعدوه ، وعلى حسب هذا أيضاً نقول : إن العقل يعرف

الخالق من جهة توجب عليه الاقرار ، ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته . فإن قالوا

أوليس قد نصفه فنقول : هو العزيز الحكيم الجواد الكريم . قيل لهم : كل هذه صفات

اقرار ، وليست صفات إحاطة فإننا نعلم أنه حكيم ، ولا نعلم بكنه ذلك منه ، وكذلك

قدير وجواد ، وسائر صفاته كما قد نرى السماء ، ولا ندري أين منتهاه .
« هو الله الملك » هكذا في المصرية وكلمة (الملك) زائدة لعدم وجودها في (حد،
وثم ، والخطية) .

« الحق المبين » « يومئذ يوقئهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق
المبين » (١) .

« أحق » و « أبين مما تراه العيون » لأن ما تراه العيون قد يقع فيه الخطاء ، وأما
هو تعالى فتحققه بالعقل الذي استحال أن يخطئ .

قال الصادق عليه السلام - بعدما مر في ما مر - : فإن قالوا فأنتم الآن تصفون من قصور
العلم عنه وصفاً حتى كأنه غير معلوم . قيل لهم : هو كذلك من جهة إذا رام معرفته ،
والاحاطة به ، وهو من جهة أخرى أقرب من كل قريب إذا استدل عليه بالدلائل الشافية
فهو من جهة كالواضح لا يخفى على أحد ، وهو من جهة كالغامض لا يدركه أحد ، و
كذلك العقل أيضاً ظاهر بشواهد ، ومستور بذاته .

« لم تبلغه العقول بتحديد . فيكون مشبهاً ، ولم تقع عليه الأوهام فيكون ممثلاً »
قال الصادق عليه السلام : فإن قالوا : كيف يعقل أن يكون مبانياً لكل شيء متعالياً . قيل
لهم : الحق الذي يطلب معرفته من الأشياء هو أربعة أوجه : فأولها : أن تنظر أمور وجوده
أم ليس بموجود ؟ ، والثاني : أن يعرف ما هو في ذاته وجوهره ، والثالث : أن يعرف كيف
هو وما صفته ، والرابع : أن يعلم لماذا هو ولايته علة فليس من هذه الوجوه شيء يمكن
المتخلق أن يعرفه من الخالق حق معرفته غير أنه موجود فقط ، و إذا قلنا (وكيف
هو) (وما هو) فممتنع علم كنهه و كمال المعرفة به ، و أمّا (لماذا هو) فساقط في صفة
الخالق لأنه - جل ثناؤه - علة كل شيء ، وليس شيء بعلة له . ثم ليس علم الإنسان
بأنه موجود يوجب له أن يعلم ما هو وكيف هو كما أن علمه بوجود النفس لا يوجب
أن يعلم ماهي ، وكيف هي ، وكذلك الأمور الروحانية اللطيفة .

« خلق الخلق على غير تمثيل ، ولا مشورة مشير ، ولا معونة معين » كيف لا ولم يكن شيء حتى يخلق على تمثيله ، ولم يكن أحد حتى يكون مشيراً له أو معيناً .
 « فتم خلقه بأمره » « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » (١) .
 « وأذ عن : أي اعترف بلسان الحال .

« لطاعته فأجاب ولم يدفع ، وانقاد ولم ينازع » بحصوله على وفق مراده . قال تعالى « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم » (٢) .

٢٨ ر ١٨٦ و من خطبة له عليه السلام : الحمد لله الفاشي حمده ، والغالب جنده ،
 والمتعالي جدّه ، أحمدده على نعمه التؤام ، وآلائه العظام ، الذي عظم
 حلمه فعفا ، وعدل في كل ما قضى ، وعلم ما يمضي وما مضى ، مبتدع
 الخلائق بعلمه ، ومنشئهم بحكمه ، بلا اقتداء ولا تعليم ، ولا اختداء
 لمثال صانع حكيم ، ولا إصابة خطأ ، ولا حضرة ملاء .
 « الحمد لله الفاشي » . أي المنتشر .

« حمده » قال تعالى « تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » (٣) . « وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون » (٤) « يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس

(١) يس ٨٢ .

(٢) فصلت ١٢ .

(٣) الاسراء ٤٤ .

(٤) الروم ١٨ .

العزیز الحکیم» (١) .

«والغالب جنده» «وإن جندنا لهم الغالبون» (٢) «كتب الله لأغلبن أنا ورسلي
إن الله قوي عزيز» (٣) .

«والمتعالى جده» : أى عظمته ، والأصل فيه قوله تعالى حكاية عن الجن «وأنه
تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً» (٤) .

«أحمده على نعمه التوأم» جمع توأم : أى المتواترة . قال الشاعر :

قالت لنا ودمعها توأم ❖ كالدرد إذ أسلمه النظام

على الذين ارتحلوا السلام

والظاهر كونه استعارة ، والأصل فيه : الولدين التوأمين .

«وآلائه» : أى نعمائه . قال الجوهري : واحد الآلاء - آلا - بالفتح ، وقديكر

ويكتب بالياء مثاله معى وأمعاء ، وقال الفيروز آبادى : واحد - الآلاء - ألى - إلى - وألو-
وإلى - وألى . قلت : ولم أقف على استعمال مفرد لآلاء أصلا ، ولنا جموع لا يستعمل
مفرد لها .

«العظام» وكل نعمة منه تعالى عظيمة ، وإنما فيها عظيم ، وأعظم .

«الذى عظم حلمه فعفا» «ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من

دابة» (٥) «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير» (٦) .

«وعدل في كل ما قضى» «إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى

(١) الجمعة ١ .

(٢) الصافات ١٧٣ .

(٣) المجادلة ٢١ .

(٤) الجن ٣ .

(٥) فاطر ٤٥ .

(٦) الشورى ٣٠ .

عن الفحشاء والمنكر والبغى»^(١) «وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب وأمرت لآعدائكم»^(٢) وقال جابر الجعفي للباقر عليه السلام: نرى من الأطفال من يولد ميتاً ، ومن يسقط غير تام ومن يولد أعمى أو أخرس أو أصم ، ومن يموت من ساعته إذا سقط إلى الأرض ، ومن يبقى إلى الاحتلام ، ومن يعمر حتى يصير شيخاً . فكيف ذلك وما وجهه ؟ . فقال عليه السلام : إن الله أولى بما يدبره من أمر خلقه ، وهو الخالق والمالك لهم فمن منعه التعمير فإنه ما منعه ما ليس له ، ومن عمره فإنه ما أعطاه ما ليس له فهو المتفضل بما أعطى وعادل في ما منع .

«وعلم ما مضى وما مضى» قال تعالى «ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين»^(٣) .

«مبتدع الخلاق بعلمه» قال الصدوق: من الدليل على كونه تعالى عالماً أن الأفعال المختلفة التقدير المتضادة التدبير . المتفاوتة الصنعة . لاتقع على ما ينبغي أن يكون عليه من الحكمة ممن لا يعلمها ، ولا يستمر على منهاج منتظم ممن يجهلها ، ألا ترى أنه لا يصوغ قرطاً يحكم صنعته ، ويضع كلاً من دقيقه وجليله موضعه من لا يعرف الصناعة ولأن ينتظم كتابة يتبع كل حرف منها ما قبله من لا يعلم الكتابة ، والعالم أطف صنعة وأبدع تقديراً مما وصفناه فوقوعه من غير عالم بكيفيته قبل وجوده أبعد وأشد استحالة .

«ومنشئهم بحكمه» «ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون»^(٤) «هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها»^(٥) «وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة»^(٦) .

(١) النحل ٩٠ .

(٢) الشورى ١٥ .

(٣) الحجر ٢٤ .

(٤) الواقعة ٦٢ .

(٥) هود ٦١ .

(٦) الانعام ٩٨ .

« بلا اقتداء » لغيره .

« ولا تعليم » من سواء .

« ولا احتذاء » يقال : حذوت النعل بالنعل : إذا قدرت كل واحدة علي صاحبها .

« لمثال صانع حكيم » لعدم وجود لغيره .

« ولا إصابة » أحد .

« خطأ » له في خلقه « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى

من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير » (١) .

واجتهد الطبيعويون في إصابة خطأ في الخليقة فعابوا بجهلهم الشعر النابت على

الركبة . وعلى الابطين ، وكون بطن الانسان مصمتاً لا يمكن فتحه لعلاجه ، ووجود

الموت والفتاء ، ووجود الآفات الحادثة في بعض الأحيان مثل الوباء واليرقان والجراد

وقلة المطر وكثرته ، والزلازل ، وغيرها مع أن ذلك عين الصواب ومحض الحكمة كما

شرحه الصادق عليه السلام للمفضل في توحيده .

« ولا حضرة ملاء » وقت خلقه ما خلق « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناناً

أشهدوا خلقهم » (٢) « ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ

المضكين عضداً » (٣) .

٢٩ ر ١٧٧ و من خطبة له عليه السلام روى عن نوف البكالي . قال : خطبنا

هذه الخطبة بالكوفة أمير المؤمنين عليه السلام وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة

بن هبيرة المخزومي . الى أن قال :

فقال عليه السلام : الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق ، وعواقب الأمر ، نحمده

(١) الملك ٤ .

(٢) الزخرف ١٩ .

(٣) الكهف ٥١ .

عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ ، وَنَيْرِ بَرَاهَانِهِ ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ ، حَمْدًا
 يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً ، وَلِشُكْرِهِ آدَاءً ، وَالْيَ تَوَابِهِ مَقْرَبًا ، وَلِحَسَنِ مَزِيدِهِ
 مُوجِبًا ، وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ . مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ
 مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ ، وَتَوَكِّلُ بِهِ إِيمَانٍ مِنْ
 رَجَاهِ مَوْقِنًا ، وَأَنَابِ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا ، وَخَنَعَ لَهُ مَذْعِنًا ، وَاخْلَصَ لَهُ مَوْحِدًا ،
 وَعَظَمَهُ مُمَجِّدًا ، وَلَذَبَهُ رَاجِبًا مُجْتَهِدًا . لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ
 فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرَثًا هَالِكًا ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ
 وَلَا زَمَانٌ ، وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَلَا نَقْصَانٌ ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا
 أَرَانَا مِنْ عِلْمَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقِنِ ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ ، وَمِنْ شَوَاهِدِ
 خَلْقِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ مَوْطِدَاتِ بِلَاعِمِدٍ ، قَائِمَاتِ بِإِسْنَدٍ ، دَعَاهُنَّ
 فَاجِبِنَ طَائِعَاتِ مَذْعِنَاتٍ غَيْرِ مَمْلُوكَاتٍ ، وَلَا مَبْطُتَاتٍ ، وَلَوْلَا أَقْرَارُهُنَّ
 لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ ، وَادْعَانُهُنَّ لَهُ بِالطَّوَاعِيَّةِ ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ ،
 وَلَا مَسْكِنًا لِمَلَائِكَتِهِ ، وَلَا مَصْعَدًا لِلِكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ
 خَلْقِهِ ، جَعَلَ نَجْوَمَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ
 فِجَاجِ الْأَقْطَارِ ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْتِهَامَ سَجْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ،
 وَلَا اسْتِطَاعَتِ جَلَابِيبِ سَوَادِ الْحِنَادِسِ أَنْ تَرَدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ

مِنْ تَلَالِئِ نُورِ الْقَمَرِ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسْقِ دَاجٍ ، وَلَا لَيْلٍ
 سَاجٍ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطَاتِ ، وَلَا فِي يَفَاعِ السُّعَى الْمُتَجَاوِرَاتِ
 وَمَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ، وَمَا تَلَاسَّتْ عَنْهُ بَرُوقُ الْغَمَامِ
 وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرْقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقِطِهَا عَوَاطِفُ الْأَنْوَاءِ وَإِنِهْتَاطُ السَّمَاءِ
 وَيَعْلَمُ مَسْقِطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا ، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجْرَهَا ، وَمَا يَكْفِي الْبِعُوضَةَ
 مِنْ قُوَّتِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ
 يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ ، أَوْ جَانٌ أَوْ أَنْسٌ ، لَا يَدْرِكُ
 بُوْهِمٍ ، وَلَا يَقْدِرُ بَفَهْمٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ ، وَلَا يَنْظُرُ
 بَعَيْنٍ ، وَلَا يَحْدُ بَابَيْنِ ، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ ، وَلَا يَخْلُقُ بِعِلَاجٍ ،
 وَلَا يَدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ . الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا ،
 وَارَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا . بِالْأَجْوَارِحِ وَالْأَدْوَاتِ ، وَلَا نَطَقَ وَلَا لَهَوَاتِ ،
 بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمَتَكَلِّفُ لِيُوصَفِ رَبِّكَ . فَصِفْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ
 وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حَجَرَاتِ الْقُدْسِ مَرَجِحِينَ ، مَتَوَلِّهَةَ عَقُولِهِمْ
 أَنْ يَحْدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ، فَإِنَّمَا يَدْرِكُ بِالْصِفَاتِ ذُووُ الْهَيْئَاتِ
 وَالْأَدْوَاتِ ، وَمَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ أَمْدَ حُدِّهِ بِالْفَنَاءِ ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَضَاءَ
 بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ ، وَظَلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ .

قول المصنف : «روى عن نوف البكالي» قال (حد) قال صاحب الصحاح : نوف البكالي بفتح الباء كان حاجب علي عليه السلام . قلت : لم يقل صاحب الصحاح إن بكال بالفتح الباء فهذا نصه : نوف البكالي . قال ثعلب : هو من بكالة : قبيلة . إلى أن قال : وبنو بكال من حمير منهم نوف البكالي صاحب علي عليه السلام ، ولو كان الصحاح قال : إنه بالفتح لغلطه القاموس حيث إنه قال : إنه ككتاب ، وإنما قال ابن بري محشى الصحاح - كما نقل عنه في اللسان - : المحدثون يقولون : نوف البكالي بفتح الباء والتشديد ، وكيف كان فقال الجوهري والفيروز آبادي : إن بكالا من همدان ، وبكالا من حمير لكن الصواب كون بكال أيضاً من همدان . فروى الطبري في ذكر خبر الخوارج خبراً في سنده جبر بن نوف أبي وداك الهمداني ، وقد صرح المغرب أن جبراً ابن نوف البكالي ، والراوى عن جبر ابن هذا كان أعرف به فوصفه بالهمداني ، واختار ما قلنا ابن دريد في جهمرته مع تردد . فقال : بنو بكيل ، وبنو بكال بطنان من العرب أحسبهما من همدان أو يكون بكال من حمير وبكيل من همدان منهم نوف البكالي صاحب علي عليه السلام بل قال به الفيروز آبادي أيضاً في مادة - خير - بالخاء والياء المثناة . فقال ثمة : خير بن نوف من همدان لكن الظاهر وهمه في جعل الابن خيراً بل هو جبر بالجيم والموحدة كما عرفته من المغرب .

هذا ، و المفهوم من حليفة كونه من كهلان فعنون الاستيعاب عمرو البكالي ، و قال : قال الخليفة : هو من بنى بكال بن دعى بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن كهلان .

«قال خطبنا هذه» هكذا في المصرية ، والصواب : بهذه كما في (حد) ، وثم ، والخطية) «الخطبة» الظاهر أن هذه الخطبة كانت آخر خطباته عليه السلام فقال نوف في آخرها : فمادارت الجمعة حتى ضربه الملعون .

«بالكوفة أمير المؤمنين عليه السلام» هكذا في المصرية ، والصواب : أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة كما في (حد) ، والخطية) لكن ليس في نسخة (ثم) لفظ (الكوفة) رأساً . «وهو قائم على حجارة نصبها له جمعة بن هبيرة المخزومي» وهو ابن أخته عليه السلام

أم هاني ، وروى الكشي عن الصادق عليه السلام قال : كانت ثلاث عشرة قبيلة من قريش مع معاوية ، ولم يكن مع أمير المؤمنين عليه السلام منهم إلا خمسة أشخاص - وعدّهم . إلى أن قال : وجعدة المخزومي وكان عليه السلام خاله وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان : إنما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك فقال له جعدة : لو كان لك خال مثل خالي لنسيت أباك وروى صفين نصر بن مزاحم أنه عليه السلام لما ورد الكوفة من البصرة نزل على جعدة ، وروى الطبري أنه عليه السلام لما ضرب تقدم جعدة فصلّى بالناس الغداة .

« الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق » « وصوّر كرم فأحسن صوركم وإليه المصير » (١) .
« وعواقب الأمر » « ألا إلى الله تصير الأمور » (٢) « والله عاقبة الأمور » (٣) .
« فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » (٤) « له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور » (٥) .

« نحمده على عظيم إحسانه » قال - عز وجل - « خلق الإنسان علمه البيان » (٦) .
« خلق الإنسان من علق - إلى - علم الإنسان ما لم يعلم » (٧) « ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهدينا له النجدين » (٨) .

« ونسّر برهانه » « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » (٩) .
« أفي الله شك فاطر السماوات والأرض » (١٠) « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين . ومن

-
- (١) التغابن ٣ .
 - (٢) الشورى ٥٣ .
 - (٣) الحج ٤١ .
 - (٤) يس ٨٣ .
 - (٥) الحديد ٥ .
 - (٦) الرحمن ٣-٤ .
 - (٧) علق ٥ .
 - (٨) البلد ٨-١٠ .
 - (٩) الروم ٢٠ .
 - (١٠) إبراهيم ١٠ .

آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون « (١) .

« ونوامي » من إضافة الصفة .

« فضله وامتنانه » على كل شخص وكل نوع . قال تعالى « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً وحبوات ألقافاً » (٢) .

« حمداً يكون لحققه قضاء ولشكره أداء » : أى بالاجمال كقولنا : الحمد لله كما هو أهله ، وكما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله وكقولنا : لا أخصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، وأما حده التفصيلي فخارج عن طوق البشر لعدم إحصاء نعمه ومننه . « وإلى ثوابه مقرراً بآ » كذلك تجزي من شكر « (٣) » ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين « (٤) .

« ولحسن مزيده موجبا » « لئن شكرتم لأزيدنكم » (٥) .

« ونستعين به استعانة راج لفضله ، مؤملاً لنفعه ، واثقاً بدفعه ، معترف له بالطول » بفتح الطاء : أى المن يقال : تطول عليه : أى من . « مدعن » : أى مقر .

« له بالعمل والقول » جعل تعالى في قوله : ونستعين به - الخ - استعانت به تعالى

(١) الروم ١٩-٢٥ .

(٢) النبأ ٦ - ١٦ .

(٣) القمر ٣٥ .

(٤) آل عمران ١٤٥ .

(٥) ابراهيم ٧ .

استعانة متصفاً بالصفات الخمس ليعلم أنه لا ينبغي الاستعانة إلا به تعالى كما قال عز وجل - مؤدباً لهم « وإياك نستعين » .

« ونؤمن به إيمان من رجاء موقناً » بأنه هو محل الرجاء لا غيره .

« وأتاب » : أى أقبل وتاب .

« إليه » تعالى .

« مؤمناً » : أى معتقداً بأنه تعالى أهل ذلك .

« وخنع » : أى خضع .

« له مدعناً » : أى مقراً .

وأخلص له موحداً « وادعوه مخلصين له الدين كما بدئكم تعودون » (١) .

وعظمه ممجداً « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » (٢) « ومن

يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربّه » (٣) .

« ولاذ » : أى لجا .

« به راغباً مجتهداً » : أى ساعياً . جعل تعالى إيمانه في قوله: ونؤمن به - الخ -

إيمان متصفاً بالصفات الست ليفهم أنه الايمان المطلوب . قال تعالى « يا أيها الذين

آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل » (٤) .

« لم يوله سبحانه فيكون في العزم مشاركاً » لأن والد العزيز عزيز ولو بسببه . قال

الشاعر : كما علا برسول الله عدنان .

« ولم يلد فيكون مورثاً » هكذا في المصرية ، والصواب : موروثاً كما في (حد ،

وثم ، والخطية) .

« هالكاً » فليس الموروث إلا هالكاً .

(١) الاعراف ٢٩ .

(٢) الحج ٣٢ .

(٣) الحج ٣٠ .

(٤) النساء ١٣٦ .

« ولم يتقدمه وقت ولا زمان » الظاهر كون الوقت خاصاً والزمان عاماً فإن الوقت يأتي للزمان المعين كثيراً . قال تعالى « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً »^(١) ولا يصح كتاباً مزمناً ، ومن ذلك يظهر لك ما في قول (حد) من كونهما مترادفين ، وقول (ثم) بكون الأول جزء الثاني .

« ولم يتعاوره » : أى لم يعترضه .

« زيادة ولا نقصان » فإنهما من عوارض الجسمانيات .

« بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير الممتقن والقضاء المبرم » «الذي جعل لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولى النهى »^(٢) « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاباً إن في ذلك لذكرى لأولى الأبواب »^(٣)

« ومن » هكذا في المصرية ، والصواب : فمن كما في (حد ، و ثم ، والخطية) .

« شواهد خلقه » : أى من شواهد ظهوره لعقول خلقه .

« خلق السماوات موطنات » : أى مثبتات .

« بلا عمد » قال تعالى « الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها »^(٤) .

« دعاهن فأجبن طائعات مذعنات » : أى معترفات .

« غير متلكئات » : أى معتلات .

« ولا مبطنات » : أى ولا غير مسرعات . قال تعالى « فقال لها وللأرض ائبيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين »^(٥) والمراد من اجابتها اجابتها بلسان الحال لا المقال ، ونظيره في كلام

(١) النساء ١٠٣ .

(٢) طه ٥٣ .

(٣) الزمر ٢١ .

(٤) الرعد ٢ .

(٥) فصلت ١١ .

العرف كثير . قال الشماخ :

كانت كسرت الرجل أخفت سوقها ❦ أطاع له مرزا متين حديق
فجعل الحديق مطيعاً للغير لما تمكن من رعيه .

« ولولا إقراره من له بالربوبية واذعانهم له ، هكذا في المصرية (وشم) و ليست
كلمة (له) في (حد ، والخطية) .
« بالطواعية » : أى الطاعة .

« لما جعلهم موضعاً لعرشه » ولا ينافي ذلك قوله تعالى « و كان عرشه على الماء »
فقبله « وهو الذى خلق السماوات والأرض في ستة أيام » (١) فالمراد أن العرش كان على
الماء قبل خلق السماوات ، ويأتى تصريح الخبر بذلك .

« ولا مسكناً ملائكته » روى عن الرضا عليه السلام أن الله تعالى خلق العرش والماء
والملائكة قبل خلق السماوات والأرض ، وكانت الملائكة تستدل بأنفسها وبالعرش وبالماء
على الله تعالى . ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم أنه على كل
شيء قدير . ثم رفع العرش بقدرته ، ونقله فجعله فوق السماوات السبع - الخبر - .

وقال شيخنا المفيد : وهو عرش خلقه الله تعالى في السماء السابعة ، وتعبداً للملائكة
بحمله وتعظيمه كما خلق سبحانه بيتاً في الأرض ، وأمر البشر بقصده وزيارته ، والحج
إليه و تعظيمه ، وقد جاء الحديث إن الله تعالى خلق بيتاً تحت العرش سماه البيت
المعمور تحجته الملائكة في كل عام ، وخلق في السماء الرابعة بيتاً سماه الضراح وتعبداً
الملائكة بحجته والتعظيم له والطواف حوله ، وخلق البيت الحرام في الأرض فجعله تحت
الضراح ، وفي الخبر عن الصادق عليه السلام لو ألقى حجر من العرش لوقع على ظهر البيت
المعمور ، ولو ألقى من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام ، ولم يخلق الله
عرشاً لنفسه يستوطنه تعالى الله عن ذلك لكنّه خلق عرشاً أضافه إلى نفسه تكريماً له
وإعظاماً ، وتعبداً للملائكة بحمله كما خلق بيتاً في الأرض ولم يخلقه لنفسه ولا لسكنه .

« ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه » والأصل في كلامه ﷺ قوله تعالى « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه »^(١) والصعود والرفع إلى السماوات صعود ورفع إلى الله تعالى فلا تنافى .

« جعل نجومها أعلاماً يستدل بها الحيران في مختلف فجاج » باضم قال الفيروز- آبادى : هو الطريق الواسع بين الجبلين .

« الأقطار » قال تعالى « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر »^(٢) وقال الصادق ﷺ فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعض كممثل الثريا والجوزاء والشعريين وسهيل فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حياله ودلالات يعرفها الناس ، ويهتدون بها لبعضاً مورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت ، واحتجابها إذا احتجبت ، فصار ظهور كل واحد واحتجابها في وقت غير وقت الآخر لينتفع الناس بما يدل كل واحد منها عليه على حدته ، وكما جعلت الثريا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب حيناً إلا لضرب من المصلحة ، وكذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة فإنها بمنزلة الأعلام التي يهتدى بها الناس في البر والبحر للطريق المجهولة ، وكذلك أنها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شأوا ، وصار الأمران جميعاً على اختلافهما وجهين نحو الأرب والمصلحة ، وفيهما ما أرب أخرى علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر ، واللجج الهائلة مع ما في ترددها .

« لم يمنع ضوء » مفعول مقدم .

« نورها » : أى نور النجوم .

« ادلهمام » : أى ظلمة .

« سجف » : أى ستور .

(١) فاطر ١٠ .

(٢) الانعام ٩٧ .

«الليل المظلم» قال الصادق عليه السلام : إنما جعل في النجوم جزء يسيراً من الضوء ليسد مسدّ الأضواء إذا لم يكن قمر و يمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى التجافي في جوف الليل فإن لم يكن شيء من الضوء يهتدى به لم يستطع أن يبرح مكانه تأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدّة للحاجة إليها ، وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي و صفنا .
 « ولا استطاعت جلايبب » : أى ملاحف . قالت امرأة من هذيل ترثى قتيلاً :
 تمشى النصور إليه وهى لاهية ❦ مشى العذارى عليهن الجلايبب
 « سواد الحنادس » : أى الظلم الشديدة .

«أن تردّ ماشاع في السماوات من تلاءؤ نور القمر» فيوجد مع الظلام نور . قال الصادق عليه السلام للمفضل فكر في إنارة القمر في ظلمة الليل والإرب في ذلك فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهدء الحيوان ، وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ذا ظلمة داجية لأضياء فيها ، فلا يمكن فيه شيء من العمل لأنه ربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في بعض الأعمال في النهار ، أولشدة الحر وإفراطه فيعمل في ضوء القمر أعمال شتى كحراث الأرض ، وضرب اللبن ، و قطع الخشب ، وما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معاشهم إذا احتاجوا إلى ذلك ، وأنساً للسائرين ، وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض ، ونقص مع ذلك عن نور الشمس وضيائها لكيلا ينسب الناس في العمل انبساطهم بالنهار ، و يمتنعوا من الهدء والقرار ، فيهلكهم ذلك ، وفي تصرف القمر خاصّة في مهله ومحاقه ، وز يادته ونقصانه ، وكسوفه من التنبيه على قدرة الله تعالى خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون .

« فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق » في الصباح : الغسق : أول ظلمة الليل ، والغاسق : الليل إذا غاب الشفق ، وقوله تعالى « ومن شرّ غاسق إذا وقب » قال الحسن الليل ويقال : إنه القمر .

« داج » قال الأصمعي : دجا الليل : إنّما هو ألبس كل شيء ، وليس هو من الظلمة ومنه قولهم ، دجى الإسلام : أى قوى . قلت : ويمكن أن يكون منه قولهم :

وإنه لفي عيش داج . قالوا : أي عيش خفض .

« ولاليل ساج » : أي سكن و دام من قوله تعالى « والليل إذا سجي » (١) ومنه

البحر الساجي . قال الأعشى :

فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمكم ✽ وبحرك ساج لا يوارى الدعا مصا

« في بقاع الأرضين المتطاطئات » : أي المنهبطات .

« ولا في يفاع » : أي ارتفاع من : أيفع الغلام فهو يافع على خلاف الأصل .

« السفع » بالضم : سواد شرب حمرة ، ومنه قيل للأثافي : السفع .

« المتجاورات » و المراد بالسفع المتجاورات هنا الجبال أو الأكم والأطلال .

« وما يتجلجل » قال الجوهري : التجلجلة : صوت الرعد ، و المجلجل السحاب

الذي فيه صوت الرعد .

« به الرعد في أفق السماء » قيده بالأفق غالبى .

« وما تلاشت » قال (حد) : أهمل كثير من أهل اللغة بناء تلاشت ، وهي صحيحة ووردت .

قال ابن الأعرابي : لشا الرجل إذا اتضع وخس بعد رفعه ، وإذا صح أصلها صح استعمال

الناس تلاشى الشيء بمعنى اضمحل ، وقال الراوندى : تلاشى مركب من لاشيء ، ولم يقف

على أصل الكلمة . قلت : لم يتفطن (حد) أن لشا الرجل الذي ذكره ابن الأعرابي

أيضاً أصله من لاشيء ، والمراد أنه كان شيئاً ثم صار لاشيء ، ومثل تلاشى قولهم : ايش

وقولهم : بلاش . فإن الأصل في الأول : أي شيء ، وفي الثاني بلاشء ، وكذلك قولهم :

لوحش فإنه مخفف لأوحش ، وليس لنا في اللغة ايش ، وبلش ، ولحش . كما ليس : لشي

ونظيرها في الفارسية قولهم في الفارسية (نفرين) في مقابل (آفرين) فإنه مخفف (نه

آفرين) ومعنى آفرين : حييت ، ومعنى نفرين : لا حييت .

« عنه بروق الغمام » : أي السحاب .

« وما تسقط » عطف على سواد . مثل : وما يتجلجل ، و : وما تلاشت : أي لا يخفى

عليه ما تسقط .

« من ورقة » قال تعالى « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » (١) .
« عن مسقطها » : أي مكان سقوطها .

« عواصف » صفة لرياح مقدرة . أي شدائد ، والإضافة فيه بمعنى اللام .
« الأنواء » جمع النوء بالفتح ، وفي الصحاح النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر ، وطلوع رقيقه من المشرق يقابله من ساعته في كل ساعة إلى ثلاثة عشر يوماً ، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً . قال أبو عبيدة : ولم نسمع في النوء أنه السقوط إلا في هذا الموضع ، وقال الأصمعي : العرب تنسب الأمطار والرياح والحرق والبرد إلى الطالع .

« وانهطال السماء » : أي تتابع المطر .

« ويعلم مسقط القطرة » : أي قطرة المطر .

« ومقرها » في سيلانها .

« ومسحب الذرة » : أي ديبها ، والذرة أصغر النمل .

« ومجرها » : أي مكان تجر قوتها إليه .

« وما يكفى البعوضة » : أي البق .

« من قوتها » قال تعالى « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين » (٢) .

« وما تحمل الأُنثى في بطنها » « وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير » (٣) « ويعلم ما في الأرحام » (٤) « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء

(١) الانعام ٥٩ .

(٢) هود ٦ .

(٣) فاطر ١١ .

(٤) لقمان ٣٤ .

عنده بمقدار « (١) .

« الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسى » الذى قال فيه « وسع كرسیه السماوات والأرض » (٢) .

« أو عرش » الذى قال فيه « وهوب العرش العظيم » (٣) « وفي اعتقادات الصدوق واعتقادنا في الكرسى أنه وعاء جميع الخلق والعرش والسماوات والأرض ، وكل شيء خلق الله في الكرسى ، وفيه وجه آخر هو العلم ، وقد سئل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى « وسع كرسیه السماوات والأرض » قال علمه ، وفيه : والعرش حمل جميع الخلائق ، وفي جهة أخرى هو العلم ، وقد سئل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » (٤) أى في كل شيء من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء . فأما العرش الذى حمل جميع الخلق فحمله ثمانية من الملائكة لكل واحد منهم ثمانية أعين كل عين طباق الدنيا واحد منهم على صورة بنى آدم فهو يسترزق الله لولد آدم ، والآخر على صورة الثور يسترزق الله تعالى للبهائم كلها ، والآخر على صورة الأسد يسترزق الله تعالى للسباع ، والآخر على صورة الديك وهو يسترزق للطيور ، وهم اليوم هؤلاء الأربعة فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية ، وأما العرش الذى هو العلم فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين . فأما الأربعة من الأولين : فنوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام ، وأما الأربعة من الآخرين : فمحمد ، وعلي ، والحسن ، والحسين - صلوات الله عليهم أجمعين - قال : هكذا روى بالأسانيد الصحيحة .

« أو سماء » « قل من رب السماوات السبع » (٥) .

(١) الرعد ٨ .

(٢) البقرة ٢٥٥ .

(٣) التوبة ١٢٩ .

(٤) طه ٥ .

(٥) المؤمنون ٨٦ .

« أو أرض » وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله ،^(١) .

« أو جان أو إنس » خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار ،^(٢) ومعلوم تقدم الخالق على المخلوق ، و الرب على المربوب ، والمالك على المملوك .

« لا يدرك بوهم » لعجز الوهم عن إدراكه .

« ولا يقدر بفهم » لأجلية تعالى عن ذلك « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » ،^(٣) .

« ولا يشغله سائل » عن سائل آخر كباقى المسئولين .

« ولا ينقصه نائل » : أى عطاء كباقى المعطين .

« ولا ينظر بعين » كذوى الأرواح .

« ولا يحد بأين » كالجسمانيات فلا تطلق لفظه [أين] عليه تعالى . قال (حد) بعد

قوله لَيْسَ لَهُ « ولا يحد بأين » : أين مبنية فى الأصل على الفتح فإذا نكرتها صارت إسماءً متمكناً كما قال الشاعر :

ليت شعرى وأين منى لیت ☆ إن لیتاً و إن لوآ عناء

قلت : فى ما قال أو لا أن (أين) فى قوله لَيْسَ لَهُ « ولا يحد بأين » أريد به لفظه

فهو اسم متمكن لأنه نكر ، وإنما يقال فى مثل (صه) إنه قد ينكر فى دخله تنوين

التنكير لاهناً ، وثانياً أن البيت الذى استشهد به (أين) فيه على أصله مبنى على

الفتح ، وإنما (ليت) و (لو) أريد بهما فيه اللفظ فصارا اسمين وأعربا لا (أين) كما

هو مد عام .

« ولا يوصف بالأزواج » وقال الله « لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإى باى

(١) الزخرف ٨٤ .

(٢) الرحمن ١٤ .

(٣) الصافات ١٨٠ .

فارهبون» (١) .

« ولا يخلق بعلاج » كالبشر « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» (٢) .

« ولا يدرك بالحواس » « قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني » (٣) .

« ولا يقاس بالناس » « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (٤) .

«الذي كلم موسى تكليماً ، و أراه من آياته عظيماً » من جعل عصاه حية تسعى ، وجعل يده بيضاء من غير سوء وغيرهما . قال تعالى «وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنني آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجدر على النار هدى فلما أتاها نودى يا موسى إنني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى - إلى - وماتلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكل عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فلقاها فإذاً هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى و اضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى » (٥) .

« بلاجوارح » : أي بلاأعضاء يفعل شيئاً بها .

« ولا أدوات » : أي أسباب وآلات .

فإن الناس قد يفعلون أفعالاً بأيديهم وجوارحهم بلا توسط أسباب وآلات ، وقد يفعلون بتوسطها وهو تعالى منزّه عن جميع ذلك .

(١) النحل ٥١ .

(٢) يس ٨٢ .

(٣) الاعراف ١٤٣ .

(٤) الشورى ١١ .

(٥) طه ٩ - ٢٣ .

« ولا نطق ولا لهوات » لهوات جمع لهاة : الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم ، وقوله ﷺ « بلا جوارح ولا أدوات » متعلق بقوله « وأراه من آياته عظيماً » وقوله « ولا نطق ولا لهوات » متعلق بقوله « الذي كلم موسى تكليماً » على خلاف اللف ، و كان تكليمه تعالى مع موسى بلا نطق ولا لهوات ، وإنما أوجد الصوت في الجهات الست فكان يسمعه من كل جهة .

« بل إن كنت صادقاً أيها المتكلف لوصف ربك فصف جبرئيل وميكائيل ، و جنود الملائكة المقرّبين » بشرح ماهيتهم وتركيبهم وقواهم ، وسيأتي كلامه ﷺ في العجز عن وصف عزرائيل في كيفية قبضه للأرواح فإذا لم يستطع وصف خلقه فعدم إمكان وصفه تعالى أولى .

وفي خبر قدوم الجائليق مع مائة من النصارى بعد وفاة النبي ﷺ وإرشاده إلى أمير المؤمنين ﷺ : قال الجائليق له ﷺ : أخبرني عن وجه الرب تعالى فدعا ﷺ بنار وحطب وأضرمه فلما اشتعلت قال : أين وجه هذه النار ؟ قال : هي وجه من جميع حدودها . قال ﷺ : هذه النار مدبرة مصنوعة لا تعرف وجهها ، وخالقها لا يشبهها والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ^(١) .

« في حجرات القدس مرجحنين » كمشعرين : أي خاضعين ، وفي المثل (إذا ارجحن شاصياً فارفع يدا) يعني إذا خضع لك فاكفف عنه .
« متوكئة » : أي متحيرة .

« عقولهم إن يحدوا أحسن الخالقين » لعدم إمكان ذلك لهم .
« فإنما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات » وهو تعالى منزّه عن أن يكون له هيئة أو أداة .

« ومن » بمعنى الذي عطف على (ذوو) .
« ينقض إذا بلغ أمده » : أي غاية أجله .

«بالفناء» متعلق بقوله (ينقضي) وهو تعالى باق أبداً فكيف يمكن إدراكه

بالصفات .

« فلا إله إلا هو » بلاشريك .

« أضاء بنوره » : أي بنهاره .

« كل ظلام » من البر والبحر والمنكشف والمسقف ، والأرض و السماء .

« وأظلم بظلمته » : أي بليله .

« كل نور » من كوكب وقمر وسراج ونار لعدم إغنائها إغناء كاملاً . قال تعالى «والليل

إذا يغشى والنهار إذا تجلى»^(١) أي يغشى الليل كل شيء ، ويتجلى بالنهار كل شيء

ولا يقدر أحد أن يظلم نوره أبيض ظلامه ، وفسر الشراح قوله ﷺ (بنوره) (بظلمته)

بمعان مختلفة ، والأظهر ما عرفت .

٣٠ ر ١١٢ و من خطبة له ﷺ ذكر فيها ملك الموت : هل تحسُّ به

إذا دخل منزلاً ، أم هل تراه إذا توفى أحداً ، بل كيف يتوفى الجنين

في بطن أمه ، أيلج عليه من بعض جوارحها ، أم الروح أجابته باذن ربها

أم هو ساكن معه في أحشائها ، كيف يصف الله من يعجز عن صفة مخلوق مثله .

« هل تحسُّ » بالفتح .

« به إذا دخل منزلاً » قال الصادق ﷺ : ما أهل بيت شعر ولا وبر إلا وملك

الموت يتصفحهم كل يوم خمس مرات .

« أم هل تراه إذا توفى » بلفظ المعلوم .

« أحداً » « قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون »^(٢) .

(١) الليل ١ .

(٢) السجدة ١١ .

« فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون و نحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون » (١) .

« بل كيف يتوفى الجنين - إلى - في أحشائها » روى الصدوق عن الصادق عليه السلام أنه قيل للملك الموت كيف تقبض الأرواح و بعضها في المغرب وبعضها في المشرق في ساعة واحدة . فقال : ادعوها فتجيبني وإن الدنيا بين يدي كالقصة بين يدي أحدكم فيتناول منها ما شاء ، والدنيا عندي كالدرهم في كف أحدكم يقبله كيف يشاء .

« كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله » هو نظير قوله عليه السلام في سابقه « بل إن كنت صادقاً أيها المتكلف لو صف ربك فصف جبرئيل وميكائيل - إلخ - . بل الإنسان عاجز عن وصف نفسه وروحه » يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » (٢) فكيف لا يعجز عن وصف رب لو كان البحر مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته ولو جيء بمثله مددا .

٣١ ر في ١٦٢ ر (منها) أيها المخلوق السوي ، و المنشأ المرعي في

ظلمات الأرحام و مضاعفات الأستار ، بدئت من سلاله من طين ، و وضعت

في قرار مكين ، إلى قدر معلوم ، و اجل مقسوم ، تمور في بطن أمك جنينا ،

لا تحير دعاء ولا تسمع نداء ، ثم أخرجت من مقررك إلى دار لم تشهدا ،

ولم تعرف سبل منافعها ، فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدى أمك ، و

عرفك عند الحاجة موضع طلبتك و إرادتك ، هيئات إن من يعجز عن

(١) الواقعة ٨٣ .

(٢) الاسراء ٨٥ .

صِفَاتِ ذَوِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدْوَاتِ ، فَهُوَ عَنِ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزَ ، وَمِنْ تَنَاوُلِهِ
بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدَ .

أيها المخلوق « والمراد نوع الإنسان .

« السوي » : أي المستقيم من بين ذوى الأرواح . قال الصادق عليه السلام للمفضل انظر إلى ما خص به الإنسان في خلقه تشرiffاً ، وتفضيلاً على البهائم ، فإنه خلق ينتصب قائماً ويستوى جالساً ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه ، ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان مكبوباً على وجهه كذوات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال .
« والمنشأ » وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة ، ^(١) « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » ^(٢) .

« المرعى » من قبل ربه في نشؤه .

« في ظلمات الأرحام » « يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث » ^(٣) .

« ومضاعفات الأستار » ستر البطن ، وستر الرحم ، وستر المشيمة . قال الصادق عليه السلام للمفضل : تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ، ولا تناله يد تدبره حتى يخرج سوياً مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأشاء والجوارح ، والعوامل إلى ما في تركيب أعضائه من العظام ، واللحم ، والشحم ، والمخ ، والعصب ، والعروق ، والغضاريف فإذ أخرج إلى العالم تراه كيف ينمى بجميع أعضائه ، وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ، ولا تنقص إلى أن يبلغ أشده إن مد في عمره أو يستوفى مدته قبل ذلك ، هل هذا إلا من لطيف التدبير والحكمة .

(١) الانعام ٩٨ .

(٢) هود ٦١ .

(٣) الرمر ٦ .

«بدئت من سلالة من طين ، ووضعت في قرار مكين ، الأصل فيه قوله تعالى «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين»^(١) وسلالة من قولهم : سللت الشيء من الشيء إذا استخرجته منه ، وهو خلاصته ، و (من طين) متعلق بقوله (سلالة) .

«إلى قدر معلوم وأجل مقسوم» من ستة أشهر إلى تسعة أشهر أيام الحمل ومدّة تحولات النطفة إلى نفخ الروح فيه كما قال -عز وجل- «ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين»^(٢) .

«تمور» : أى تحركك . قال الأعشى :

كان مشيتها من بيت جاريتها
 مور السحابة لاريت ولا عجل
 «في بطن أمك جنيناً» «وإن أتمم أجنة في بطون أمهاتكم»^(٣) .
 «لاتحير» : أى لاتجيب ، ومنه المحاوره .
 «دعاء» إذا دعاك أحد .

«ولا تسمع نداء» إذا نوديت . قال الصادق عليه السلام يدبّر الله الجنين في الرحم ، وهو محجوب في ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة حيث لا حيلة له في طلب غذاء ، ولا دفع أذى ، ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة ، فإنه يجرى إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذوا الماء النبات ، فلا يزال ذلك غذائه حتى إذا كمل خلقه ، واستحكم بدنه ، وقوى أديمه على مباشرة الهواء ، وبصره على ملاقاته الضياء ، هاج الطلق بأمه فأزعجه أشدّ ازعاج ، وأعنفه حتى يولد ، وإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمه إلى يديها ، فانقلب الطعم واللون إلى ضرب

(١) المؤمنون ١٣ .

(٢) المؤمنون ١٤ .

(٣) النجم ٣٢ .

آخر من الغذاء ، وهو أشد موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه ، فحين يولد قد تلمظ وحرّك شفتيه طلباً للرضاع فهو يجد ثديي أمّه كالداوتين المعلقتين لحاجته إليه . فلا يزال يغتذي باللبن مادام رطب البدن رقيق الأمعاء ، ليس الأعضاء حتى إذا تحرّك واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتد ويقوى بدنه ، طلعت له الطواحن من الأسنان و الأضراس ليمضغ به الطعام فتلين عليه ، و تسهل له إساغته ، فلا يزال كذلك حتى يدرك فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر ، وعزّ الرجل الذي يخرج به من حدّ الصبا وشبه النساء ، وإن كانت أنثى يبقى وجهه نقياً من الشعر لتبقي لها البهجة والنضارة التي تحرّك الرجال لما فيه دوام النسل وبقائه .

اعتبر يا مفضل في ما يدبر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة هل ترى يمكن أن يكون بالإهمال أفرأيت لولم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم ألم يكن سيذوى و يجف كما يجف النبات إذا فقد الماء ، ولولم يزعه المخاض عند استحكامه ألم يكن يبقى في الرحم كالموؤود في الأرض ولولم يأت اللبنة مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أو يغتذي بغذاء لا يلائمه ، ولا يصلح عليه بدنه ، ولولم تثبت عليه الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام ، و إساغته أو يقيمه على الرضاع فلا يشتد بدنه ، ولا يصلح لعمل ، ثم كان تشتغل أمّه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد ، ولولم يخرج الشعر في وجهه في وقته ألم يكن يبقى في هيئة الصبيان والنساء . فلا ترى له جلاله ولا وقاراً .

« ثم أخرجت من مفرّك » من الرحم ،

« إلى دار لم تشهدا » وهي هذا العالم .

« ولم تعرف سبل منافعها » والله أخرجكم من بطون أمّها تكمل لتعلمون شيئاً^(١)

قال الصادق عليه السلام : ولو كان المولود يولد فهما عاقلاً لا نكر العالم عند ولادته ، ولبقى حيران تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير إلى غير ذلك ممّا يشاهده ساعة بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم .

واعتبر ذلك بأن من سبي من بلد إلى بلد ، وهو عاقل يكون كالواله الحيران فلايسرع في تعلم الكلام ، وقبول الأدب كما يسرع الذي يسبي صغيراً غير عاقل . ثم لوولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً معصباً بالخرق مسجى في المهد لأنه لايستغني عن هذا كلكه لرقّة بدنه ، ورطوبته حين يولد . ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج إلى الدنيا غيبياً غافلاً عما فيه أهله فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة . ثم لايزال يتزايد في المعرفة قليلاً قليلاً وشيئاً بعد شيء ، وحالاً بعد حال حتى يألف الأشياء ، ويتمرن ويستمر عليها فيخرج من حد التأمل لها ، والحيرة فيها إلى التصرف والاضطراب إلى المعاش بعقله وحيلته وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية .

« فمن هداك لاجترار الغذاء من ندي أمك و عرفك عند الحاجة مواضع طلبتك وإرادتك ، و لولا هدايته تعالى و عرفانه لو كان عقلاء العالم مجمعين على أن يهدوه لعجزوا .

هذا ، وفي حيوان الجاحظ أن طاعونا جارفاً جاء في البصرة على أهل دار فلم يشك أهل تلك المحلة أنه لم يبق فيها صغير ولا كبير ، وقد كان فيها صبي يرتضع ويحبو ، و لا يقوم على رجله ، فعمد من بقي من المطعونين من أهل تلك المحلة إلى باب تلك الدار فسدوه فلما كان بعد ذلك بأشهر تحول فيها بعض ورنه القوم . ففتح الباب فلما أفضى إلى عرصة الدار إذا هو بصبي يلعب مع إجراء كلبه قد كانت لأهل الدار فراعته ذلك فلم يلبث أن أقبلت كلبه فلما رآها الصبي حباً إليها فأمكنته من اطبائها فمصّها فظنوا أن الصبي لما بقي في الدار ، وصار منسياً واشتدّ جوعه ورآى إجراء الكلبة تستقي من اطبائها حباً إليها فعطفت عليه فلما سقته مرة أدامت ذلك له ، وأدام هو الطلب ، والذي ألهم هذا المولود مصّ إبهامه ساعة يولد ، ولم يعرف كيف الارتضاع هو الذي هداه إلى الارتضاع من اطباء الكلبة .

٣٢ ر ١٥٥ و من خطبة له عليه السلام : أمره قضاء و حكمة ، و رضاه أمان

وَرَحْمَةً، يَقْضِي بَعْلِي، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ. اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَيَّ مَا تَأْخُذُ وَ
تُعْطِي، وَعَلَيَّ مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي. حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَ أَحَبَّ
الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْدًا يَمَلَأ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ
حَمْدًا لَا يَجِبُ عَنْكَ، وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ، حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلَا يَفْنَى
مَدَدُهُ، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُكَ
سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظْرٌ، وَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ بَصَرٌ، أَدْرَكَتِ الْإِبْصَارَ، وَ
أَحْصَيْتِ الْأَعْمَارَ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ، وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ
وَنَعْجِبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَ نَصْفَهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَ
قَصَرَتْ إِبْصَارُنَا عَنْهُ، وَ انْتَهَتْ عَقُولُنَا دُونَهُ، وَ حَالَتْ سَتُورُ الْغَيْبِ بَيْنَنَا
وَ بَيْنَهُ أَعْظَمُ.

« أمره قضاء » لا مرد له « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون،^(١)
« وحكمة » ولولم يهتد إليها الأفهام . فقالت الملائكة في خلق آدم : « أتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون،^(٢)
وكم من أمر خفيت حكمته أو لا وظهرت أخيراً « فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم
إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »^(٣).

(١) يس ٨٣ .

(٢) البقرة ٣٢ .

(٣) البقرة ٣٣ .

« ورضاه » تعالى عن العبد .

« أمان » عن عذابه .

« ورحمة » منه تعالى .

« يقضى » بين عباده .

« بعلم » فيقضى حقاً .

« ويعفو » عمن يستحق العقوبة .

« بحلم » ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة » (١) .

« اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي » لأن كلاً منهما على حسب المصلحة ، وفي

الخبر قال موسى عليه السلام : رضيت بما قضيت تميت الكبير ، وتبقى الصغير فقال تعالى : أما

ترضى أن أكون لهم رازقاً وكفيلاً . قال : بلى يا رب فنعم الوكيل أنت و نعم الكفيل .

« و على ما تعافي و تبلى » لأن ابتلائه من الحكمة ، وفي الخبر : أوحى تعالى

إلى موسى عليه السلام ما خلقت خلقاً أحب إلي من عبدي المؤمن ، وإنما ابتليه لما هو خير

له ، وأنا أعلم بما يصلح أمر عبدي فليصبر على بلائي ، وليشكر نعمائي ، وليرض بقضائي

اكتبه في الصد يقين عندي ، وإذا كان أمره تعالى عن حكمة وقضاء بعلم وعفوه عن حلم

يجب حمده تعالى على كل فعل منه تعالى كما قال عليه السلام ، ولكن كثيراً من العامة

قالوا : إن له تعالى أن يفعل كل ما شاء لا من حيث الحكمة بل من حيث قدرته كالسبع

القوى . قال الغزالي : إن السبع يخاف لا بجناية سبقت إليه بل لصفته وبطشه وهيبته

ولأنه يفعل ما يفعل ولا يبالي فإن قتلك لم يرق قلبه ، وإن خلأك لم يخلك شفقة عليك ، و

إبقاء على روحك ، بل أنت أخس عنده من أن يلتفت إليك ، بل إهلاك ألف مثلك ، و

إهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة ، وإن لا يقدر ذلك في عالم سبعة ، وما هو موصوف

به من قدرته و سطوته - والله المثل الأعلى - ولكن من عرفه عرفه بالمشاهدة الباطنة

التي هي أقوى وأوثق من المشاهدة الظاهرة أنها صادق في قوله « هؤلاء إلى الجنة و

لأبالي و هؤلاء إلى النار ولا أبالي - إلخ - ، وما أجهل قوم يصفون إلههم هكذا . تعالى

عما يقولون علواً كبيراً .

« حمداً يكون أَرْضَى الحمد لك - إلى حمداً لا ينقطع عدده ، ولا يفنى مدده »
وفي دعاء تحميد الصحيفة : « حمداً نعمةً به في من حمده من خلقه ، و نسبى به من سبق
إلى رضاه و عفوهِ . حمداً يضيء لنا به ظلمات البرزخ ، ويسهل علينا به سبيل المبعث ، و
يشرف به منازلنا عند مواقف الأَشْهاد ، يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون
يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ، وهم لا ينصرون ، حمداً يرتفع منا إلى أعلى عليين في
كتاب مرقوم يشهده المقرَّبون ، حمداً تقرُّ به عيوننا إذا برقت الأبصار ، وتبيضُّ به وجوهنا
إذا أسودت الأبصار ، حمداً نعتق به من أليم نار الله إلى كريم جوار الله ، حمداً نزاحم به
ملائكته المقرَّبين ، و نضامٌ به أنبياء المرسلين ، في دار المقامة التي لا تزول ، و محل
كرامته التي لا تحول . »

أيضاً : « و الحمد لله بكل ما حمده به أدنى ملائكته إليه ، و أكرم خليقته عليه
و أرضى حامديه لديه ، حمداً يفضل سائر الحمد كفضل ربنا على جميع خلقه . ثم له الحمد
مكان كل نعمة له علينا ، وعلى جميع عباده الماضين و الباقين . »

فلسنا نعلم كنه عظمتك « قال السجَّاد عليه السلام : لو اجتمع أهل السماء والأرض على
أن يصفوا الله بعظمته ما قدروا . »

« إنا نعلم أنك حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم » كما وصف نفسه - عز وجل -
في قوله « الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم » ^(١) و سئل الرضا عليه السلام
عن أدنى المعرفة فقال : الإقرار بأنه لا إله غيره ، ولا شبه له ولا نظير ، وأنه قديم مثبت
موجود غير فقيد .

« لم ينته إليك نظر » من نبي أو ملك .

« ولم يدركك بصر » من جن أو إنس و النظر أعم من أن يكون بالبصر .

« أدركت الأبصار » لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف

الخبير ، ^(٢) .

« وأحصيت الأعمار » هكذا في المصرية ، والصواب : الأعمال كما في (حد ، و ثم) قال تعالى حكاية عن العباد يوم التناد « ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً » (١).

« وأخذت بالنواصي والأقدام » قال تعالى « ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم » (٢) واحتمل (خو) أن يكون كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ إشارة إلى قوله - عز وجل - « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام » (٣) وهو كما ترى .
« وما أَلَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ - إِلَى - وَحَالَتِ سَتُورٌ » هكذا في المصرية والصواب (سواتر) كما في (حد ، وثم ، والخطية) .

« الغيوب بيننا وبينه أعظم » وفي الخبر أن في السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله تعالى ، والماء إلى ركبهم - الخبر - .

٣٣ ر في ٣١ ٢ واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لا تنك
رسله ، ولرايت آثار ملكه وسلطانه ، وعرقت أفعاله و صفاته ، ولكنه
اله واحد كما وصف نفسه ، لا يضاذه في ملكه احد ، ولا يزول أبداً
ولم يزل ، اول قبل الأشياء بلا أولية ، وآخر بعد الأشياء بالانهاية
عظم عن أن تثبت ربه بيته باحاطة قلب أو بصر ، فإذا عرفت ذلك فافعل
كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره ، وقلة مقدراته ، وكثرة

(١) الكهف ٤٩ .

(٢) هود ٥٦ .

(٣) الرحمن ٤١ .

عَجَزِهِ ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ ، وَالْخَشْيَةِ مِنْ عِقَابِهِ
وَالشَّفَقَةِ مِنْ سَخَطِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنِ ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنِ قَبِيحٍ

قوله ﷺ «واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك - إلى - ولعرفت أفعاله وصفاته»
برهان عقلي على وحدة الصانع فكل رسول جاء من رب واحد ، فلو كان رب آخر
موجوداً لَأرسل أيضاً رسلاً ، وكل ما عرفنا من آثار الملك والسلطان لم نعرفها من غير
إله واحد فلو كان إله آخر لخلق سماواتاً آخر ، وأرضاً أخرى كما نرى لغير ملكنا ملوكاً
آخر لهم ممالك ، وكل ما عرفنا من أفعال الإله وصفاته لم نعرفها من غير خالق واحد .
فلو كان خالق آخر لعرفنا صفاته بأن صفاتي هكذا غير صفات ذاك الخالق ، مثلاً عرف
عبد الملك أخلاقه بأنه ليس كعثمان ، ولا كعماوية ، ولا كيزيد الثلاثة قبله من عشيرته .
والاستدلال بالبرهان العقلي على توحيدة تعالى في القرآن أيضاً كثير كقوله تعالى
« قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلاً سبحانه وتعالى
عماً يقولون علواً كبيراً » (١) وكقوله تعالى « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » (٢) ، وكقوله
تعالى « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم
على بعض سبحانه الله عما يصفون » (٣) وكقوله تعالى « قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون
من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات أم آتيناهم كتاباً فهم
على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً » (٤) وكقوله تعالى « أمن خلق
السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم
أن تنبتوا شجرها إله مع الله بل هم قوم يعدلون آمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها
أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون
لم تدخلها ولم تدركها ببصرك ، وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون .

(٢) الانبياء ٢٢ .

(٤) فاطر ٤٠ .

(١) الاسراء ٤٢ .

(٣) المؤمنون ٩١ .

أمن يجيب المضطرّ إذ ادعاه ويكشف سوء ويجعلكم خلفاء الأرض مع إله مع الله قليلاً ما تذكّرون آمن يهديكم في ظلمات البرّ والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته إله مع الله تعالى الله عما يشركون آمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض مع إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» (١).

«ولكنه إله واحد» بعد ثبوت عدم شريك له .

«كما وصف نفسه» في قوله «قل هو الله أحد» (٢) وقد عرفت البرهان على عدم إمكان تعدده ، ولما قال العباب بن المنذر يوم السقيفة لقريش : إن أبيتم فمنا أمير ومنكم أمير . قال عمر : هيئات لا يجتمع سيفان في غمد واحد ، وكان ابن عباس في وقعة الحرّة في الطائف فسأل عن أمير أهل المدينة ف قيل له : عبدالله بن مطيع على قریش ، وعبدالله بن حنظلة على الأنصار . فقال : أميران هلك القوم ، ولما خرج عبدالملك لقتال مصعب أغلق عمرو بن سعيد الأشدق باب دمشق فرجع عبدالملك ، وصالحه على كون عمر وخليفته وأن له مع كل عامل عاملاً وأن يكون بيده بيت المال ، ثم بعث إليه يوماً أحب أن أخلو بك لأشورك في أمور فلما وقع عنده أمر بأخذه فاخذ وأمرأخاه أن يقتله ، وخرج للصلاة فرجع ورأى أنه لم يقتله فشمته وأخذ الحربة بيده ، وقال له : لو علمت أنك تبقى ويصلح لي ملكي لفديتكم بدم الناظر ، ولكن قلما اجتمع فحلان في نود إلا عدا أحدهما على الآخر ، ورفع الحربة فقتله ، وقال المنصور لقتيبة بن مسلم : ما تقول في قتل أبي مسلم قال : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا . قال : حسبك يا أبا أمية .

«لا يصاده في ملكه أحد» كما يصاد ملوك الدنيا كثير كثيراً .

«ولا يزول أبداً ولم يزل» : أي أنه أبدى سرمدى .

«أول قبل الأشياء بلا أولية ، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية» «هو الأول والآخرة والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» (٣) .

«عظم عن أن تثبت ربوبيته بأحاطة قلب أو بصر» قال الجواد عليه السلام : أو هام القلوب أدق من ابصار العيون أنت قد تدرك بوهمك السند والهند ، والبلدان التي

(١) النمل ٦٠ - ٦٤ . (٢) الاخلاص ١ (٣) الحديد ٣ .

لم تدخلها ولم تدركها ببصرك و أوهام القلوب لا تدركه فكيف إبصار العيون .
 « فإذا عرفت ذلك » أنه إله واحد لا يضافه في ملكه أحد ، وأنه لا يزول و
 لم يزل ، وأنه أول قبل الأشياء بلا أولية له ، و آخر بعدها بلا نهاية له ، و ربوبيته
 أجل من أن يحيط به بصر أو قلب .

« فافعل كما ينبغي لمثلك » مسكين تقتله الشرقة ، و تؤلمه البقة ، و تنتنه العرقه
 مكنوم الأجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل .
 « أن يفعله في صغر خطره » : أي خسة قيمته .

« و قلة قدرته » فلم يقدر على عمل أمر صغير إذا لم يكن مقدراً .
 « و كثرة عجزه » في أموره ، ولو كان ملكاً .

ما كان ما يتمنى المرء يدركه ✽ تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن
 « و عظيم حاجته إلى ربه » آناً فآناً ، وفي دعاء الثمالي « لا الكذى أحسن استغنى
 عن عونك و رحمتك ، ولا الكذى أساء و اجترء عليك خرج عن قدرتك » .
 « في طلب طاعته » بتوفيقه .

« والخشية » هكذا في المصرية ، والصواب (والرهبه) كما في (حد ، و ثم ،
 والخطية) : أي الخوف .

« من عقوبته » فلا تقوم لها السماوات والأرض فكيف مثل الإنسان الضعيف .
 « والشفقة » : أي الخوف .

« من سخطه » : أي غضبه . فغضبه إهلاك من غضب عليه .
 « فإنه لم يأمرك إلا بحسن ، ولم ينهك إلا عن قبيح » فيجب عقلاً إطاعته في
 أوامره لكونها وفق صلاحه ، و في زواجره لترتب المفاسد عليها .

٣٣ ر ٢٥٠ ر ٣ و قال ﷺ : عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِسَخِّ الْعَزَائِمِ وَ

حل العقود .

أقول : قال (حد) : هذا فصل يتضمن كلاماً دقيقاً يذكره المتكلمون في الخاطر

الذى يخطر عن غير موجب لخطوره فإنه لا يجوز أن يكون الإنسان أخطره بباله وإلا لكان ترجيحاً من غير مرجح لجانب الوجود على جانب العدم فلا بد أن يكون المخطر له بالبال شيئاً خارجاً عن ذات الإنسان وذاك الشيء هو الشيء المسمى بصانع العالم .

يقال : إن عضد الدولة وقعت في يده قصة وهو يتصفح القصص فأمر بصلب صاحبها . ثم أتبع الخادم خادماً آخر يقول له : قل للمطهر - وكان وزيره - لا يصلبه ولكن اخرج من الحبس فاقطع يده اليمنى . ثم أتبعه خادماً ثالثاً فقال : قل له : بل يقطع أعصاب رجله . ثم أتبعه خادماً آخر فقال : قل له : ينقله إلى القلعة بسيراف في قيوده فيجعله هناك ، فاختلف دواعيه في ساعة واحدة .

قلت : والظاهر أن الخبر الذى روى عن النبي ﷺ : « ما من آدمى إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله » في معنى كلامه ﷺ : « عرفت الله بفسخ العزائم وحل العقود بأن يكون معناه أنه تعالى يتصرف في قلوب عبده كيف شاء بعزمها على أمر وعقدها له فيفسخها ويحلها ، وبالعكس كتصرف من أخذ خاتماً بين إصبعيه فيه ، ويشهد له قوله تعالى « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون » (١) والحديث القدسي « لا تقضوا أوقانكم بسب الملوك فإن قلوبها بيدي أجعلها رحيماً عليكم » و أما قول المصنف في مجازاته النبوية : إن معنى قلبه بين إصبعين من أصابع الله : هو أن الإصبع بمعنى النعمة ، والأثر الجميل كقول الراعي :

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجذب الناس إصبعا

أى ما من آدمى إلا وقلبه من الله سبحانه بين نعمتين حسنتين : إحداهما ما من الله عليه من معرفة خالقه ورازقه ، والأخرى ما امتن عليه من تحسين خلقه وتوسيع رزقه . فكما ترى فإن الموضوع في نعمتين اللتين قالهما نفس الإنسان لا قلبه فإن صح في الأولى جعل القلب موضوعاً بتكلف ففى الثانية غير صحيح مع أن الأولى غير صحيحة في نفسها فكم آدمى لم يرزق معرفة خالقه ورازقه بل هم أكثر من العارفين

بربهم مع أن الخبر تضمن أنه ما من آدمي إلا وهو كذا ، وأيضاً فرق بين قولهم :
 لفلان على إصبع ، وقولهم : أمرى بين إصبعيه . فالأول بمعنى أن له عندى نعمة ،
 وأما الثانى فبمعنى أمرى بيده ، ومثله الخبر ، وكيف كان ففى عيون ابن قتبية أتى
 رجل يزيد بن أبى مسلم برقعة يسأله أن يرفعها إلى الحجاج فنظر فيها يزيد فقال :
 ليست هذه من الحوائج التى ترفع إلى الأمير ، فقال الرجل : فإنتى أسألك أن ترفعها
 فلعلها توافق قدراً فيقضئها وهو كاره . فادخلها وأخبره بمقالته . فنظر فى الرقعة ، وقال له
 قل للرجل : إنتها وافقت قدراً ، وقد قضئناها ، ونحن له كارهون .

و فى أغانى أبى الفرج . قال أحمد بن أبى خالد : حدثنى أبى قال : كنت أكلّم
 بشّار الشاعر وأرد عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد فكان يقول : لأعرف إلا ما
 عاينته أو عاينت مثله ، وكان الكلام يطول بيننا . فقال لى يوماً : ما أظن الأمر يا أبا خالد
 إلا كما تقول ، وأن الذى نحن فيه خذلان ، و لذلك أقول :

طبعت على ما فى غير مخير	☆	هواى ولو خيرت كنت المهذباً
أريد فلا اعطى و اعطى فلم أرد	☆	وقصر علمى أن أنال المغيباً
فاصرف عن قصدى و علمى مقصر	☆	وأمسى وما أعقب إلا التعجباً

٣٥ ر ٣٥١ ر ٣ و قال **الفرج** : **عند تناهى الشدة تكون الفرجة** ،

و عند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء .

هو أحد الشواهد والأدلة أيضاً على وجود البارى تعالى . فالفرج والرخاء للشخص
 لئلا يهلك كدفع الآفات عن العالم لئلا يفنى دليل على وجود صانع حكيم رؤوف رحيم ،
 وضع للإنسان شدة كما للعالم آفة حكمة ، ويرفعهما بعد حين رافة ورحمة ، وقد صنّف
 فى حكايات من فرّج عنهم بعد غاية الشدة كتب ومنها كتاب لأبى الحسن المدائنى ،
 وكتاب لحسين بن سعد الدهستانى ، وكتاب لابن أبى الدنيا البغدادى ، وكتاب لمحسن
 ابن على التنوخى .

وفي تاريخ بغداد في [يعقوب بن داود السلمى] الذي استوزره المهدي ثم غضب عليه لاطلاقه علوياً أمره بقتله فحبسه في المطبق ، قال يعقوب : حبسني المهدي في بئر وبنيت على قبة ، فمكثت فيها خمس عشرة حجة حتى مضى صدر من خلافة الرشيد ، وكان يدلي إلي في كل يوم رغيف و كوز من ماء ، و أوزن بأوقات الصلوات فلما كان في رأس ثلاث عشرة حجة أتاني آت في منامي . فقال :

حنا على يوسف رب فأخرجه * من قعر جب و بيت حوله غمم
فحمدت الله و قلت : أتى الفرج فمكثت حولاً لأرى شيئاً . ثم أتاني ذلك الآتى
بعد حول . فقال :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون ورائه فرج قريب
فيأمن خائف و يفك . عان * و يأتى أهله النائي الغريب
فلما أصبحت نوديت فظننت أنى أوزن بالصلوة فدلى لى جبل أسود و قيل لى :
أشدد به وسطك ففعلت فأخرجونى فلما قابلت الضوء غشى بصرى . فانطلقوا بى فأدخلونى
على الرشيد . إلى أن قال : فقال لى الرشيد : والله ما شفيع فيك أحد غير أنى حملت
الليلة صبية لى على عنقى فذكرت حملك إيتاى على عنقك فرثيت لك ، و فى المعجم أنشد
إبراهيم الصولى :

ربما تجزع النفوس من الأمر * له فرجة كحل العقال
فقال :

و لرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت و كنت أظنّها لاتفرج

٣٤ ر ٨٠ و من خطبة له **عجيبه** : **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ**

وَدَنَا بِطَوْلِهِ ، مَانِحٌ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَ فَضْلٍ ، وَ كَاشِفٌ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَ أَزَلٍ ،
أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ ، وَ سَوَابِغِ نِعَمِهِ ، وَ أَوْمِنُ بِهِ أَوَّلًا بِأَدْيَا

وَ اسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا ، وَ اسْتَعِينَهُ قَاهِرًا قَادِرًا وَ اتَوَكَّلْ عَلَيْهِ
كَافِيًا نَاصِرًا .

أقول : وروى أمالي الشيخ مسنداً عن ابن عباس . قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال : « الحمد لله الذي لا يحويه مكان ، ولا يحده زمان ، علا بطوله ، و دنا بحوله ، سائق كل غنيمة وفضل ، و كاشف كل عزيمة و أزل ، أحمده على جود كرمه ، و سبوغ نعمه ، و أستعينه على بلوغ رضاه ، و الرضا بما قضاه ، و أو من به إيمانا ، و أتوكل عليه إيقانا ، و أشهد أن لا إله إلا الله ، رفع السماء فبناها ، و سطح الأرض فطحها ، و أخرج منها ماء ها و مرعاها ، و الجبال أرساها ، لا يؤده خلق ، و هو العلي العظيم .

قول المصنّف : و من خطبة له عجيبة . هكذا في المصرية و لكن في (حد) و من خطبة له عليه السلام و تسمى الغراء و هو من الخطب العجيبة ، و في (ثم) و من خطبة له عليه السلام من الخطب العجيبة و تسمى الغراء ، و في خطبة مصحّحة تاريخها سنة - ١٠٧٥ - و من خطبة له عليه السلام عجيبة تسمى الغراء ، و هذا الاختلاف عجيب ، و لعل في النسخ تصحيفاً ، و كيف كان فمن اتفاق الثلاثة على فقرة (و تسمى الغراء) يعلم سقوطها من المصرية إلا أن قول المصنّف في آخر الخطبة : و من الناس من يسمي هذه الخطبة الغراء لا يناسب ثبوتها ، و لعله نسي قوله في الأوّل ، و كيف كان فقال (حد) بعد ذكر نكات في ألفاظ العنوان و معانيها : و هذه اللطائف و الدقائق من معجزاته عليه السلام .

« الحمد لله الذي علا بحوله » : أي بقوته . قال (ثم) : أثنى عليه السلام على الله تعالى باعتبارات أربعة من نعوت جلاله : الأوّل كونه علياً ، و إذ ليس المراد به العلو المكناني لتقدّمه عن الجسميّة . فالمراد العلو المعقول له باعتبار كونه مبدء كل موجود ، و مرجعه فهو العلي المطلق الذي لا أعلى منه في وجود و كمال رتبة و شرف ، و لما كان ذلك اعتباراً يلحقه بالقياس إلى كل موجود صدر عن قدرته و قوته لا جرم جعل للحوقه له مبدء هو حوله .

« و دنا بطوله » : أى بمنته قال (ثم) : لما ليس معنى الدنو و القرب في جهته تعالى مكانياً كان دنوه اعتباراً تجده عقولنا له تعالى من قرب إفاضة نعمه على قوابلها ، و قربه من إِبصار البصائر في صورة كلِّ نعمة منها ، ولذلك جعل طوله مبدء لدنوه .
« مانح » : أى معطى .

« كلِّ غنيمة » « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة » (١) .
« و فضل » « و يؤت كلِّ نى فضل فضله » (٢) .

« و كاشف كلِّ بلية و أزل » : أى ضيق . قال (ثم) (مانح) و (كاشف) إشارة إلى أن كلِّ نعمة صدرت عنه تعالى على قابلها فمبديته جوده و رحمته سواء كانت وجودية كالصحة و المال و العقل و غيرها ، أو عدمية كرفع البأساء و الضراء ، و إليه الإشارة بقوله تعالى « وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون » (٣) وقوله تعالى « آمن يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف سوء و يجعلكم خلفاء الأرض » (٤) .

قلت : و كلامه ﷺ من الأول إلى هنا في ثنائه عليه تعالى باعتبارات بيئتها ﷺ من حوله تعالى و طوله . وما نحيته و كاشفيته نظير قوله تعالى « سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى و الذى قدر فهدى و الذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » (٥) فأمر تعالى بوجود تسميحه و الثناء عليه باعتبارات بيئتها من خلقه فتسويته ، و تقديره فهدايته ، و إخراجه المرعى - إلخ - ،

« أحمده على عواطف » من إضافة الصفة .

(١) النساء ٩٤

(٢) هود ٣

(٣) النحل ٥٣

(٤) النمل ٦٢

(٥) الأعلى ١ - ٥

« كرمه » مفرد بمعنى الجمع .

« و سوابغ » : أى كوامل .

« نعمه » « وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة »^(١) قال (ثم) قوله ﷺ : أحمدته - إلخ - تنبيهه للسامعين على مبدء استحقاقه لأُتْحَاءُ الْحَمْدِ ، وهو كرمه قال بعض الفضلاء الكريم هو الذى إذا قدر عفا ، وإذا وعد وفا ، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ، ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى ، وإن رفعت إلى غيره حاجة لا يرضى ، وإذا جنى عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذبه والتجى ، و يغنيه عن الوسائل والشفعاء . فمن اجتمعت فيه هذه الاعتبارات حقيقة من غير تكلف فهو الكريم المطلق ، وليس ذلك إلا الله تعالى ، و الأجمع الأ منع في رسم هذا الاعتبار أنه يعود إلى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على كل من يقدر أن يقبله بقدر ما يقبله ، وعواطف كرمه : هى نعمه وآثاره الخيرية التى تعود على عباده مرة بعد أخرى ، و سوابغ نعمه التى لا تصور فيها عن قبول قابلها .

« و أو من به أو لا بادياً » : أى ظاهراً . أو لا بادياً حالان من الضمير في (به) كقوله ﷺ بعد : قريباً هادياً ، و قاهراً قادراً ، و كافياً ناصراً ، والكل للثبوت كقوله تعالى « قائماً بالقسط »^(٢) بمعنى أنه يجب الايمان به تعالى لكونه أو لا و مبدء لجميع الأشياء ، و لكونه تعالى ظاهراً جلياً بآثاره ، و خلائقه عند جميع العقلاء ، و أمّا قول (حد) : أو لا منصوب على الظرفية كأنه قال : قبل كل شيء . فبلا معنى فأى شيء يقول في قوله ﷺ : بادياً ، والظاهر أنه جعله ظرفاً لقول الصحاح . تقول : ما رأيتك مذعام أو ل ، و مذعام أو ل . فمن رفع الأو ل جعله صفة لعام كأنه قال : أو ل من عامنا و من نصب جعله كالظرف كأنه قال : مذعام قبل عامنا .

« و أستهديه قريباً هادياً » و الاستهداء من البعيد ولو كان هادياً أو القريب غير

(١) لقمان ٢٠

(٢) آل عمران ١٨

الهادى بلا ثمر ، ولا يجمعهما حقيقة غيره تعالى فيجب الاستهداء منه .

« وأستعينه قادراً قاهراً » هكذا في المصرية ، والصواب : وأستعينه قاهراً قادراً كما في (حد ، وثم ، وخو ، والخطية) قال (ثم) : استعانته طلب المعونة منه على ما ينبغي من طاعته ، وسلوك سبيله ، والقاهر : هو الذى لا يجرى في ملكه بخلاف حكمه بل كل موجود مسخّر تحت حكمه وقدرته ؛ وحصير في قبضته ، و(القادر) هو الذى إذا شاء فعل وإذا لم يشأ لم يفعل ، و ظاهر أنه باعتبار هذين الوصفين مبدء للاستعانة به .

« وأتوكل عليه كافيّاً ناصراً » قال (ثم) : التوكل يعود إلى اعتماد الإنسان في ما يرجو ، ويخاف على غيره ، و(الكافي) اعتبار كونه معطياً لكل قابل من خلقه ما يكفى استحقاقه من منفعة ، ودفع مضرة ، و(الناصر) هو اعتبار إعطائه النصر لعباده على أعدائهم بإفاضة هدايته وقوته ، و ظاهر أنه تعالى باعتبار هذين الوصفين مبدء لتوكل عباده عليه ، وإلقاء مقاليد أمورهم إليه .

قلت : و لذا قال نوح عليه السلام لقومه « يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم أقضوا إلىّ ولا تنظرون) (١) و مثله قال الحسين عليه السلام يوم الطف لأهل الكوفة كما رواه أبو مخنف .

٣٧ ر ١٣ ر ٣ و قال عليه السلام مَنْ ضَيَعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ : « أَى قَدْرٌ لَهُ

الْأَبْعَدُ .

أقول : هو أيضاً أحد آيات الله تعالى فمن ضيعه الأقرب لولم يقدر له الأبعد لهلك ، و نرى أن كثيراً من المزمنين الذين يتبرء منهم أقاربهم ، و يدعونهم يقدر الله لهم من يخدمهم من الأبعد كما أن موسى عليه السلام لما ألقته أمّه في اليم أخذته عدوة ورباه .

٣٨ ر ٨٤ ر ٣ وقال عليه السلام بَقِيَّةُ السِّيفِ أَبْقَى عَدَدًا وَ أَكْثَرُ وِلْدَانًا .

أقول : الأصل في العنوان أن الحُضَيْن بن المنذر كتب إليه عليه السلام - كما في العقد - أن السيف أكثر في ربيعة . فوقع عليه السلام في جوابه : بقية السيف أنمي عدداً وأكثر ولدأ ، وفي بيان الجاحظ قال علي - كرم الله وجهه - : بقية السيف أنمي عدداً وأكثر ولدأ ، و وجد الناس ذلك بالعيان للذي صار إليه ولده من نهك السيف ، وكثرة الذرة وكرم النجل ، وقال (حد) : قال الجاحظ : ليت علي عليه السلام لما ذكر الحكم ذكر العلة ، قال الجاحظ : و وجدنا مصداق ذلك في أولاده ، وأولاد الزبير ، و بنى المهلب . قلت : أما العلة فالعناية الإلهية بجبران من وقع عليه ظلم فمضر حيث كان فيهم السلطنة ، و كانوا أعداء ربيعة فأكثروا من إفنائهم . ثم الذي وجدت في كتاب الجاحظ الاقتصار على ولده ، و أمآ جمعه معهم واد الزبير وولد المهلب كما نقل ففى غير محله حيث إن الزبير إنما قتل جمع من ولده أيام نهوض عبد الملك فقط فقتل مع عبدالله بن الزبير إبناه الزبير و عروة ، وأخوه المنذر ، وابن أخيه عمرو بن عروة ، و قتل مع مصعب أخيه ابنه عيسى كما أن المهلب قتل جمع من ولده أيام خرج يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك .

وأما ولده عليه السلام فكان القتل فيهم في كل زمان في مدة سلطنة بنى أمية ، وسلطنة بنى العباس سوى وقعة الطف التي أرادوا فيها استيصالهم حتى قتلوا رضيهم و أرادوا قتل عليهم حتى صنتف في مقاتلهم كتب كثيرة بالخصوص ، ومنها مقاتل الطالبين لأبى - الفرج الاصبهاني الأموى ، و مع ذلك ولده عليه السلام أكثر من جميع طوائف قريش حتى مع العباسيين مع بنى هاشم ، وقد كانوا كثروا أيام سلطنتهم ، و قد كان المأمون أمر باحصائهم لما أراد جعل علي بن موسى الرضا عليه السلام ولي عهده فكانوا ثلاثة و ثلاثين ألفاً صغيراً و كبيراً . فقال المأمون للناس : إنه نظر في ولد العباس و ولد علي عليه السلام فلم يجد في وقته أحداً أفضل و أحق بالأمر من علي بن موسى عليه السلام نقل ذلك الطبرى والمسعودى بل لأمعروف من جميع قريش منذ قرون ، وفي كل قرن كل صقع مشحون

من ولده عليه السلام ، وذلك من آيات الله الخاصة فيه عليه السلام .

قال محمد بن محمد بن النعمان في إرشاده ، و من آيات الله تعالى فيه عليه السلام أنه لم يمن أحد في ولده و ذريته بمثل ما منى عليه السلام في ذريته ، و ذلك أنه لم يعرف خوف شمل جماعة من ولد نبي ، ولا إمام ، ولا ملك زمان ، ولا بر ولا فاجر كالخوف الذي شمل ذرية أمير المؤمنين عليه السلام ، ولاحق أحداً من القتل و الطرد عن الديار والأوطان و الإخافة و الأرهاب ما لحق ذريته عليه السلام وولده ، ولم يجرعلى طائفة من الناس من ضروب النكال ما جرى عليهم من ذلك . فقتلوا بالفتك و الغيلة و الاحتيال ، و بنى على كثير منهم ، و هم أحياء البنيان ، و عذبوا بالجوع و العطش حتى ذهب أنفُسهم على الهلاك ، و أحوجهم ذلك إلى التمزق في البلاد ، و مفارقة الديار و الأهل و الأوطان ، و كتمان نسبهم عن أكثر الناس ، و بلغ بهم الخوف إلى الاستخفاء عن أحبائهم فضلاً عن الأعداء ، و بلغ هر بهم من أوطانهم إلى أقصى الشرق و الغرب ، و المواضع النائية عن العماره ، و زهد في معرفتهم أكثر الناس ، و رغبوا عن تفريرهم ، و الاختلاط بهم مخافة على أنفسهم و ذراريتهم من جبايرة الزمان ، و هذه كلها أسباب تقتضى انقطاع نظامهم و اجتناب أصولهم ، و قلة عددهم ، و هم مع ما وصفناه أكثر من ذراري كل أحد من الأنبياء و الصالحين و الأولياء بل أكثر من ذراري كل أحد من الناس فقد طبقوا بكثرتهم البلاد ، و غلبوا في الكثرة على ذراري أكثر العباد .

هذا . مع اختصاص مناكحهم في أنفسهم دون البعداء ، و حصرها في ذوى أنسابهم من الأقرباء ، و في ذلك خرق للعادة ، و هو دليل الآيه الباهرة في أمير المؤمنين عليه السلام . قلت : و كثرة أولاد أمير المؤمنين عليه السلام مع قتلهم و حبسهم و طردهم في كل زمان و مكان شاهدة لتصديق وعد الله تعالى نبيه عليه السلام الكوثر . كما أن انقراض جماهير قريش الشائنين للنبي عليه السلام و أهل بيته عليه السلام دليل لتصديق وعيد الله تعالى شائنه عليه السلام لكونه أبتى بالخصوص مضافاً إلى وعيده تعالى الظالمين عموماً بقطع دابرهم في قوله تعالى « فقطع دابر القوم الذين ظلموا و الحمد لله رب العالمين » (١) و مما يشهد لقوله

ﷺ في كون بقية السيف أكثر عدداً عناية منه تعالى ببقاء النوع الإنساني في غير الظالمين أن بعد حرب العمومي الواقع في عصرنا في أوروبا كانت النساء كما قالوا لم يلدن غير البنين لفناء رجال كثيرين منهم .

٣٩ ر ١٣٩ ر ٣ و قال ﷺ : تَنْزِلُ الْمَعُونَةُ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ .

أقول : هو أيضاً أحد الأدلة على وجود الخالق الرازق ، و ذلك أمر مشاهد بالعيان . فالإنسان إذا كان وحده يكون رزقه بقدره نوعاً ، وإذا صار ذا زوجة يزداد في رزقه بقدرها ، وإذا صار ذا أولاد يزداد في رزقه بقدرهم بمعنى أنه لا يمكن أن يرزق أقل ، و إلا فقد يرزق من وحده بقدر مؤونة عدة .

و المراد ما إذا تعرض للرزق أو لم يكن له حيلة ؛ و إلا ففى الخبر : من جلس في بيته و دعا للرزق مع تمكّنه يكون ممن لا يستجاب لهم . قال (حد) كان على بعض المؤسرين رسوم لجماعة من الفقراء يدفعها إليهم كل سنة فاستكثرها فأمر بقطعها . فرآى في المنام كأن له أموالاً كثيرة في داره تصعدا أقوام من الأرض إلى السماء و هو يجزع من ذلك و يقول : يارب رزقى رزقى فقيل : إنما رزقناك هذه لتصرفها في ما كنت تصرفها فيه . فاذ قطعت ذلك رفعناها منك ، وجعلناها لغيرك . فلما أصبح أمر كاتبه بإعادة الرسوم .

قالت : و في تاريخ بغداد أن الواقدي كتب رقعة إلى المأمون يذكر فيها غلبة الدين وغمته بذلك . فوقع المأمون على ظهرها : فيك خلّتان : السخاء والحياء . فأما السخاء فهو الذي أطلق ما ملكت ، و أما الحياء فهو الذي منعتك من اطلاعنا على ما أنت عليه و قد أمرنا بكذا و كذا . فإن كنتنا أصبنا إرادتك في بسط يدك فإن خزائن الله مفتوحة و أنت كنت حدّ تننى و أنت على قضاء الرشيد عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس أن النبي ﷺ قال للزبير : إن باب الرزق مفتوح بباب العرش ينزل الله على العباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم . فمن قلل قلل له ، و من كثر كثر له . قال الواقدي : و كنت قد أنسيت هذا الحديث فكان تذكرته إيّاي أحبّ إليّ من جائزته . قال الراوى

بلغني أن الجائزة كانت مائة ألف درهم - فكان الحديث أحب إليه من مائة ألف .

٤٠ ر ١٤٤ ر ٣ وقال عليه السلام : **يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ ، وَ**

مَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجْرُهُ .

« ينزل الصبر على قدر المصيبة » نزول الصبر على قدر المصيبة أيضاً هو أحد آياته تعالى وحكمه و الطافه على عبده كنزول المعونة عليهم على قدر مؤوتهم ، و في توحيد المفضل - بعد ذكر نعمة الحافظة ، وأنه لولاها لاختل حال الناس - وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان فإنه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة ، ولا انقضت له حسرة ، ولا مات له حقد ، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات ، ولارجاء غفلة من سلطان ، ولا فترة من حاسد أفلاترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان و هما مختلفان متضادان ، وجعل له في كل منهما ضرب من المصلحة و ما عسى أن يقول الذين قسّموا الأشياء بين خالقين متضادين في هذه الأشياء المتضادة المتباينة ، و قد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة ، و روى الكافي عن الصادق عليه السلام أيضاً إذا مات الميت بعث الله تعالى ملكاً إلى أوجع أهله فمسح على قلبه فأنساه لوعة الحزن ، ولولا ذلك لم تعمر الدنيا .

و عنه عليه السلام أيضاً إن الله - تبارك و تعالى - تطوّل على عباده بثلاث: ألقى عليهم الريح بعد الروح ، ولولا ذلك ما دفن حميم حميماً ، و ألقى عليهم السلوة ، ولولا ذلك لا نقطع النسل ، و ألقى على هذه الحبة الدابة ، و لولا ذلك لكنزها ملوكهم كما يكنزون الذهب والفضة .

« و من ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط أجره » و في المصيبة بدل (أجره) (عمله) و هو تصحيف ، و كيف كان روى الفقرة تحف العقول عنه عليه السلام ، و لكن رواه الكافي عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله ولا غرو فإن النبي الوصي - صلوات الله عليهما و على آلهما - كانا كنفس واحدة ، و موجيبته للحبط لكشفه عن عدم رضاء العبد

بقضاء ربه فلا بد أن يحبط أجره .

٤١ ر ٣ و قال عليه السلام : تَذَلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ

الْحَتْفُ فِي التَّدْبِيرِ .

٣٥٩ ر ٣ و قال عليه السلام : يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ حَتَّى تَكُونَ الْأَفَةُ

فِي التَّدْبِيرِ .

وقد مضى هذا المعنى في ما تقدم برواية تخالف بعض هذه

الالفاظ .

أقول : و حكاها الجهشيارى في وزرائه بلفظ آخر فقال : دخل يحيى البرمكى على الرشيد لما ابتدعت حاله في الفساد وهو خال فرجع فعرف خبره . فقال لبعض الخدم : الحق يحيى و قل له : خنتنى فاتهمتنى ، فابلغه الرسول فقال له : قل للرشيد : إذا انقضت المدّة كان الحتف في الحيلة . والله ما انصرفت عن خلوتك إلا تخفيفاً عنك . قال وهذا كلام لعلي بن أبي طالب - كرم الله مثواه - إذا انقضت المدّة كان الهلاك في العدة قال : و سرق هذا المعنى ابن الرومي . فقال :

غلط الطبيب على غلطة مورد عجزت محالته عن الأصدار
والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة المقدار

ورواه إرشاد المفيد مع الأصل فيه ، وأن أصل المعنى ليزدجرد آخر ملوك فارس فقال : سأل أمير المؤمنين عليه السلام شاهزنان بنت كسرى حين أسرت ما حفظت عن أبيك بعد وقعة الفيل ؟ قالت : كان يقول « إذا غلب الله على أمر ذكّ المطامع دونه ، و إذا انقضت المدّة كان الحتف في الحيلة » فقال عليه السلام . لها : ما أحسن ما قال أبوك « تذلّ الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير » و ممّا يشهد للمعنى ما في عيون القتيبي : أن أبا مسلم لما قدم المدائن في اليوم الذي قتل فيه جعل يضرب بالسوط معرفة برزونه

ويقول بالفارسيّة كلاماً معناه « ما يغني المعرفة إذا لم يقدر على دفع المحتوم . ثمّ قال :
 جارة ذيلها تدعو يا ويلها بدجلة أو حولها كأننا بعد ساعة قد صرنا في دجلة » .
 وما في الطبري قال أبو مسلم لنيزك : إنني ما رأيت طويلاً أعقل منك فما ترى في
 اتباني المنصور . فقال : لا أرى أن تأتيه و أرى أن تأتي الري فتقيم بها فيصير ما بين
 خراسان و الري لك وهم جندك ما يخالفك أحد . إلى أن قال : فقال أبو مسلم : رأيت
 أن أوجه أبا اسحاق إلى المنصور فيأتيني برأيه فإنه ممن أثق به فوجهه فلما قدم
 تلقاه بنو هاشم بكل ما يحب وقال له المنصور : اصرفه عن وجهه و لك ولاية خراسان
 و أجازته فرجع أبو اسحاق إلى أبي مسلم ، و قال له : ما أنكرت شيئاً رأيتهم معظّمين
 لحقّك . إلى أن قال : فقال له : نيزك : قد اجتمعت على الرجوع إليه قال : نعم ، و
 تمثّل :

ما للرجال مع القضاء محالة ❦ ذهب القضاء بعيلة الأقسام

ويشهد له ما في المروج : ذكر المدائني أن مروان بن محمد حين نزل على الزاب
 جرّد من رجاله من اختاره من سائر جيشه من أهل الشام و الجزيرة و غيرهم مائة ألف
 فارس فلما كان يوم الواقعة و أشرف عبد الله بن عليّ في المسودة ، و في أوائلهم البنود
 السود يحملها الرجال على الجمال البخت ، و قد جعلت أفتابها من خشب الصفصاف و
 الغرب . قال مروان لمن قرب منه : أما ترون رماحهم كأنهم النخل غلظاً أما ترون إلى
 أعلامهم فوق هذه الأبل كأنها قطع من الغمام سود . فبينما هو كذلك إذ طار من أترجة
 هناك قطعة من الغرايب سود فاجتمعت على أوّل رايات عبد الله بن عليّ و اتصل
 سوادها بسواد تلك الرايات و البنود و مروان ينظر إلى ذلك و يتعجب . فقال : أما ترون
 السواد قد اتصل بالسواد . ثمّ نظر إلى أصحابه المحاربين ، و قد استشعروا الجزع و الفشل
 فقال : إننا لعدّة و ما تنفع العدّة إذا انقضت المدّة .

وما في الطبري كان مروان لما لقيه أهل خراسان لا يدبّر شيئاً إلا كان فيه الخلل
 و الفساد كان يوم انهزم واقفاً و الناس يقتتلون إذ أمر بالأموال فاخرجت فقال للناس :

اصبروا وقتلوا فهذه الأموال لكم. فجعل ناس يصيبون من ذلك المال فأرسلوا إليه أن الناس قد مالوا على هذا المال ولا تأمنهم أن يذهبوا به فأرسل إلى ابنه عبدالله أن سر في أصحابك إلى مؤخر عسكرك فاقتل من أخذ من ذلك المال. فمال عبدالله برايته وأصحابه فقال الناس: الهزيمة فانهزموا .

وفي أذكىء ابن الجوزى (باب في من احتال فانعكس عليه مقصوده) ونقل أموراً ومنها عن علي بن المحسن عن أبيه قال : حدثنا جماعة من أهل جند سابور وفيهم كتاب و تجار وغير ذلك أنه كان عندهم في سنة نيف و أربعين و ثلاثمائة شاب من كتاب النصرى وهو ابن أبى الطيب القلانسي فخرج إلى بعض شأنه في الرستاق فأخذته الأكراد و عذبوه و طالبوه أن يشتري نفسه منهم ، و كتب إلى أهله انفذوا إلى أربعة دراهم أفيون و اعلموا أنني أشربها فتلحقنى سكتة فلا تشك الأكراد إنني مت فيحملوني إليكم فإذا حصلت عندكم فادخلوني الحمام واضربوني ليحمى بدنى و سوكونى باليارج فإذا نسي أفيق و كان سمع أن من شرب أفيونا اسكت فإذا ادخل الحمام و ضرب و سوك باليارج برء فلم يعلم مقداراً لشربه فشرب أربعة دراهم فلم يشك الأكراد في موته فلفوه في شىء و انفذوه إلى أهله فلما حصل عندهم أدخلوه الحمام و ضربوه و سوكوه فما تحرك و أقام في الحمام أياماً و رآه أهل الطب فقالوا : قد تلفكم شرب قالوا: أربعة دراهم فقالوا : هذا لوشوى في جهنم ما عاش إنمما يجوز أن يفعل هذا بمن شرب أربعة دوانيق أو وزن درهم أو حواليه . فأما هذا فقد مات فلم يقبل أهله ذلك فتركوه في الحمام حتى أراح و تغير فدفنوه و انعكست الحيلة عليه .

و منها روى أن بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعري كان في حبس الحججاج و كان يعذبه ، و كان كل من مات في الحبس رفع خبره إلى الحججاج فيأمر باخراجه و تسليمه إلى أهله . فقال بلال للسجان : خذ منى عشرة آلاف درهم وأخرج اسمى إلى الحججاج في الموتى فإذا أمرك بتسليمى إلى أهلى هربت في الأرض فلم يعرف الحججاج خبرى وإن شئت أن تهرب معى فعلت و على غناك أبدأ فأخذ السجان المال و رفع اسمه

في الموتى . فقال الحججاج مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه هاته فعاد إلى بلال . فقال : اعهده . قال : وما الخبر؟ قال : إن الحججاج قال كيت و كيت فإن لم أحضرك إليه ميتاً قتلني وعلم أنني أردت الحيلة عليه ، ولا بد أن أقتلك خنقاً فبكى بلال و سأله أن لا يفعل فلم يكن إلى ذلك طريق فأوصى فأخذ السجان و خنقه وأخرجه إلى الحججاج فلما رآه ميتاً قال سلمه إلى أهله فاخذوه ، وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم وجعلت الحيلة عليه .

ثم معلوم بعد جمعنا بين العنوانين أن قول المصنف في الثاني (وقد مضى هذا المعنى) إشارة إلى ذكره في الأول باختلاف في بعض ألفاظه .

٣٧٤٢ وقال **عَجِبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ**

وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ ، وَيَتَنَفَّسُ فِي خَرْمٍ .

أقول : وكذا يجب أن يتعجب من محالها ، ومن طعوم فيها . أما الأول ففي توحيد المفضل : انظر إلى هذه الحواس التي خص بها الإنسان في خلقه ، و شرف بها على غيره كيف جعلت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكن من مطالعة الأشياء ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهن كاليدين والرجلين فتعرضها الآفات و تصيبها من مباشرة العمل و الحركة ما يعللها و يؤثر فيها و ينقص منها ولا في الأعضاء التي وسط البدن كالبطن و الظهر فيعسر تقلبها واطلاعها نحو الأشياء فلما لم يكن في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواس ، وهو بمنزلة الصومعة لها فجعل الحواس خمساً تلقى خمساً لكيلا يفوتها شيء من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصريدركها لم تكن فيها منفعة ، وخلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها إرب ، وكذلك سائر الحواس .

و أما الثاني فروى أبو نعيم في حليته عن عمرو بن جميع قال : دخلت على جعفر بن محمد أنا و ابن أبي ليلى و أبو حنيفة . فقال لابن أبي ليلى : من هذا معك؟ قال : هذا

رجل له بصر ونفاز في أمر الدين . قال : لعله يقيس الدين برأيه . قال : نعم : فقال جعفر لأبي حنيفة : ما اسمك ؟ قال : نعمان . قال : يا نعمان هل قست رأسك بعد ؟ قال : كيف أقيس رأسي . قال : ما أراك تحسن شيئاً هل علمت ما الملاححة في العينين والمرارة في الأذنين ، والحرارة في المنخرين ، والعذوبة في الشفتين ؟ قال : لا . قال : ما أراك تحسن شيئاً . إلى أن قال : فقال ابن أبي ليلى يا ابن رسول الله أخبرنا بهذه الأشياء التي سألتك عنها . فقال : أخبرني أبي عن جدي أن النبي ﷺ قال : إن الله تعالى بمنته وفضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين لأنهما شحمتان ، ولولا ذلك لذابتا ، وإن الله تعالى بمنته وفضله ورحمته على ابن آدم جعل المرارة في الأذنين حجاًباً من الدواب فإن دخلت دابة الرأس والتمست إلى الدماغ فإذا ذقت المرارة التمست الخروج ، وإن الله تعالى بمنته وفضله ورحمته على ابن آدم جعل الحرارة في المنخرين يستنشق بها الريح ولولا ذلك لانتن الدماغ ، وإن الله تعالى بمنته وكرمه ورحمته لابن آدم جعل العذوبة في الشفتين يجد بها استطعام كل شيء - الخبر - .

« اعجبوا لهذا الانسان » قال (ثم) نبه ﷺ على لطف خلق الإنسان ببعض أسرار حكمة الله تعالى فيه و غايته من ذلك الاستدلال على حكمة صانعه ومبدعه ، و ذكر أربعة من محال النظر والاعتبار ؛ وهي آلة البصر والكلام والسمع والتنفس ، و خصها بالذكر لكونها مع ضعفها ضرورية في وجود الإنسان على شرفه و علو رتبته في المخلوقات ، و لا يقوم إلا بها ليكون ذلك محل التعجب و اعتبار لطف الصانع الحكيم .

« ينظر بشحم » قال (ثم) أراد بالشحم الذي ينظر به الرطوبة المسماة في عرف الأطباء بالبيضة أو الرطوبة الجليدية فإن العين مركبة من سبع طبقات و ثلاث رطوبات كل منها يختص في عرفهم باسم .

و قال (حد) : قيل : إن الابصار بخروج شعاع من العين يتصل بالمرئي ، وقيل : إن القوة المبصرة التي في العين تلاقى بذاتها المرئيات فتبصرها ، وقال قوم : بتكيف الهواء بالشعاع البصري من غير خروج ، و قال محققو الحكماء : بانطباع أشباح المرئيات

في الرطوبة الجليدية كما تنطبع الصورة في المرآة .

قلت : و يصدق الأخير أخبارهم عليهم السلام فورد أن الديصاني قال لهشام بن الحكم : أيقدر ربك إذا كان قادراً أن يدخل الدنيا كلها في البيضة لا يكبر البيضة ولا يصغر الدنيا . فراجع هشام في ذلك إلى الصادق عليه السلام فقال عليه السلام له : كم حواسك ؟ قال : خمس . قال : أيها أصغر قال : الناظر . قال : وكم قدر الناظر قال : مثل العدسة أو أقل . فقال له : انظر أمامك و فوقك و أخبرني بما ترى . فقال : أرى سماء و أرضاً و دوراً و قصوراً و جبلاً و أنهاراً . فقال عليه السلام : إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدس أو أقل قادر على أن يدخل الدنيا كلها البيضة لا يصغر الدنيا ولا يكبر البيضة .

« و يتكلم بلحم » قال (ثم) عنى عليه السلام باللحم اللسان فإنه لحم أبيض رخو تلف به عروق صغار كثيرة فيهادم ، و لذلك يتبين أحمر و تحته عروق و شريانات و أعصاب كثيرة ، و تحته فوهتان يسيل منهما اللعاب ينتهيان إلى لحم غريزي رخو موضوع في أصله يسمى مولد اللعاب ، و بهاتين الفوهتين يبقى للسان و ما حوله الندواة الطبيعية . قلت : و في توحيد المفضل : أطل الفكر في الصوت و الكلام و تهيئة آلاته في الإنسان . فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت و اللسان و الشفتان و الأسنان لصياغة الحروف و النغم الأتري أن من سقطت أسنانه لم يقم السين ، و من سقطت شفته لم يقم الفاء ، و من ثقل لسانه لم يفصح الراء ، و أشبه شيء بذلك المزمار الأعظم . فالحنجرة تشبه قصبه المزمار ، و الرية تشبه الزق الذي ينفخ لتدخل الريح ، و العضلات التي تقبض على الرية ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجرى الريح في المزمار و اللسان و الشفتان و الأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً و نغماً كالأصابع التي تختلف في فهم المزمار . فتصوغ صفيه أحياناً غير أنه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة و التعريف . فإن المزمار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت - إلى أن قال - تأمل في ما أنعم الله به على الإنسان من هذا النطق الذي يعبر به عما في ضميره و ما يخطر بقلبه و ينتجه فكره و به يفهم عن غيره ما في نفسه و لولا ذلك كان الإنسان بمنزلة البهائم التي لا تخبر عن نفسها بشيء ، و لا تفهم عن مخبر شيئاً .

قلت: و لكون نعمة اللسان بتلك المثابة في تمييز الإنسان من الحيوان قال الرحمن - جلّ و علا - في مقام الامتنان «خلق الإنسان علمه البيان» (١).

«و يسمع بعظم» قال (ثم) أراد العظم المسمى الحجري و هو عظم صلب فيه مجرى الأذن كثير التعاريج ، و التعطفات يمر كذلك إلى أن يلقى العصبه النابتة من الدماغ التي هي مجرى الروح الحامل للقوة السامعة - إلخ -

قلت : و في توحيد المفضل : و من فقد السمع يفقد روح المخاطبة و المحاوره ، و يعدم لذّة الأصوات و اللحون المشجية المطربة ، و تعظم المؤونة علي الناس في محاورته حتى يتبرّ موابه و لا يسمع شيئاً من أخبار الناس و أحاديثهم حتى يكون كالغائب و هو شاهد و كالميت و هو حي .

و في أذكار السجدين «سجد وجهي للذي خلقه و شق سمعه و بصره».

«و يتنفس في خرم» بالضم و هو ثقب الأنف . قال (ثم) : و في هذه و أمثالها من بدن الإنسان و سائر الحيوان عبرة لمن اعتبر ، و كمال شهادة بوجود الصانع الحكيم لها ، و من نظر في تشريح بدن الإنسان حضرته شواهد من الحكم الإلهية يحار فيها لبسه و يدهش فيها عقله ، و قرء الصادق عليه السلام قوله تعالى «و خلق الإنسان ضعيفاً» (٢) ثم قال: كيف لا يكون ضعيفاً و هو ينظر بشحم ، و يسمع بعظم ، و ينطق بلحم .

٣٣٠٢٣٤٣ و قال عليه السلام : « مَا الْمُبْتَلَى الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ

بِأَحْوَجِ إِلَى الدُّعَاءِ مِنَ الْمُعَافِي الَّذِي لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءُ .

أقول : هو أيضاً أحد آياته تعالى . روى الكافي عن سيف بن ليث قال : خلفت إبناً لى عليلاً بمصر عند خروجي عنها ، و إبناً لى آخر أسن منه كان وصيى و قيمى على عيالى ، و في ضياعى . فكتبت إلى أبى محمد عليه السلام أسأله الدعاء لا بنى العليل . فكتب عليه السلام :

(١) الرحمن ٣

(٢) النساء ٢٨

تدعو في ابنك العليل ، و قد مات الكبير وصيكت و قيتمك ، ولا تجزع فيحبط أجرك
فورد الخبر أن العليل عوفي ومات الكبير يوم ورد جوابه عَلَيْهِ السَّلَامُ .

و روى العيون عن محمد بن داود أن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر بأنه ربط ذقن عمه محمد بن
جعفر فدخل عليه و إنأ إسحاق بن جعفر و ولده و جماعة آل أبي طالب يبكون . فجلس
الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ عند رأسه و نظر في وجهه فتبسّم . فنقم من كان في المجلس عليه ، و قال
بعضهم : إننا تبسّم شامتاً بعمه . فخرج عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له محمد بن داود : سمعنا فيك من
هؤلاء ما نكره حين تبسّمت . فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : إننا تبسّمت من بكاء إسحاق على محمد ، و
إسحاق يموت قبله و يبكيه محمد . قال : فبرء محمد ومات إسحاق ، بكاه محمد ، و قال الشاعر :

كم مريض عاش من بعد ياس ☆ بعد موت الطيب والعواد

قد يصاد القطا فينجو سليما ☆ و يحل القضاء بالصياد

أيضاً :

أكان الجبان يرى أنه ☆ يدافع عند الفرار الأجل

فقد يدرك الحادثات الجبان ☆ ويسلم منها الشجاع البطل

٤٤٢ في ١٩٩٤ - بعد ذكر الصلوة والزكوة وأداء الامانة - ان

اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَ نَهَارِهِمْ لَطْفَ

بِهِ خُبْرًا ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا ، أَعْضَاؤُكُمْ شَهُودُهُ ، وَ جَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ ،

وَ ضَمَائِرُكُمْ عِيُونُهُ ، وَ خُلُوفَاتُكُمْ عِيَانُهُ .

« إن الله سبحانه و تعالى » هكذا في المصرية ، و كلمة : (وتعالى) زائدة لعدم

وجودها في (حد ، و ثم ، والخطية) .

« لا يخفى عليه ما العباد مقترفون » : أي مكتسبون للذنوب « يعلم ما تكسب كل

نفس » (١) .

« في ليلهم ونهارهم » « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » (١).

« لطف به خبراً » « يا بنى إننا إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير » (٢).
« وأحاط به علماً » « وقد أحطنا بما لديه خبراً » (٣).

« أعضاءكم شهوده » استشهد له بقوله تعالى « و يوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ماجءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الأذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم وأن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون » (٤).

و بما في تفسير القمى في قوله تعالى « اليوم نختم على أفواههم و تكلمنا أيديهم و تشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » (٥) قال : إذا جمع الله تعالى الخلق يوم القيامة دفع إلى كل إنسان كتابه فينظرون فيه فينكرون أنهم عملوا من ذلك شيئاً فتشهد عليهم الملائكة فيقولون : يا ربنا ملائكتك يشهدون لك ثم يحلفون أنهم لم يفعلوا من ذلك شيئاً ، وهو قوله تعالى « يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم » (٦) فإذا فعلوا ذلك ختم الله على ألسنتهم و تنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون .

« و جوارحكم جنوده » فإذا كانت جوارح الناس شهوده يصح أن يقال : إننا أيضاً جنوده « والله جنود السماوات والأرض » (٧).

(١) الرعد ١٠

(٢) لقمان ١٦

(٣) الكهف ٩١

(٤) فصلت ٢٢

(٥) يس ٦٥

(٦) المجادلة ١٨

(٧) الفتح ٤

« وضمائر كم عيونهم: أي جواسيسه » يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور « (١).
 « وخلواتكم عيانهم » ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه إلا حين يستغشون
 ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور « (٢).

٤٥ ر ٢٧٣ ر ٣ و قال ﷺ : اَعْلَمُوا عِلْمًا يَقِينًا اِنَّ اللّٰهَ لَمَّ يَجْعَلِ
 لِلْعَبْدِ وَ اِنْ عَظُمَتْ حَيْلَتُهُ ، وَ اَشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ ، وَ قَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ اَكْثَرَ
 مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقَلَّةِ حَيْلَتِهِ
 وَ بَيْنَ اَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَ الْعَارِفُ لِهَذَا الْعَامِلُ
 بِهِ . اَعْظَمَ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنَفَعَةٍ ، وَ التَّارِكُ لَهُ الشَّاكُّ فِيهِ اَعْظَمَ النَّاسِ
 شُغْلًا فِي مَضْرَبَةٍ ، وَ رَبٌّ مَنَعَهُ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنِّعْمِ ، وَ رَبٌّ مَبْتَلَى
 مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَى . فَزِدْ اِيَّهَا الْمُسْتَمِعُ فِي شُكْرِكَ ، وَ قَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ
 وَ قِفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ .

أقول : ورواه ابن أبي شعبة الحلبي في تحف عقوله ، و زاد بعد قوله : ما سُمِّيَ
 له في الذكر الحكيم « إنه لن يزداد امرء فقيراً بحذقه ، ولن ينتقص فقيراً بحمقه » و
 بدل قوله : فزدأياًها المستمع في شكرك بقوله « فافق أياًها المستمتع من شكرك » .

و رواه الكافي في (باب الاجمال في الطلب) مع زيادات و اختلافات يسيرة ، وكيف
 كان فهو أيضاً من آياته تعالى ، و أن الأمر ليس بيد الخلاق ، و أنه لا يقع إلا ما
 أراد الخالق .

« اعلموا علماً يقيناً » لا يخلجكم فيه شك .
 « أن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته » و تدابير .
 « و اشتدت طلبته » وسعيه .
 « و قويت مكيدته » و فطاته .
 « أكثر » مفعول لقوله (لم يجعل) .
 « مما سمى » وعين .

« له في الذكر الحكيم » وهو لفظ القرآن . قال تعالى « ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » ^(١) والظاهر أن المراد به في كلامه عليه السلام اللوح المحفوظ الذي فيه مقدرات الخلق ، و كيف كان نرى ما قاله عليه السلام بالمشاهدة والعيان فكثير من الناس ممن لهم فطانة زائدة يدبرون تدبيرات لزيادة أرزاقهم ولا يمتسر لهم إلا ما قدر الله تعالى لهم .

و روى الكافي عن الباقر عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع : ألا إن الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها . فاتقوا الله - عز وجل - و أجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله فإن الله تعالى قسم الأرزاق بين خلقه حالاً ، ولم يقسمها حراماً فمن اتقى الله تعالى و صبر أتاه الله برزقه من حله ، ومن هتك حجاب الستر و عجل فأخذه من غير حله قص الله به من رزق الحلال ، و حوسب عليه يوم القيامة .
 و روى عن أمير المؤمنين عليه السلام كم متعب نفسه مقتر عليه ، و مقتصد في الطلب قد ساعدته المقادير .

و روى عن الثمالي قال ذكر عند علي بن الحسين عليه السلام غلاء السعر . فقال : وما علي من غلائه إن غلا فهو عليه ، و إن رخص فهو عليه .
 و عن الصادق عليه السلام : لو كان العبد في حجر لآتاه الله برزقه فأجملوا في الطلب .

« ولم يجعل » تعالى .

« بين العبد في ضعفه » في بدنه .

« وقته حيلته » في أموره .

« و بين أن يبلغ ما سمى له في الذكر الحكيم » من الرزق بل الغالب كون رزقهم أكثر . قال الصادق عليه السلام : إن الله تعالى وسع في أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء ، و يعلموا أن الدنيا ليس ينال ما فيها بعمل ولا حيلة .

« والعارف لهذا » : أي العارف بأنه لا ينال إلا ما قدر له .

« العامل به » على طبق علمه .

« أعظم الناس راحة في منفعة » حيث إنه يعلم أن ما قدر له يأتيه بلا تعب . قال

الصادق عليه السلام : إذا فتحت بابك ، وبسطت بساطك . فقد قضيت ما عليك .

« والتارك له الشاك فيه » بظنه أن الرزق بجده وجهده .

« أعظم الناس شغلاً في مضرة » حيث إنه يكدر ليله ونهاره و يسلب راحته ، و

لا يحصل له إلا ما قدر له .

« و رب منعم عليه مستدرج » : أي مأخوذ تدريجاً ، والأصل فيه قوله تعالى

« والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » ^(١)

« بالنعمة » فكانت سبب غرته فلو لم يكن منعماً عليه وكان له أولي . قال تعالى

« أيحسبون أنهم نادى بهم به من مال وبنين نساوع لهم في الخيرات بل لا يشعرون » ^(٢) .

« و رب مبتلى مصنوع له » من الله تعالى .

« بالبلوى » : أي بالابتلاء . روى التوحيد عن النبي صلى الله عليه وآله قال : قال تعالى :

« إن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك

- الخبر - .

« فزد أيها المستمع . إلى : وقف عند منتهى رزقك » ولا تطمع في الزيادة عليه

(١) الاعراف ١٨٢

(٢) المؤمنون ٥٦

سفاهة ، و قد عرفت ما بدل التحف الجملة ، و رواها الكافي : فاتق الله أيها الساعي من سعيك ، و قصر من عجلتك ، و انتبه من سنة غفلتك ، و تفكر في ما جاء عن الله تعالى على لسان نبيه ﷺ .

٤٦ ر ٨٢ و من خطبة له عليه السلام : قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ ، وَ خَبَرَ الضَّمَائِرَ

لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْغَلْبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

« قد علم السرائر » « والله يعلم إسرارهم » ^(١) « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم و نجواهم » ^(٢) .

« و خبر » بالكسر : أى علم .

« الضمائر » « فإنه يعلم السر و أخفى » ^(٣) و هو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول » ^(٤) .

« له الاحاطة بكل شيء » « و لله ما في السماوات والأرض و كان الله بكل شيء محيطا » ^(٥) .

« والغلبة لكل شيء » « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ^(٦) أراد نمرود وفرعون منع تولد إبراهيم و موسى عليهما السلام وأراد إخوة يوسف دفعه عما قدّر له من الرفعة . فصاروا مغلوبين في قبال أمره تعالى .

« والقوة على كل شيء » « و لو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا » ^(٧) .

(١) محمد ٢٦

(٢) التوبة ٧٨

(٣) طه ٧

(٤) النساء ١٠٨

(٥) النساء ١٢٦

(٦) يوسف ٢١

(٧) البقرة ١٦٥

٤٧ ر ٩٧ و من خطبة له عليه السلام اخرى : **الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ ،**

وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ . بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ ، وَبِآخِرِيَّتِهِ
أَنْ لَا آخِرَ لَهُ ، وَاشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ
الْإِعْلَانُ ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانُ .

قول المصنّف : « و من خطبة له عليه السلام أخرى » هكذا في المصرية ولا معنى لكلمة
أخرى ، فإن كل خطبة من الكتاب غير سابقتها ، وفيها نقص . ففي (حد) ومن خطبة له
عليه السلام ، وهي من الخطب التي تشتمل على ذكر الملاحم ، وكذا (ثم) بدون قوله « وهي
من الخطب التي » ومثل (ثم) الخطية لكن فيها « الملحمة » بدل (الملاحم) .

« قوله عليه السلام : **الأوّل قبل كل أوّل** ، والآخر بعد كل آخر » روى توحيد الصدوق
أن الصادق عليه السلام سئل عن قوله تعالى « هو الأوّل والآخر » فقال : **الأوّل** لا عن
أوّل كان قبله ، ولا عن بدء سبقه ، والآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين
ولكن أوّل وآخر لم يزل ولا يزال بلا بدء ولا نهاية لا يقع عليه الحدوث ، ولا يحول
من حال إلى حال خالق كل شيء .

« **بأوّلِيَّتِهِ** وجب أن لا أوّل له » : أي بأوّلِيَّتِهِ قبل جميع الأشياء وجب أن
لا يكون له أوّل . فيكون شيء قبله .

« و **بِآخِرِيَّتِهِ** أن لا آخر له » هكذا في المصرية ، والصواب ما في (حد) و **بِآخِرِيَّتِهِ**
وجب أن لا آخر له ، وفي توحيد الصدوق أيضاً عن ابن أبي يعفور سألت أبا عبد الله عليه السلام
عن قوله تعالى « هو الأوّل والآخر » وقلت : **أما الأوّل** فقد عرفناه ، **وأما الآخريّين**
لنا تفسيره . فقال : إنّه ليس شيء إلا يبيد أو يتغيّر أو يدخله الغير والزوال أو ينتقل من
لون إلى لون ، ومن هيئة إلى هيئة ، ومن صفة إلى صفة ، ومن زيادة إلى نقصان ، ومن نقصان
إلى زيادة إلا رب العالمين . فإنّه لم يزل ولا يزال بحال واحدة هو الأوّل قبل كل شيء
وهو الآخر على ما لم يزل . لا تختلف عليه الصفات والأسماء ما يختلف على غيره ،

مثل الإنسان الذي يكون تراباً مرةً ولحمًا مرةً، ورفاتاً مرةً، وكالتمر الذي يكون مرةً بلحاً، ومرةً بسرّاً، ومرةً رطباً، ومرةً تمرّاً. فيتبدل عليه الأسماء والصفات والله - عزّ وجلّ - بخلاف ذلك .

« وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة يوافق فيها السرّ الإعلان » لا كشهادة اليهود « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون » (١) .

« والقلب اللسان » لا كشهادة المنافقين « إذا جائك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » (٢) « يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم » (٣) .

٤٨ ر في ١٧٨ ر ١ : فَعَظَمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ . فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ ، وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًا ، وَ آيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ ، وَ سَخِطَهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ ، وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَيَّ مِنْ كَانَ قَبْلِكُمْ ، وَ لَنْ يَسْخِطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلِكُمْ ، وَ إِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي آثَرِ بَيْنَ ، وَ تَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ . قَدْ كَفَاكُمْ مَوْوَنَةَ دُنْيَاكُمْ وَ حُكْمَ

(١) البقرة ١٤

(٢) المنافقون ١

(٣) الفتح ١١

عَلَى الشُّكْرِ ، وَ افْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ ، وَ أَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى ،
 وَ جَعَلَهَا مِنْتَهَى رِضَاهُ . وَ حَاجَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ
 بِعَيْنِهِ وَ نَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ ، وَ تَقَلِّبِكُمْ فِي قَبْضَتِهِ . إِنْ أَسْرَرْتُمْ ، عَلِمَهُ
 وَ إِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ . قَدْ وَكَّلَ بِكُمْ حَفَظَةً كِرَامًا ، لَا يَسْقُطُونَ حَقًّا ، وَ
 لَا يُثَبِّتُونَ بَاطِلًا .

« فعظّموا منه سبحانه ما عظم من نفسه » « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
 من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء و تعز من تشاء و تذلل من تشاء بيدك الخير إنك على
 كل شيء قدير تولج الليل في النهار و تولج النهار في الليل و تخرج الحي من الميت
 و تخرج الميت من الحي و ترزق من تشاء بغير حساب » (١) « و لله المشرق و المغرب
 فأينما تولوا فثم وجه الله » (٢) « الله الذي خلق سبع سماوات و من الأرض مثلن
 ينتزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير و أن الله قد أحاط بكل شيء
 علما » (٣) « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي
 ولو جئنا بمثله مددا » (٤) « وما قدروا الله حق قدره و الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة
 و السماوات مطويات بيمينه » (٥) « إن يشأ يذهبكم و يأت بخلق جديد و ما ذلك على
 الله بعزيز » (٦) .

« فإنّه لم يخف » من أخفى .

(١) آل عمران ٢٧

(٢) البقرة ١١٥ .

(٣) الطلاق ١٢

(٤) الكهف ١٠٩

(٥) الزمر ٦٧

(٦) إبراهيم ١٩

« عنكم شيئاً من دينه » فقد قال تعالى في كتابه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً »^(١) والمراد الإكمال بالكتاب والعترة معاً. فقد قال النبي ﷺ في المتواتر عنه : إنني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .

« ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلا وجعل له : أي لما رضيه أو كرهه .
« علماً » : أي علامة .

« بادياً » : أي ظاهراً : أي من سنته .

« و آية » بمعنى أو آية .

« محكمة » غير متشابهة من كتابه .

« تزجر عنه » : أي عن ذلك الشيء الذي كرهه .

« أو تدعو إليه » : أي إلى ذلك الشيء الذي رضيه ، وقد قال النبي ﷺ في

حجة و داعه لأصحابه : ما من شيء يقر بكم إلى الجنة إلا أمرتكم به ، و ما من شيء يقر بكم إلى النار إلا نهيتكم عنه .

« فرضاه في ما بقى » من الزمان أو من الناس .

« واحد » فالناس عنده سواء .

« و سخطه في ما بقى واحد » لكون حلاله و حرامه على حالهما إلى الأبد .

« و اعلموا أنه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قلبكم » من الأمم

الماضية أو ممن كان في عصر الرسول ﷺ .

« ولن يسخط » : أي لن يغضب .

« عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم » لكون حكم الجميع واحداً .

« و إنما تسيرون في أثر بين » من الدين « قد تبين الرشد من الغي »^(٢) .

« و تتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم » قال (حد) يعني كلمة

(١) المائدة ٤

(٢) البقرة ٢٥٦

التوحيد [لا إله إلا الله] قد قالها الموحّدون من قبل هذه المملّة لا تقليداً بل بالنظر والدليل فقولوها أنتم كذلك .

قلت : لم أفهم كيفية دلالة (رجع القول) على ما قال ، وإنما المستفاد من مورد آية « ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربّهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جائتكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرؤنا أن نكفر بالله »^(١) كون رجع القول تكراراً ملجأوبة بين فريقين ، ولعل الرجع هنا بمعنى النفع كما قيل في قوله تعالى « والسماء ذات الرجع »^(٢) .

« قد كفاكم مؤونة دنياكم » « وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون »^(٣) .

« وحشكم على الشكر » « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله و من يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنيّ حميد »^(٤) « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد »^(٥) .

« واقترض من ألسنتكم الذكر » صادراً عن القلب « واذكروا الله كثيراً لعلمكم تفلحون »^(٦) « واذكر ربك في نفسك تضرّعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين »^(٧) .

« وأوصاكم بالتقوى » « ولقد وصّينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم

(١) سبا ٣٢

(٢) الطارق ١١

(٣) الذاريات ٢٢- ٢٣

(٤) لقمان ١٢

(٥) ابراهيم ٧

(٦) الجمعة ١٠

(٧) الاعراف ٢٠٥

أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ» (١) .

« وجعلها منتهى رضاه » من عباده « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٢) .
 « و حاجته من خلقه » « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على
 الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٣) « و أن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا
 السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (٤) .

« فاتقوا الله الذي أنتم بعينه » « ولقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به نفسه
 و نحن أقرب إليه من حبل الوريد » (٥) « و هو الذى يتوفاكم بالليل و يعلم ما جرحتم
 بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى » (٦) .
 « و نواصيكم بيده » « ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط
 مستقيم » (٧) .

« و تقلبكم في قبضته » « والله يعلم متقلبكم و مواكم » (٨) « فلا يفررك تقلبهم
 في البلاد » (٩) .

« إن أسررتم علمه » « يعلم السر في السماوات والأرض » (١٠) « تسرون إليهم
 بالموودة و أنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم » (١١) « يخرج الخبء في السماوات والأرض و
 يعلم ما تخفون و ما تعلنون » (١٢) .

« و إن أعلنتم كتبه » « و كل صغير و كبير مستطر » (١٣) « و نكتب ما قدّموا و
 آثارهم و كل شيء أحصيناه في إمام مبين » (١٤) « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب

(٣) البقرة ١٨٣

(٢) الحجرات ١٣

(١) النساء ١٣١

(٥) ق ١٦

(٤) الانعام ١٥٣

(٧) هود ٥٦

(٦) الانعام ٦٠

(٩) غافر ٤

(٨) محمد ١٩

(١١) الممتحنة ١

(١٠) الفرقان ٦

(١٣) القمر ٥٣

(١٢) النمل ٢٥

(١٤) يس ١٢

عتيد» (١) .

« وقد وُكِّلَ بكم » هكذا في المصرية ، والصواب : بذلك كما في (حد ، و ثم ، والخطية) .

« حفظة كراماً » و هو القاهر فوق عباده و يرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا و هم لا يفرون » (٢) .

« لا يسقطون حقاً ولا يثبتون باطلاً » لا ككتاب الأمراء والملوك يثبتون الباطل على الناس و يسقطون الحق لهم . قال تعالى « وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » (٣) « إن يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد » (٤) « ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً » (٥) .

٤٩ ر في ١٩٠ ر ١ : وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَ

لَمْ يَرْسَلْكُمْ هَمَلًا ، عَلِيمٌ مَبْلَغٍ نِعْمَةٍ عَلَيْكُمْ . وَ أَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ .

فَاسْتَفْتَحُوهُ وَ اسْتَنْجَحُوهُ ، وَ اطْلُبُوا إِلَيْهِ ، وَ اسْتَمْنَحُوهُ فَمَا قَطَعَكُمْ

عَنْ حِجَابٍ ، وَ لَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ ، وَ إِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ ، وَ فِي

كُلِّ حِينٍ وَ أَوَانٍ ، وَ مَعَ كُلِّ أَنْسٍ وَ جَانٍ ، لَا يَثْلُمُهُ الْعَطَاءُ ، وَ

لَا يَنْقُصُهُ الْحَبَاءُ ، وَ لَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ ، وَ لَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ ، وَ لَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ

(١) ق ١٨

(٢) الانعام ٦١

(٣) الانطار ١٠

(٤) ق ١٧

(٥) الكهف ٤٩ .

عَنْ شَخْصٍ ، وَلَا يَلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ ، وَلَا تَحْجِزُهُ هَيْبَةٌ عَنْ سَلْبٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ
غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَلَا تَوَلِّيهِ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ ، وَلَا تَجْنِبُ الْبَطُونَ عَنِ الظُّهُورِ
وَلَا تَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبَطُونَ . قَرَبَ فَنَأَى ، وَعَالَفَدْنَا ، وَظَهَرَ فَبَطُنَ ، وَ
بَطُنَ فَعَلَنَ ، وَ دَانَ وَ لَمْ يَدَنَّ . لَمْ يَذَرَّ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ ، وَلَا اسْتِعَانَ
بِهِمْ بِكَلَالٍ .

« و اعلموا عباد الله أنه لم يخلقكم عبثاً » « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم
إلينا لاترجعون » (١) .

« ولم يرسلكم هملاً » كابل بلا راع « أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك
نطفة من منى يمنى ثم كان علقه فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ليس
ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » (٢) .

« علم مبلغ نعمه عليكم و أحصى إحسانه إليكم » و إنما الخلق لا يعلمون مبلغ
نعمه ولا يحصون مقدار إحسانه . قال تعالى « و إن تعدوا نعمت الله لا تحصوها » (٣) .

« فاستفتحوه » فإنه القادر على فتح أبواب النعم عليكم .

« واستنجحوه » فهو القادر لانجاح حوائجكم .

« واطلبوا إليه » مطالبكم كليها و جزئها ، و في الخبر أوحى إلى موسى اطلب

منى جميع حوائجك حتى علف شاتك وملح خميرك .

« واستمنحوه » و روى (استمنحوه) وكل منهما بمعنى اطلبوا العطاء منه تعالى

« و اسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً » (٤) .

« فما قطعكم عنه حجاب ، كالمملوك والأمرء .

« ولا أغلق عنكم دونه باب » كأهل الدنيا .

« وإنه لبكل مكان » قال رجلان من علماء اليهود له ﷺ : أين ربك؟ فقال

ﷺ لهما - ضارباً لهما مثلاً - اقبل ملك من المشرق وملك من المغرب ، وملك من

السماء ، وملك من الأرض . فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب : من أين أقبلت ؟

قال : من عند ربّي ، وقال صاحب المغرب لصاحب المشرق : من أين أقبلت ؟ قال :

من عند ربّي ، وقال الخارج من الأرض للنازل من السماء من أين أقبلت ؟ قال من

عند ربّي ، وقال النازل من السماء للخارج من الأرض : من أين أقبلت ؟ قال : من

عند ربّي .

« و في كل حين » : أي زمان عطف على لبكل .

« و أوان » : أي وقت لأنّه خالق الأوقات والأزمنة كما أنّه خالق الأمكنة .

« و مع كل إنس و جان » ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة

إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ، ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا

يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ، (١) .

« لا يثلمه » أي لا يورد عليه خلافاً يقال (في الإساءة) إذا انكسر من

شفته شيء .

« العطاء » كما يثلم الخلق .

« ولا ينقصه » بالفتح هنا متعد و يأتي لازماً يقال (نقص الشيء و نقصته) .

« الجباء » : أي العطاء ، و كيف يثلمه عطاء ، و ينقصه جباء ، و هو الذي إذا

أراد شيئاً يقول له كمن فيكون .

« لا يستغفه » : أي لا يجعل ما عنده فانياً يقال : نفذ الشيء : إذا أفنى .

« و لله خزائن السماوات والأرض » (٢) .

(١) المجادلة ٧

(٢) المنافقون ٧

« ولا يستقصيه » : أى لا يبلغ أقصاه .

« نائل » : أى عطاء كالنوال .

« ولا يلويه » : أى لا يميله .

« شخص عن شخص » آخر كالناس .

« ولا يلهيه » : أى لا يشغله .

« صوت عن صوت » آخر كالخلائق .

« ولا تحجزه » : أى لا تمنعه .

« هبة » لأحد .

« عن سلب » عن آخر « يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم

ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيماً » (١) .

« ولا يشغله غضب » على شخص .

« عن رحمة » على آخر « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك

ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير » (٢) .

« ولا توليه » : أى لا تغفله .

« رحمة » لأحد .

« عن عقاب » لآخر « إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم » (٣) فإن قيل : إن

غيره تعالى قد يهب لواحد، ويسلب آخر، ويغضب على رجل، ويرحم آخر، ويعاقب

شخصاً، و يترحم على آخر . فأى امتياز له تعالى . قلت : غيره تعالى يفعل ما ذكر على

التعاقب على حسب حال تعرض له من حصول رقة أو ثورة أو غيرهما ، و هو تعالى يفعل

جميع ذلك في وقت واحد بدون حصول تأثير له .

« ولا تجنّه » بالفتح والضم . قال الجوهرى : جننته وأجننته : أى واريته .

(١) الشورى ٥٠

(٢) آل عمران ٢٦

(٣) فصلت ٤٣

« البطون عن الظهور ، ولا تقطعه الظهور عن البطون » قال (حد) : الظهور والبطون مصدران تقول : ظهر ظهوراً ، و بطن بطوناً . قلت : و يحتمل أن يكونا جمعا الظهر والبطن ، و يكون المراد أن الخلائق إذا وردوا في بطون الأشياء تكون ظهورها عنهم مستورة و بالعكس ، والخالق ليس كذلك بل بطون الأشياء و ظهورها عنده سواء .

« قرب » « وإذ أسألك عبادي عنِّي فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان »^(١) .
 « فأنى » : أى بعد « رب » أرني أنظر إليك قال لن تراني و لكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربّه للجبل جعله دكاً و خرّ موسى صعقاً^(٢) .
 « و علا » « سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوّى و الذى قد رفهدى و الذى أخرج المرعى »^(٣) .

« فدنى » : أى قرب « و نحن أقرب إليه من حبل الوريد »^(٤) .

« و ظهر فبطن » « هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم »^(٥) .
 « و بطن فعلمن » « قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات و الأرض »^(٦) و روى توحيد الصدوق عن أحمد بن محسن الميمنى . قال كنت عند أبي منصور المتطبّب فقال : أخبرني رجل من أصحابي . قال : كنت أنا و ابن أبي العوجاء ، و عبد الله بن المقفّع في المسجد الحرام . فقال ابن المقفّع : ترون هذا الخلق - و أوما بيده إلى موضع الطواف - ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية إلا ذلك الشيخ الجالس - يعنى جعفر بن محمد عليه السلام - فأما الباقر فرعاع و بهائم . فقال له ابن أبي العوجاء : لا بد من

(١) البقره ١٨٦

(٢) الاعراف ١٤٣

(٣) أعلى ١ - ٣

(٤) ق ١٦

(٥) الحديد ٣

(٦) ابراهيم ١٠

اختبار ما قلت فيه منه . فقال له ابن المقفّع : لا تفعل فأني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك . فقال : ليس ذا رأيك ولكنك تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إياه المحل الذي وصفت . فقال له ابن المقفّع : أما إذا توهّمت على هذا فقم إليه وتحفظ ما استطعت من الزلل ولا تثن عقالك [عنانك خ ل] إلى استرسال يسلمك إلى عقاب وسمه مالك أو عليك قال : فقام ابن أبي العوجاء وبقيت أنا و ابن المقفّع فرجع إلينا ، وقال يا ابن المقفّع : ما هذا يبشر و إن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظاهراً ، و يتروح إذا شاء باطناً فهو هذا . فقال له : و كيف ذلك ؟ فقال : جلست إليه فلمّا لم يبق عنده غيري ابتداءً . فقال : إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء ، و هو على ما يقولون - يعني أهل الطواف - فقد سلموا وعطبتهم ، و إن يكن الأمر على ما تقولون وليس كما تقولون و فقد استوتيتم أنتم و هم .

فقلت له : و أي شيء تقول ، و أي شيء يقولون ؟ ما قولي و قولهم إلا واحد . قال : فكيف يكون قولك و قولهم واحداً و هم يقولون : إن لهم معاداً و ثواباً و عقاباً و يدينون بأنّ للسماء إلهاً و أنّها عمران ، و أنّهم تزعمون أنّ السماء خراب ليس فيها أحد ،

قال : فاغتنمتها منه . فقلت له : فما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقهم و يدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم إثنان ، ولم احتجب عنهم . و أرسل إليهم الرسل و لو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به .

فقال لي : و يلك و كيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك نشاك و لم تكن ، و كبرك بعد صغرك ، و قواك بعد ضعفك ، وضعفك بعد قوتك ، و سقمك بعد صحتك و صحتك بعد سقمك ، و رضاك بعد غضبك ، و غضبك بعد رضاك ، و حزك بعد فرحك و فرحك بعد حزك ، و حبك بعد بغضك ، و بغضك بعد حبك ، و عزك بعد إباطك ، و إباطك بعد عزك ، و شهوتك بعد كراهتك ، و كراهتك بعد شهوتك ، و رغبتك بعد رهبتك ، و رهبتك بعد رغبتك ، و رجاك بعد يأسك ، و يأسك بعد رجاك ، و خاطرك بما لم يكن في وهمك ، و عزوب ما أنت تعتقده في ذهنك ، و ما زال يعدد على من قدرته التي هي في

نفسى التى لا أستطيع دفعها حتى ظننت أنه سيظهر إلهه في ما بينى و بينه .

« و دان » : أى جزى « فلو لا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين » (١) .

« ولم يدن » بلفظ المجهول : أى ولم يجزه أحد . قال تعالى « لا يسئل عمّا يفعل

و هم يسئلون » (٢) .

« ولم يذرء » الذرء : الخلق المتفرق الكثير كما في قوله تعالى « و ما زرء لكم

في الأرض مختلفاً ألوانه » (٣) « وجعلوا لله ممّا زرء من الحرث والأنعام نصيباً » (٤)

« جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و من الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه » (٥) .

« الخلق » : أى مخلوقاته .

« باحتيال » و حيلة « إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » (٦) .

« ولا استعان بهم » : أى بخلقه ،

« لكلال » : أى عى و مسّ تعب . قال تعالى « و لقد خلقنا السماوات والأرض

و ما بينهما في ستة أيام و ما مسّنا من لغوب » (٧) .

٥٠ ر في ٨٧ ر ١ وَ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا ، وَ قَلَّلَهَا وَ قَسَمَهَا عَلَى

الضيقِ وَالسَّعَةِ . فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَ مَعْسُورِهَا ،

وَ لِيُخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَ فَقِيرِهَا . ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا

(١) الواقعة ٨٦-٨٧ .

(٢) الانبياء ٢٣

(٣) النحل ١٣

(٤) الانعام ١٣٦

(٥) الشورى ١١

(٦) يس ٨٢

(٧) ق ٣٨

عَقَابِيلَ فَاقْتَمَهَا ، وَ بَسَلَمَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا ، وَ بَفَرَجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ
 اِتْرَاحِهَا ، وَ خَلَقَ الْأَجَالَ فَاطَالَهَا وَ قَصَرَهَا ، وَ قَدَمَهَا وَ آخَرَهَا ،
 وَ وَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا ، وَ جَعَلَهُ خَالِجًا لِأَشْطَانِهَا ، وَ قَاطِعًا
 لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا .

« و قدر الأرزاق فكثرتها و قللها » « الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر » (١) .
 « و قسمها على الضيق والسعة » « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » (٢) .
 « فعدل فيها » لأن تقديره تعالى و تقسيمه - عز وجل - على وفق الحكمة ،
 و في الخبر من منعه تعالى منعه ما ليس له ، و من أعطاه فإِنَّمَا أعطاه ما ليس له . فهو المفضل
 بما أعطى و العادل في ما منع ، و لا يفعل إلا ما كان حكمة و صواباً ، و من وجد في نفسه
 حرجاً في شيء مما قضى فقد كفر .
 « ليبتلئ » : أي يمتحن .

« من أراد بميسورها و معسورها » : أي يمتحن بعضاً بالميسور ، و بعضاً بالمعسور
 و روى التوحيد عن أنس عن النبي ﷺ قال : قال تعالى : إن من عبادي لمن لا يصلح
 إيمانه إلا بالفقر ، و لو أغنيته لأفسده ذلك ، و من لا يصلح إلا بالغنى و لو أفقرته
 لأفسده ذلك .

« وليختبر » : أي يمتحن .

« بذلك الشكر و الصبر من غنيها و فقيرها » هل يشكر غنيها ، و هل يصبر فقيرها
 و في الكافي عن الكاظم عليه السلام يقول تعالى : لم أغن الغني لكرامة له على ، و لم أفقر
 الفقير لهوان به على ، و ابتليت الأغنياء بالفقراء ، و لو لا الفقراء لم يستوجب
 الأغنياء الجنة .

(١) العنكبوت ٦٢

(٢) الزخرف ٣٢

« ثم قرن بسعتها عقابيل » جمع عقبول ، وهى قرح صغار تخرج بالشفة من بقايا المرص ، والمراد هنا الشدائد .

« فاقتها » فقالوا : الفقر الموت الأحمر ، ولا شىء أمر منه .

« و بسلامتها طوارق » والأصل في الطروق الاتيان ليلا ، و هنا كناية عن البغته .

« آفاتها » فحكمته اقتضت جعل الدنيا كذلك لثلاثا يخلد الناس إليها وينسوا إليهم .

« و بفرج » بالضم فالفتح : جمع فرجة .

« أفراحها » و مسارها .

« غصص » الأصل في الغصة اعتراض الطعام في الحلق .

« أتراحها » جمع الترح ضد الفرح ، ولم تر في الدنيا فرحاً لا يخلطه ترح

والحكمة ما مر .

« و خلق الآجال فأطالها وقصرها و قدّمها وأخرها » بدون أن يطلع عليها

أحدا ، والجاهل والعالم في ذلك سواء حتى الأطباء . قال تعالى « هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا

شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل و لتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون » (١) .

« و وصل بالموت أسبابها » : أى أسباب الآجال ، والمراد الأمراض والآفات .

« وجعله » : أى الموت .

« خالجا » : أى جاذباً .

« لأشطانها » : أى حبالها الطويلة .

« و قاطعاً لمرائر » جمع مريرة : جبل اشتد قتله .

« أقرانها » : أى حبالها ، وإضافة مرائر إليها من إضافة الصفة « ولكل أمة أجل

فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » (٢) .

٥١ فيه بعد ما مر : عالم السر من ضمائر المضميرين ، و نجوى

الْمُتَخَافَتِينَ ، وَخَوَاطِرِ رَجَمِ الظُّنُونِ ، وَعَقْدِ عَزِيمَاتِ اليَقِينِ ، وَ
 مَسَارِقِ اِيْمَاضِ الْجُفُونِ ، وَ مَا ضَمِنَتْهُ اَكْسَانُ الْقُلُوبِ ، وَ غِيَابَاتِ
 الْغُيُوبِ ، وَ مَا اصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِحِ الْاَسْمَاعِ ، وَ مَصَائِفِ الذَّرِّ ، وَ
 مَشَانِي الْهَوَامِّ ، وَ رَجَعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمَوْلِهَاتِ ، وَ هَمْسِ الْاَقْدَامِ ، وَ
 مَنْفَسِحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَّلَائِحِ غُلْفِ الْاَكْمَامِ ، وَ مَنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غَيْرَانِ
 الْجِبَالِ وَ اَوْدِيَّتِهَا ، وَ مَخْتَبَاءِ الْبَعُوضِ بَيْنِ سُوْقِ الْاَشْجَارِ وَ الْحَيْثِهَا
 وَ مَغْرَزِ الْاَوْرَاقِ مِنَ الْاَفْنَانِ ، وَ مَحَطِّ الْاَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْاَصْلَابِ
 وَ نَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَ مَتَلَاحِمِهَا . وَ دُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مَتْرَاكِمِهَا ، وَ مَا
 تَسْفِي الْاِعَاصِيرُ بِذِيُولِهَا ، وَ تَعْفُو الْاَمْطَارُ بِسَيُولِهَا ، وَ عَوْمِ بَنَاتِ
 الْاَرْضِ فِي كَثْبَانِ الرِّمَالِ ، وَ مُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْاَجْنِحَةِ بِذُرَى سَنَاخِبِ
 الْجِبَالِ وَ تَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دِيَاجِيرِ الْاَوْكَارِ ، وَ مَا اَوْعَبَتْهُ الْاَصْدَافُ
 وَ حَضَنْتْ عَلَيْهِ اَمْوَاجَ الْبِحَارِ ، وَ مَا غَشِيَتْهُ سَدْفَةٌ لَيْسَ اَوْذَرُ عَلَيْهِ
 شَارِقُ نَهَارٍ ، وَ مَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ اَطْبَاقُ الدِّيَاجِيرِ ، وَ سَبْحَاتُ النُّورِ ،
 وَ اَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ ، وَ حِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ ، وَ رَجَعِ كُلِّ كَلِمَةٍ ، وَ تَحْرِيكِ
 كُلِّ شَفَةِ ، وَ مُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسْمَةٍ ، وَ مِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ ، وَ هَمَا هِمَّ كُلِّ

نَفْسٍ هَامَةٍ ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ ، أَوْ قَرَارَةٍ
 نُطْفَةٍ ، أَوْ نُقَاعَةٍ دَمٍ وَمُضْغَةٍ ، أَوْ نَاشِئَةٍ خَلْقٍ وَ سَلَالَةٍ ، لَمْ يَلْحَقْهُ
 فِي ذَلِكَ كُفَّةٌ ، وَلَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ ،
 وَلَا اعْتَوَّرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَ تَدَايِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَالَلَةٌ ، وَلَا فِتْرَةٌ ،
 بَلْ نَقَذَ فِيهِمْ عِلْمَهُ ، وَ أَحْصَاهُمْ عَدَّهُ ، وَ وَسِعَهُمْ عَدْلَهُ ، وَ غَمَّرَهُمْ فَضْلَهُ
 مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ .

« عالم السر » « يعلم السر وأخفى » (١) .

« من ضمائر المضمرين » « وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون » (٢) .
 « و نجوى المتخافتين » « ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما
 يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك و
 لا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء
 عليم » (٣) .

« و خواطر رجم الظنون » مما لا حقيقة له ، ولا وجود له إلا في الخيال . قال
 الجوهري : الرجم أن يتكلم الرجل بالظن . قال تعالى « رجماً بالغيب » (٤) يقال :
 صار رجماً لا يوقف على حقيقة أمره .
 « و عقد » بالضم فالفتح : جمع عقدة .

(١) طه ٧

(٢) النمل ٧٤

(٣) المجادلة ٧

(٤) الكهف ٢٢

- «عزيزات اليقين» : أى قطع يطابق الواقع .
- « و مسارق » جمع مسرق يقال : هو يسارق النظر : إذا اهتبل غفلته .
- « ايماض » من أو مضت المرثة : إذا سارقت النظر .
- « الجفون » من العيون ، والأصل في كلامه ﷺ قوله تعالى « يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور » (١) .
- « و ما ضمنته » أى جعلته في ضمنها .
- « أكنان » جمع الكن بمعنى السترة .
- « القلوب » « و ربك يعلم ما تكن صدورهم و ما يعلنون » (٢) .
- « و غيابات » جمع الغيابة يقال : غيابة الجب : أى قعره .
- « الغيوب » جمع الغيب خلاف الشهود ، والأصل في الغيب المظلم من الأرض قال لبيد في بقرة أكل السبع ولدها :
- و تسمعت رز الأيس فراعها ✽ عن ظهر غيب والأيس سقامها
- والغيب ما غاب عن العين يقال : شاة ذات غيب : إذا كانت ذات شحم لتغيبه عن العين . قال تعالى « فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون » (٣) .
- « و ما أصغت » : أى استمعت .
- « لاستراقه » من استرق السمع : أى استمع مستخفياً كأنه يسرق الخبر .
- « مصائح الأسماع » والمصائح : جمع المصيخة ما فيها قوة السماع ، والأسماع : جمع السمع : أى الآذان السمعية . قال تعالى « ولقد جعلنا في السماء بروجاً و زينناها للناظرين و حفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » (٤) .

(١) غافر ١٩

(٢) القصص ٦٩

(٣) البقرة ٣٣

(٤) الحجر ١٨

« ومصائف الذرّ » الذرّ جمع ذرّة : أصغر النمل ، و مصائفها : مواضعها في الصيف .

« و مشاتى الهوام » الهوام : جمع الهامة . قال الجوهري : لا يقع اسم الهامة إلاّ على المخوف من الأحناش ، و مشاتىها : مواضعها في الشتاء .

« و رجع الحنين » قال الجوهري : حنين الناقة : صوتها في نزاعها إلى ولدها .

« من الملولهات » جمع الملولهة : أى التى فرق بينها وبين ولدها فهى عليه والهة .

« و همس الأقدام » : أى أخفى صوتها . قال تعالى « فلا تسمع إلاّ همسا » (١) .

« و منفسح الثمرة » : أى متسعبها .

« من ولائج » جمع الوليجة : أى مداخل .

« غلف » بضمين : جمع غلاف .

« الأكمام » جمع الكمّ بالكسروعاء الطلع وغطاء النور . قال : بوائج في أكمامها

لم تفتق ، و أما الكمّ بالضم فهو كمّ القميص ، وليس بمراد هنا .

« و منقمع » : أى مختفى .

« الوحوش » : أى حيوانات البرّ .

« من غيران » بالكسر : جمع غار كالكهف في الجبل .

« الجبال و أوديتها » جمع الوادي ، وفي المصباح : الوادي كلّ منفرج بين جبال

أواكام يكون منفذاً للسيل .

« و مختبأ » : أى مختفى .

« البعوض » قال الجوهري : البعوض : البق .

« بين سوق » بالضم : جمع ساق .

« الأشجار و ألحيتها » بفتح الهمزة : جمع اللحاء قشر الشجر .

« و مغرز » من غرزت الشيء بالآبرة .

- « الأوراق » جمع الورق ، والمراد ورق الشجر .
 « من الأفنان » جمع الفن غصن الشجر .
 « و محط » : أى محل نزول .
 « الأمشاج » : أى نطفة الرجل والمرثة جمع المشيج مثل يتيم و أيتام يقال :
 نطفة أمشاج ماء الرجل يختلط بماء المرثة ودمها . قال تعالى « إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
 نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ » (١) .
 « من مسارب » جمع مسرب : أى مجرى .
 « الأصلاب » قال تعالى « يخرج من بين الصلب والترائب » (٢) .
 « و ناشئة » قال الجوهري : النشأ : أول ما ينشأ من السحاب .
 « الغيوم » جمع الغيم يقال : غامت السماء إذا أطبق بها السحاب .
 « و متلاحهما » : أى متضاعفها .
 « و درور » : أى سيلان .
 « قطر السحاب في متراكمها » : أى مجتمعها و ركوب بعضها بعضاً .
 « و ما تسفى » من سفت الريح التراب : إذا ذرته .
 « الأعاصير » جمع الأعصار و هو ريح تثير الغبار فترتفع إلى السماء كأنه عمود
 قال تعالى « فأصابها إعصار فيه نار » (٣) .
 و يقال : هو ريح تثير سحاباً ذات رعد و برق .
 « بذبولها » التى تلاقى الأرض .
 « و تعفو » من (عفت الريح المنزل) درسته .
 « الأمطار بسيولها » : أى السيول الحاصلة منها .
 « و عوم » : أى سباحة .
 « بنات الأرض » روى نبات بتقديم النون فتكون إضافة العوم إليه مجازاً، وبتقديم

الباء فيكون المراد بها الحشرات والهوام التي تكون في تلال الرمال فتكون نسبة العوم إليها استعارة .

« في كُتبان الرمال » : أى تلالها . قال الجوهري : كل ما انصب في شيء فقد انكثب فيه ، ومنه سمى الكثيب من الرمل لأنه انصب في مكان فاجتمع فيه ، والجمع الكُتبان .

« و مستقر ذوات الأجنحة » : أى الطيور .

« بذرى » بالضم جمع ذروة : أى أعالي .

« شناخيب الجبال » : أى رؤوسها .

« و تغريد » من (غرد الطائر) إذا صوت و غنى .

« ذوات المنطق » : أى طيور تتغنى ، وليس كل طير كذلك .

« في دياجير » جمع ديجور : أى ظلمة .

« الأوكار » جمع الوكر عش الطائر .

« و ما أوعبته » هكذا في المصرية ، والصواب : وما أوعته كما في (حد ، و ثم ، و خو

والخطية) وقالوا : و في نسخة (و ما أودعته) و معنى (ما أوعته) جعلت له وعاء .

« الأصداف » جمع الصدف غشاء الدرّة .

« وحضنت » من (حضن الطائر بيضة) إذاضمه إلى نفسه تحت جناحه ، وكذلك

المرثة إذا حضنت ولدها .

« عليه أمواج البحار » يفهم من كلامه عَلَيْهِ أن أمواج البحار تربى أشياء حيّة

و غير حيّة .

« و ما غشيته » : أى حوته .

« سدفة » : أى ظلمة .

« ليل » قال النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مدركى * وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

« أودر » من (ذرت الشمس) : أى طلعت .

- « عليه شارق » : أى طالع يقال : لا آتيك ماذر شارق .
 « نهار » والمراد بشارق النهار الشمس .
 « وما اعتقبت » : أى تعاقبت .
 « عليه أطباق » : أى طبقات .
 « الدياجير » : أى الظلم .
 « و سبحات النور » : أى أشعته .
 « و أثر كل خطوة » : أى قدم .
 « و حس » : أى صوت خفى .
 « كل حركة » من كل متحرك .
 « و رجع كل كلمة » أى أثرها في الهواء بالتموج .
 « و تحريك كل شفة » بكلام جهر أو خفى .
 « ومستقر كل نسمة » : أى كل نفس إنساناً أو غيره . قال تعالى « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها و يعلم مستقرها و مستودعها كل في كتاب مبين » (١) .
 « و مثقال كل ذرة » و « ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين » (٢) .
 « وهماهم » جمع همهمة : ترديد الصوت في الصدر .
 « كل نفس هامة » بالتشديد : أى قاصدة لشيء لا تدرى تفعله أم لا . قال الشاعر:
 هممت ولم أفعل وكدت وليتني ❦ تركت على عثمان تبكى حلاله
 « و ما عليها من ثمر شجرة » هكذا في النسخ ، و قال (حد) (و ما عليها) : أى ما على الأرض و أضرر اعتماداً على فهم المخاطب كقوله تعالى « كل من عليها فان » (٣)

(١) هود ٦

(٢) يونس ٦١

(٣) الرحمن ٢٦

قلت : والأظهر حصول سقط في الكلام أو تقديم و تأخير أو تحريف ، ولا يبعد أن يكون الأصل (وما ينح من ثمر شجرة) من قوله تعالى « انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه »^(١) وإلا فمقتضى السياق أن يكون (قرارة نطفة) و ما بعده عطفاً على (ثمر شجرة) كقوله (ساقط ورقة) ولا معنى له .

« أو ساقط ورقه » و ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين »^(٢) .

« أو قرارة نطفة » ثم جعلناه نطفة في قرار مكين »^(٣) .

« أو نقاة دم » الظاهر أن المراد بنقاة دم العلقة بقرينة ذكر النطفة قبلها والمضغة

بعدها ، وقال الجوهري في قول الشاعر :

وما زال من قتلى رزاح بعالج ❦ دم نافع أو جاسد غير ماصح

النافع الدم : الطرى ، والجاسد : الدم القديم .

« و مضغة » : أى قطعة لحم . قال تعالى « ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة

مضغة »^(٤) .

« أو ناشئة خلق » والمراد نطفة تصير منشأ مولود ، وليس كل نطفة كذلك .

« و سلالة » : أى الخلاصة . قال تعالى « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من

طين »^(٥) .

« لم يلحقه » هكذا في المصرية ، والصواب (لم تلحقه) كما في (حد ، والخطية) .

« في ذلك كلفة » : أى مشقة . قال تعالى « ولقد خلقنا السماوات والأرض وما

بينهما في ستة أيام و ما حسنا من لغوب »^(٦) .

(١) الانعام ٩٩

(٢) الانعام ٥٩

(٣) المؤمنون ١٣

(٤) المؤمنون ١٤

(٥) المؤمنون ١٢

(٦) ق ٣٨

« ولا اعترضته في حفظ ما ابتدعه » هكذا في المصرية ، والصواب (ما ابتدع) كما في (حد ، و ثم ، والخطية) .

« من خلقه عارضة » تمنعه من الحفظ . قال تعالى « وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم » (١) .

« ولا اعتورته » : أى لا اعترضته .

« في تنفيذ الأمور » وإمضاءها .

« و تدبير المخلوقين » هكذا في المصرية ، والصواب (و تدبير المخلوقين) كما في (حد ، و ثم ، وخو ، والخطية) .

« ملالة ولا فترة » : أى ضعف ، و كيف تلحقه كلفة أو تعترضه عارضة أو تعتوره فترة في خلقه وأمره ، وهو الذي إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون .

« بل نفذ فيهم علمه » يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم » (٢) .

« و أحصاهم عدّه » « لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً » (٣) .

« و وسعهم عدله » « و تمت كلمة ربك صدقاً و عدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » (٤) .

« و غمرهم » من (غمرة الماء) إذا علاه .

« فضله » « ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض و لكن الله ذو فضل على العالمين » (٥) .

« مع تصيرهم عن كنهه » : أى حقيقة .

« ما هو أهله » « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات

(١) البقرة ٢٥٥

(٢) البقرة ٢٥٥

(٣) مريم ٤٩

(٤) الانعام ١١٥

(٥) البقرة ٢٥١

مطويات يمينه سبحانه وتعالى عما يشركون» (١) هذا . وقال (حد) - بعد نقل هذا العنوان - : لوسم النضر بن كنانة هذا الكلام لقال لقائله ما قاله علي بن إسماعيل ابن جريح لإسماعيل بن بلبل :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلاً لعمرى ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

إذن كان يفتخر به على عدنان وقحطان بل كان يقر به عين إبراهيم خليل الرحمن و يقول النضر لإبراهيم : لم يعف ما شئت من معالم التوحيد ، بل أخرج الله لك من ظهري ولداً ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب ما لم تبدعه أنت في جاهلية النبط بل لو سمع هذا الكلام أرسطاطاليس القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات لخشع قلبه وقف شعره ، واضطرب فكره ألا ترى ما عليه من الرواء والمهابة والعظمة والفخامة ، والمتانة والجزالة ، مع ما قد أُشرب من الحلاوة والطلاوة واللطف والسلاسة ، ولا أرى كلاماً يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه فإن هذا الكلام نبعة من تلك الشجرة وجدول من ذلك البحر ، وجذوة من تلك النار ، وكأنه ﷺ شرح قوله تعالى « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو و يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها و لا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » . قلت : قد أجاد في ما أفاد لكن عرفت مما نقلنا من الآيات في شرح الفقرات أن كلامه ﷺ تفسير لما قاله من الآية و آيات أخر .

٥٢٠٣٧٠٣ و قال ﷺ - و في نسخة - و سئل عن التوحيد

والعدل . فقال ﷺ : التوحيد أن لا تتوهمه ، والعدل أن لا تتهمه .

وأقول : وقال الصادق ﷺ أما التوحيد . فإن لا تجوز على ربك ما جاز عليك ، وأما العدل فإن لا تنسب إلي خالقك ما لامك عليه ، وفي الخبر أن أبا الصلت الهروي قال للرضا ﷺ : لأي علة أغرق الله تعالى الدنيا كلها في زمن نوح ، وفيهم الأطفال

و من لا ذنب له ؟ فقال : ما كان فيهم الأطفال لأن الله تعالى أعقم أصلاب قومهم وأرحام نسائهم أربعين عاماً . فانقطع نسلهم ففرقوا ولا طفل فيهم ، وما كان الله تعالى ليهلك بعدا به من لا ذنب له ، وأما الباقون فاغرقوا لتكذيبهم لنبيهم وسائرهم أغرقوا برضاهم تكذيب المكذبين ، ومن غاب عن أمر فرضى به كان كمن شاهده و أتاه .

٢٠٩٥٣ و من خطبة له عليه السلام وَ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدْلٌ وَ حَكْمٌ فَصْلٌ .

أقول : قال (حد) : الضمير في قوله عليه السلام (و أشهد أنه) يرجع إلى القضاء والقدر المذكور في صدر هذه الخطبة ولم يذكره الرضى - رحمه الله - قلت : إن وجد الخطبة كما ذكر و إلا فنقول : إن الضمير فيه يرجع إليه تعالى ، ولو كان راجعاً إلى القدر كما ذكر لكنت القاعدة أن يقول (عدل عدل فيه ، و حكم فصل فيه) ولا يحتاج إلى تكلفه أنه نسب العدل إلى القضاء مجازاً ، وحينئذٍ (فعدل) بمعنى عادل، واستعماله كذلك كثير كالخلق بمعنى المخلوق و (حكم) بفتحين بمعنى الحاكم ، و في الخبر أن يهودياً سأله عليه السلام عما ليس لله ، و عما لا يعلمه ، و عما ليس عنده . فقال عليه السلام : أما ما ليس لله فليس له شريك ، و أما ما لا يعلمه فقولكم : عزيز ابن الله ، و أما ما ليس عند الله فليس عنده ظلم . فقال اليهودى : أشهد ألا إله إلا الله ، و أن محمداً رسول الله ، و ورد أن أبا حنيفة خرج من عند الصادق عليه السلام فاستقبله الكاظم عليه السلام و هو يومئذ غلام . فقال له : يا غلام ممن المعصية . فقال : لا يخلو من ثلاث : إما أن يكون من الله تعالى - وليست منه - فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لا يكتسبه ، و إما أن يكون من الله و من العبد - وليس كذلك - فليس ينبغي للشريك القوى أن يظلم الشريك الضعيف و إما أن يكون من العبد - وهى منه - فإن عاقبه الله فبذنبه ، و إن عفا عنه فبكرمه وجوده .

هذا ، و مما يدخل في موضوع كتابه ، ولم ينقله مما هو راجع إلى التوحيد مارواه الكليني عن الكوفي والعطّار مرفوعاً ، والصدوق في أسنادين عن الصادق عليه السلام أن أمير -

المؤمنين ﷺ استنهض الناس إلى حرب معاوية في المرة الثانية فلمّا حشر الناس قام خطيباً . فقال :

الحمد لله الواحد الأحد الصمد ، المتفرد الذي لا من شيء كان ، ولا من شيء خلق ما كان ، قدرة بان بها من الأشياء ، و بانث الأشياء منه ، فليست له صفة تنال ، ولا حد . يضرب له فيه الأمثال ، كل دون صفاته تحييرا للغات ، و ضلّ هنالك تصاريف الصفات ، و حارفي ملكوته عميقات مذاهب التفكير ، و انقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير ، و حال دون غيبه المكنون . حجب تاهت في أدنى أدانيها طامعات العقول في لطيفات الأمور ، فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم . ولا يناله غوص الفطن ، و تعالى الله الذي ليس له أول مبتدئ ، و غاية منتهى ، ولا آخر يقنى ، سبحانه هو كما وصف نفسه ، و الواصفون لا يبلغون نعمته ، و حدّ الأشياء كلها عند خلقه إياها ، إبانة لها من شبهة ، و إبانة له من شبهها ، فلم يحلل فيها فيقال : هو فيها كائن ، و لم ينأ عنها فيقال : هو منها بائن ، و لم يدخل منها . فيقال له : أين لكنّه ، سبحانه أحاط بها علمه ، و أتقنها صنعه ، و أحصاها حفظه لم يعزب عنه خفيات غيوب الهوى و لا غوامض مكنون ظلمة الدجى ، و لا ما في السماوات العلى و الأرضين السفلى .

لكل شيء منها حافظ و رقيب ، و كل شيء منها بشيء محيط ، و المحيط بما أحاط منها ، الواحد الأحد الصمد ، الذي لا يغيره صروف الزمان ، و لم يتكأّده صنع شيء كان إنّما قال لما شاء : كن فيكون .

ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ، و لا تعب و لا نصب ، و كلّ صانع شيء ، فمن شيء صنع ، و الله لا من شيء صنع ما خلق ، و كلّ عالم فنّ بعد جهل تعلم ، و الله لم يجعله و لم يتعلم ، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها ، فلم يزدد بكونها علماً بها قبل أن كونها كعلمه بها بعد تكوينها ، لم يكونها لتشديد سلطان ، و لا خوف من زوال و نقصان و لا استعانة على ضدّ مساور ، و لا ندّ مكائر ، و لا شريك مكابر لكن خلّاق مربوبون ، و عباد داخرون .

فسبحان الذي لا يؤده خلق ما ابتداء ، و لا نديب ما برء ، و لا من عجز و فترة بما خلق

اكتفى علم ما خلق ، و خلق ما علم ، لا بالتفكير ، ولا تعلم ، حادث أصاب ما خلق ، ولا شبهة دخلت عليه في ما لم يخلق ، لكن قضاء مبرم ، و علم محكم ، و أمر متقن ، توحّد بالربوبية ، و خصّ نفسه بالوحدانية ، و استخلص بالمجد والثناء ، و تفرّد بالتوحيد والثناء ، و توحّد بالتحميد ، و تمجّد بالتمجيد ، و علا عن اتخاذ الأبناء ، و تطهّر و تقدّس عن ملامسة النساء ، و عزّ و جلّ عن محاوراة الشركاء .

فليس له في ما خلق ضدّ ، و لاله في ما ملك ندّ ، و لم يشركه في ملكه أحد .
الواحد الأحد الصمد ، المبيد للأبد ، والوارث للأمد ، الذي لم يزل ولا يزال .

وحدانياً أزلياً قبل بدء الدهور ، و بعد صرف الأمور ، الذي لا يبيد ولا ينفد بذلك أصف ربّي . فلا إله إلا الله من عظيم ما أعظمه ، و من جليل ما أجلكه ، و من عزيز ما أعزّه - إلخ - .

لكن مرّ بعض فقراتها في العناوين المتقدّمة باتّفاق و اختلاف .

و ما روياه بأسنادهما عن محمد البرقي ، عن أحمد بن النضر وغيره ، عن عمرو بن ثابت ، عن رجل سمّاه ، عن أبي إسحاق السبيعي عن العارث الأعور قال خطب أمير المؤمنين ﷺ يوماً بعد العصر فعجب الناس من حسن صقته ، و ما ذكره من تعظيم الله تعالى . قال أبو إسحاق : فقلت للهارث : أو ما حفظتها ؟ قال : كتبها . فأملأها علينا من كتابه :

الحمد لله الذي لا يموت ، ولا تنقضي عجائبه لأنّه كلّ يوم في شأن من إحداث بديع لم يكن ، الذي لم يلد فيكون في العزّ مشاركاً ، و لم يولد فيكون موروثاً هالكاً ، و لم تقع عليه الأوهام فتقدّره شعباً ماثلاً ، و لم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلاً .

الذي ليست في أوليته نهاية ، ولا لآخريته حدّ ولا غاية . الذي لم يسبقه وقت ، و لم يتقدّمه زمان ، ولا يتعاوره زيادة ولا نقصان ، و لا يوصف بأين و لا بيم و لا بمكان .

الذي بطن من خفيات الأمور ، وظهر في العقول بما يرى في خلقه من علامات التدبير . الذي سئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحد ولا ببعض ، بل وصفته بأفعاله ، ودلت عليه بآياته ، لا تستطيع عقول المتفكرين جرده لأن من كانت السماوات والأرض فطرته ، وما فيهن وما بينهن ، وهو الصانع لهن . فلا مدافع لقدرته .

الذي بان من الخلق فلا شيء كمثلته . الذي خلق الخلق لعبادته ، وأقدرهم على طاعته بما جعل فيهم ، وقطع عندهم بالحجج فعن بينة هلك من هلك ، وبمنته نجان ، والله الفضل مبدء ومعيداً ، ثم إن الله وله الحمد افتتح الكتاب بالحمد لنفسه ، وختم أمر الدنيا ومجىء الآخرة بالحمد لنفسه . فقال «وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» .

الحمد لله اللابس الكبرياء بالتجسد والمتردى بالجلال بالتمثيل ، والمستوى على العرش بلازوال ، والمتعالى على الخلق بلا تباعد منهم ، ولا ملامسة منه . لهم ليس له حد ينتهى إلى حده ، ولا له مثل فيعرف بمثله ، ذلك من تجبر غيره ، وصغر من تكبر دونه ، وتواضعت الأشياء لعظمته ، وانقادت لسلطانه وعزته ، وكلت عن إدراكه ظروف العيون ، وقصرت دون بلوغ صفته أوهام الخلائق .

الأوّل قبل كل شيء ولا قبل له ، والآخر بعد كل شيء ولا بعد له . الظاهر على كل شيء بالقهر له ، والمشاهد لجميع الأماكن بلا انتقال إليها . لا تلمسه لاهمة ولا تحسه حاسة . هو الذي في السماء إله ، وفي الأرض إله ، وهو الحكيم العليم أتقن ما أراد من خلقه من الأشياء كلها لا بمثال سبق إليه ، ولا لغوب دخل عليه في خلق ما خلق لديه ، ابتداء ما أراد ابتدائه ، وأنشأ ما أراد إنشائه على ما أراد من الثقلين الجن والإنس ليعرفوا بذلك ربوبيته ، وتمكّن فيها طواعيته .

نحمده بجميع محامده كلها على جميع نعمائه كلها ، ونستهديه طرأشاً مورناً ، ونعوذ به من سيئات أعمالنا ؛ ونستغفره للذنوب التي سلفت منا .

وهي أيضاً كسابقتها في اشتمال العناوين المتقدمة على بعض فقراتها .
وما رواه الصدوق مسنداً عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام خطب أمير المؤمنين

عليه السلام الناس في مسجد الكوفة . فقال :

الحمد لله الذي لا من شيء كان ، ولا من شيء كونه ما قد كان ، مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته ، وبما وسماها به من العجز على قدرته ، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه ، لم يخل منه مكان فيدرك بأينيته ، ولا له شبه مثال فيوصف بكيفيته ، ولم يغب عن علمه شيء فيعلم بحيثيته ، مباين لجميع ما أحدث في الصفات وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات ، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات ، محرم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده ، وعلى عوامق ناقبات الفكر تكييفه ، وعلى غوائس سابحات النظر تصويره ، لا تحويه الأماكن لعظمته ، ولا تذرعه المقادير لجلاله ، ولا يقطعها لمقاييس لكبريائه . ممتنع عن الأوهام أن تكتنهنه ، وعن الأفهام أن تستعرفه ، وعن الأذهان أن تمثله ، قديست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحار العلوم ، ورجعت بالصغر عن السموات إلى وصف قدرته ، لطائف الخصوم .

واحد لا من عدد ، ودائم لا بأمد ، وقائم لا بعمد ، ليس يجنس فتعادلها الأجناس ولا يشبح فتصارعه الأشباح ، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات ، قد ضلّت العقول في تيار أمواج إدراكه ، وتحيّرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليته ، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته ، وغرقت الأذهان في ليجج أفلاك ملكوته مقتدر بالآلاء ، وممتنع بالكبرياء ومتملك على الأشياء . فلا دهر يخلقه ، ولا وصف يحيط به ، قد خضعت له ثوابت الصعاب في محل تخوم قرارها ، وأذعن له رواصن الأسباب في منتهى شواحق أقطارها مستشهد بكلمة الأجناس على ربوبيته ، وبعجزها على قدرته ، وبفطورها على قدمته ، وبزوالها على بقائه ، فلانها محيصة عن إدراكه إبانها ، ولا خروج من إحاطته بها ، ولا احتجاب عن إحصائه لها ، ولا امتناع من قدرته عليها ، كفي باتقان الصنع لها آية ، وبمركب الطبع عليها دلالة ، وبحدوث الفطر عليها قدرة ، وبأحكام الصنعة لها عبرة . فلا إليه حد منسوب ، ولاله مثل مضروب ، ولا شيء عنه محجوب ، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقية علواً كبيراً .

وما رواه أيضاً مسنداً عن الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة خطبها بعد موت النبي صلى الله عليه وآله بسبعة أيام وذلك حين فرغ من جمع القرآن : الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تنال إلا وجوده ، وحجب العقول عن أن تتخيل ذاته في امتناعها من الشبه والشكل ، بل هو الذي لم يتفاوت في ذاته ، ولم يتبعض بتجزية العدد في كماله ، فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن ، وتمكّن منها لا على الممازجة و علمها لا بأداة لا يكون العلم إلا بها ، وليس بينه وبين معلومه علم غيره . إن قيل : كان . فعلى تأويل أزلية الوجود ، وإن قيل : لم يزل . فعلى تأويل نفي العدم . فسبحانه وتعالى عن قول من عبد سواه ، واتخذ إلهاً غيره علواً كبيراً .

ورواه الروضة والتحف واصفين له بالخطبة المعروفة بالوسيلة .

ومارواه الروضة بعنوان الخطبة الطالوتية مسنداً عن ابن التيهان أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة . فقال :

الحمد لله الذي لا إله إلا هو . كان حياً بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكنه كيف ، ولا كان له أين ، ولا كان في شيء ، ولا كان على شيء ، ولا ابتدع لكنه مكاناً ، ولا قوى بعد ما كون شيئاً ، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكون شيئاً ، ولا كان متوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً ، ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه ، ولا يكون خلواً منه بعد زهابه .

كان إلهاً حياً بلا حياة ، ومالكاً قبل أن ينشئ شيئاً ، ومالكا بعد إنشائه للكون وليس يكون لله كيف ، ولا أين ، ولا حد يعرف ، ولا شيء يشبهه ، ولا يهرم لطول بقائه ولا يضعف لذعره ، ولا يخاف كما تخاف خليقته من شيء ، و لكن سميع بغير سمع ، وبصير بغير بصر ، وقوى بغير قوة من خلقه ، لا يدركه حدق الناظرين ، ولا يحيط به سمع السامعين إذا أراد شيئاً كان بلا مشورة ، ولا مظاهره ولا مخابرة ، ولا يسأل أحداً من خلقه عن شيء من خلقه أراده .

وما رواه أيضاً مسنداً عن الباقر عليه السلام . قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام . فقال :

الحمد لله الخافض الرافع ، الضار النافع ، الجواد الواسع ، الجليل ثنائها الصادقة

أسمائه ، المحيط بالغيوب ، وما يخطر على القلوب ، الذي جعل الموت بين خلقه عدلاً وأنعم بالحياة عليهم فضلاً ، فأحیی وأمات ، وقدر الأوقات ، أحكمها بعلمه تقديراً فأتقنها بحكمته ، أنه كان خبيراً بصيراً ، هو الدائم بلا فناء ، والباقي إلى غير منتهى يعلم ما في الأرض وما في السماء ، وما بينهما ، وما تحت الثرى .
وما رواه مسنداً عن الصادق ﷺ أن أمير المؤمنين ﷺ خطب يوم الجمعة .
فقال :

الحمد لله أهل الحمد ، ووليهد البديع البديع . الأجل الأَعْظَم ، الأَعزُّ الأَكْرَم المتوحد بالكبرياء ، والمتفرد بالآلاء ، القاهر بعزّه ، والمتسلط بقهره ، الممتنع بقوته المهيمن بقدرته ، والمتعالى فوق كل شيء بجبروته ، المحمود بامتنانه وإحسانه ، المتفضل بعبائده ، وجزيل فوائده ، الموسع برزقه ، المسبغ بنعمته ، نحمده على آلائه ، وتظاهر نعمائه . حمداً يزن عظمة جلاله ، ويملاً قدر آلائه وكبريائه .
وما رواه المسعودى في إثباته رسالاً من خطبته ﷺ في انتقال نور النبي صلى الله عليه وآله .

الحمد لله الذى توحد ب صنع الأشياء ، و فطر أجناس البرايا على غير أمل واصل ولا مثال سبقه في إنشائها ، ولا إعانة معين على ابتداعها ، بل ابتدعها بلطف قدرته . فامتثلت في مشيئته ، غاضبة ذليلة مستحدثة لأمره . الواحد الأحد . الدائم بغير حد ولا أمد ، ولا زوال ولا نفاذ ، وكذلك لم يزل ولا يزال . لا تغيره الأزمنة ، ولا تحيط به الأمكنة ولا تبلغ صفاته الألسنة ، ولا يأخذه نوم ولا سنة ، لم تره العيون فتخبر عنه برؤيته ، ولم تهجم عليه العقول فتتوهم كنه صفته ، ولم يدركه كيف هو إلا بما أخبر عن نفسه . ليس لقضائه مرد ، ولا لقوله مكذب .

ابتدع الأشياء بغير تفكر ولا معين ، ولا ظهير ولا وزير ، فطرها بقدرته ، وصيرها إلى مشيئته ، و صاغ أشباحها ، و برء أرواحها ، و استنبط أجناسها ، خلقاً مبروءاً منذرئاً في أقطار السماوات والأرضين ، لم يأت شيء منه على غير ما أراد أن يأتى عليه ليرى عباده آيات جلاله و آلائه . فسبحانه لا إله إلا هو الواحد القهار .

أيضاً لقد لطف علمك ، وجلّ قدرتك عن التفسير إلا بمادعوت إليه من الإقرار
بربوبيتك ، وأشهد أن الأعين لا تدركك ، والأوهام لا تلحقك ، والعقول لا تصفك ،
والمكان لا يسعك ، وكيف يسع من كان قبل المكان ، و من خلق المكان أم كيف تدركه
الأوهام ، وكيف تؤمر له الأوهام على أمره .

وهو الذي لا نهاية له ولا غاية ، وكيف تكون له نهاية وغاية ، وهو الذي ابتداء
الغايات والنهايات ، أم كيف تدركه العقول ، ولم يجعل لها سبيلاً إلى إدراكه ، وكيف
يكون لها سبيل إلى إدراكه ، وقد لطف بربوبيته عن المجاسة والمجاسة ، وكيف
لا يلطف عنهما من لا ينتقل عن حال إلى حال ، وقد جعل الانتقال نقصاً وزوالاً .

فسيحانك ملأت كل شيء ، و باينت كل شيء . فأنت الذي لا يفقدك شيء ، و
أنت الفعال لما تشاء ، تباركت يا من كل مدروك من خلقه ، و كل محدود من صنعه ،
أنت الذي لا يستغنى عنك المكان ، ولا نعرفك إلا بانفراد الوجدانية والقدرة .
و ما نقله البحراني في صحيفة العلوية .

الحمد لله أوّل محمود ، وآخر معبود ، وأقرب موجود . البديء بلاعدم لا زليته
ولا آخر لا وليته ، والكائن قبل الكون بلاكيان ، والموجود في كل مكان بلا عيان ، و
القريب من كل نجوى بغير تدان ، علنت عنده الغيوب ، وضلت في عظمتها القلوب .
فلا الأبصار تدرك عظمتها ، ولا القلوب على احتجابه تنكر معرفته ، يمثّل في القلوب بغير
مثال تحده الأوهام أو تدركه الأحلام .

ثم جعل من نفسه دليلاً على تكبره عن الضد والند ، والشكل والمثل .
فالوجدانية آية الربوبية ، والموت الآتي على خلقه ، مخبر عن خلقه وقدرته . ثم
خلقهم من نطفة ، ولم يكونوا شيئاً دليل على إعادتهم خلقاً جديداً بعد فناهم كما خلقهم
أوّل مرّة .

والحمد لله رب العالمين . الذي لم يضره بالمعصية المتكبرون ، ولم ينفعه بالطاعة
المتعبدون ، الحليم عن الجبايرة المدعين ، والممهّل للزاعمين له شركاء في ملكوته ، الدائم
في سلطانه بغير أمد ، والباقي في ملكه بعد انقضاء الأبد ، والفرد الواحد الصمد ، والمتكبر

عن صاحبة والولد ، رافع السماء بغير عمد ، ومجرى السحاب بغير صمد ، قاهر الخلق بغير عمد ، لكن هو الواحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . والحمد لله الذي لم يخل من فضله المقيمون على معصيته ، ولم يجازه لأصغر نعمه المجتهدون في طاعته . الغنى الذي لا يرضى برزقه على جاحده ، ولا ينقص عطاياه أرزاق خلقه ، خالق الخلق ومفنيه ، ومعيده ومبديه ، عالم ما كنّته السرائر ، وأخفته الضمائر ، واختلفت به الألسن ، وأنسته الأزمن ، الحي الذي لا يموت ، والقيوم الذي لا ينام ، والدائم الذي لا يزول ، والعدل الذي لا يجور ، الصافح عن الكبائر بفضله ، والمعذب من عذبه به بعدله ، لم يخف الفوت فحلم ، و علم الفقر إليه فرحم ، وقال في محكم كتابه : «ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة» أحمدته حمداً استزیده في نعمته واستجیر به من نعمته ، وأتقرب إليه بالتصديق لنبيه المصطفى لوجهه ، المتحيز لرسالته ، المختص بشفاعته - إلخ -

و في الجميع فقرات مرت في العناوين السابقة .



﴿ الفصل الثاني ﴾

في خلق السماء والأرض والشمس والقمر

والنجوم والعرش والكرسي

مر في سابقه في ٢٥ قوله ﷺ : و أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال ، وأرساها على غير قرار ، وأقامها بغير قوائم ، ورفعها بغير دعائم ، وحصنها من الأود والاعوجاج ومنعها من التهافت والانفراج ، أرسى أوتادها ، وضرب أسداها ، واستفاض عيونها ، وخذ أوديتها فلم يهن ما بناه ، ولا ضعف ما قواه ، مع شرحه .

١١١١١ - بعد ما مر في سابقه - ثم أنشأ سبحانه فتق
 الأجواء ، وشق الأرجاء و سكائك الهواء ، فأجرى فيها ماء متلاطماً
 تياره . متراكماً زخاره ، حملة على متن الريح العاصفة ، والززع
 القاصفة ، فأمرها برده ، وسلطها على شده ، وقرنها إلى حده ،
 الهواء من تحتها فتيق . والماء من فوقها دفيق . ثم أنشأ سبحانه
 ريحاً اعتقم مهبها ، وأدام مر بها ، وأعصف مجراها ، وابعث منشاها
 فأمرها بتصفيق الماء الزحار ، وإثارة موج البحار . فمخضته مخض
 السماء ، وعصفت به عصفها بالفضاء ، ترد أو له إلى آخره ، وساجيه
 إلى مائرة ، حتى عب عبابه ، ورمى بالزبد ركامه ، فرفعه في هواء

مَنْفَتِقٍ ، وَ جَوٍ مِّنْفَهِقٍ ، فَسَوَى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ، جَعَلَ سَفْلَاهُنَّ
 مَوْجًا مَّكَفُوفًا ، وَ عَلَيْهِنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا ، وَسَمَكًا مَرْفُوعًا ، بِغَيْرِ عَمَدٍ
 يَدْعُمُهَا ، وَ لِأَدْسَارٍ يَنْظُمُهَا ، ثُمَّ زَيْنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَ ضِيَاءِ
 الثَّوَابِقِ وَ أَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا ، وَ قَمَرًا مُنِيرًا ، فِي فَلَكَ دَائِرٍ
 وَ سَقْفٍ سَائِرٍ ، وَ رَقِيمٍ مَائِرٍ .

أقول : مرّ في أوّل الفصل السابق الكلام في مستنده .

« ثم أنشأ سبحانه » قالوا : (ثم) هنا للتفصيل بعد الإجمال في سابقه .

« فتنق » والفتق : ضدّ الرتق .

« الأجواء » جمع الجو ، وفسر الجو بشيئين ما بين السماء والأرض ، والفضاء
 الواسع لكن الصواب الثاني حيث إنّ كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ في الجو قبل خلق الأرض والسماء
 و قد قال أبو عمرو في قول طرفة :

مالك من قبرة بمعمر ❦ خلالك الجوفبيضي واصفري

الجو : ما اتسع من الأودية .

« وشق » مصدر عطف على (فتق) .

« الأرجاء » والأرجاء : جمع رجي : أى الناحية . قال تعالى « والملك على

أرجائها » (١) .

« و سكائك الهواء » في اللسان : السكك والسكاكة : الهواء بين السماء والأرض ،
 وقيل : الذي يلاقى عنان السماء ، ومنه قولهم : لا أفعل ذلك ولو نزوت في السكك :
 أى في السماء ، وفي حديث الصبية المفقودة . قالت : فحملنى على خافية من خوافيه . ثم
 دوّم بي في السكك . السكك والسكاكة : الجو ، وهو ما بين السماء والأرض ، ومنه حديث
 على عَلَيْهِ السَّلَامُ : شقّ الأرجاء و سكائك الهواء . السكائك : جمع السكاكة كذؤابة وذؤائب

والسكة : الطريق المستوي ، و به سميت سلك البريد . قال العجاج :
حننت على سكة السارى فجا وبها سحامة من حمام ذات أطواق
و قال العجاج : نضربهم إن أخذوا السكائن .

هذا . و بدل مطالب السؤل قوله : و سكائك الهواء بقوله : رتق الهواء ، وكيف
كان فقال (حد) ظاهر كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الفضاء الذي هو الفراغ الذي يحصل فيه الأجسام
خلقه الله تعالى ، ولم يكن من قبل ، و هذا يقتضى كون الفضاء شيئاً لأن المخلوق
لا يكون عدماً محضاً ، وليس ذلك بعيد فقد ذهب إليه قوم من أهل النظر ، وجعلوه جسماً
لطيفاً خارجاً عن مشابهة هذه الأجسام ، و منهم من جعله مجرداً .

قلت : والصواب كونه جسماً لطيفاً يشهد له قول السجّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في تسبيح الصحيفة
«سبحانك تعلم وزن الفيء و الهواء» و يمكن أن يكون قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : و سكائك الهواء
إشارة إلى ما اكتشفوه في هذه العصور من أمواج الهواء التي تحمل الأصوات في الراديات
« فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره » : أى موجه ، و في الصحاح يقال : قطع
عرقاً تياراً : أى سريع الجرية ، و قال عدى : كالبحر يقذف بالتيار تياراً .
« متراكماً » : أى مترابكاً .

« زخاره » من (زخر الوادى) إذا امتدّ جداً وارتفع .

« حمله على متن الريح العاصفة » : أى الشديدة .

« والزعزع » : أى المحركة للأشياء .

« القاصفة » أى الكاسرة لها يقال : قصفت الريح السفينة . قال المجلسى : و هذه

الريح غير الهواء المذكور أولاً . فقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ لزيد بن وهب : الريح على الهواء و الهواء
تمسكه القدرة . فيمكن أن تكون مقدّمة في الخلق عليه أو متأخرة عنه أو مقارنة له .
« فأمرها برده و سلطها على شدة و قرنها إلى حده » قال المجلسى : يعنى أمر

الريح أن تحفظ الماء ، و ترده بالمنع عن الجرى الذي سبقت الإشارة إليه بقوله :
فأجرى فيها ماء . فكان قبل الرد قد خلى وطبعه - أى عن الجرى الذي يقتضيه طبعه -

و قوّاها على ضبطه كالشيء المشدود ، وجعلها مقرونة إلى انتهائه محيطه به .

قلت : مقتضى كلامه أن الله تعالى أجرى الماء أولاً في الهواء المجرد بجعل الهواء حاملاً له ، وأن الماء كان جارياً بحيث يثقل على مقتضى طبيعته من الحركة إلى السفلى . ثم حمله على ظهر الريح فقسرت جريته وعكسته مع أن ظاهر كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن جريته أولاً في الهواء كان بتوسط حمله على ظهر الريح . فإن الظاهر أن قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : حمله على متن الريح العاصفة - إلخ - حال من (ماء) في قوله : فأجرى فيها ماء - إلخ - . أى أجرى الماء حاملاً له على متن الريح ، ولو كان المعنى كما ذكر لقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : ثم حمله .

« الهواء من تحتها فتيق » : أى منشق .

« والماء من فوقها دفيق » قال الجوهرى : « دفقت الماء : أى صببته فهو ماء دافق : أى مدفوق كما قالوا : سرّكتم : أى مكنوم لأنّه من قولك : دفق الماء مجهولاً . قلت : بل الظاهر أن قولهم : ماء دافق ، ومثله : ماء دفيق كما هنا بمعنى وثاب . قال تعالى « فلينظر الإنسان ممّ خلق خلق من ماء دافق »^(١) . قال المجلسى : معنى قوله : الهواء . إلى دفيق : أن الهواء الذي محلّ الريح مقتوق : أى مقتوح منبسط من تحت الريح الحاملة للماء ، والماء دفيق من فوقها : أى مصبوب مندفق ، والغرض أنّه سبحانه بقدرته ضبط الماء المصبوب بالريح الحاملة له كما ضبط الريح بالهواء المنبسط ، وهو موضع العجب قلت : بل الظاهر أن الغرض أن مقتضى الطبيعة أن يكون الماء تحت والريح فوقه ، والهواء فوقها ، وهو تعالى جعل الريح وسطاً والماء فوقها والهواء تحتها ، وهو موضع العجب .

« ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها » اعتقم من قولهم (رحم معقومة) : أى مشدودة لا تلد .

و أدام مهبها » : أى أقامتها في محلّها من قولهم : مربّ الأبل : ملكان لزمته . قال المجلسى : الظاهر أن هذه الريح غير ما جعلها الله محلاً للماء بل هى مخلوقة من الماء كما سيأتى في الرواية . قلت : كون هذه الريح غير الأولى لا يحتاج فيه إلى الاستناد

إلى الرواية الدالة على خلقها من الماء بل نفس هذه الفقرة مع ظهورها في عدم خلقها من ذلك الماء كالصريحة في التغيرات للتعبير بقوله : ثم أنشأ - إلخ - ، وقال (حد) استدلال الراوندى لتغيرات الريح الثانية مع الأولى بتعريف الأولى وتنكير الثانية ، وردّه بأنه ليس مستفاداً من مجردهما بل من كون إحداهما تحت الماء والأخرى فوقه . قلت : و أى مانع من أن يجعل مقداراً من ريح واحدة تحت الماء ، و مقداراً فوقه . فالصواب أن يستند إلى التعبير بفقرة : ثم أنشأ .

« و أعصف » : أى أشد .

« مجراها » : أى جريانها .

« و أبعد منشأها » من منتهاها .

« فأمرها بتصفيق » قال الجوهري : الصفق : الضرب الذى يسمع له الصوت .

« الماء الزخار » : أى الكثير .

« و إثارة » من : (اثار الغبار) .

« موج البحار » يجعله فوق و تحت .

« فمخضته » أى : حرّ كته .

« مخض السقاء » : أى سقاء اللبن لأخذ زبده .

« و عصفت به » : أى بالماء .

« عصفها بالفضاء » : أى حرّكت الماء مثل تحريكها للفضاء .

« تردّ أوّله إلى » هكذا في المصرية ، والصواب : على كما في (حد ، والخطية) .

« آخره و ساجيه » : أى ساكنه .

« إلى » هكذا في المصرية ، والصواب : على كما في (حد ، والخطية) .

« ماثرة » : أى متحركة . قال الأعرابي :

كأنّ مشيتها من بيت جاريتها ✽ مور السحابة لاريث ولا عجل

« حتّى عبّ عبايه » : أى ارتفع سيله و موجه أوصوت .

« و رمى بالزبد » : أى زبد الماء .

« ركامه » : أى متراكمه .

« فرفعه في هواء منفتح » : أى منشق .

« وجو متفلق » : أى متسع .

« فسوتى منه سبع سماوات » و روى الكافي عن الباقر عليه السلام قال : كان كل شيء ماء ، و كان عرشه على الماء . فأمر الله تعالى الماء فاضطرم ناراً . ثم أمر النار فخدمت . فارتفع من خمودها دخان فخلق الله السماوات من ذلك الدخان ، و خلق الأرض من الرماد ، و روى في خبر آخر عنه عليه السلام : و خلق الشيء الذي جميع الأشياء منه ، وهو الماء فجعل نسب كل شيء إلى الماء ، ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه ، و خلق الريح من الماء . ثم سلط الريح على الماء . فشقت الريح متن الماء حتى صار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور . فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ليس فيها صدع ولا نقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة ، ثم طواها فوضعها فوق الماء ، ثم خلق الله النار من الماء فشقت النار متن الماء حتى صار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولا نقب ، و روى تفسير القمي عن الصادق عليه السلام في خبر قال : كان عرشه على الماء ، والماء على الهواء ، والهواء لا يحد ولم يكن يومئذ خلق غيرهما ، و الماء يومئذ عذب فرات . فلما أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجاً . ثم أزبد فصار زبداً واحداً فجعله في موضع البيت . ثم جعله جبلاً من زبد . ثم دحا الأرض من تحته . فقال : إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً . إلى أن قال : فلما أراد أن يخلق السماء أمر الرياح . فضربت البحور حتى أزبدتها فخرج من ذلك الموج ، و الزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار . فخلق منه السماء . فجعل فيها البروج و منازل الشمس والقمر ، و أجراها في الفلك و كانت السماء خضراء على لون الماء العذب ، و كانا مرتوقيتين ليس لهما أبواب - الخبر .

« جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً » عن السقوط ، و في خبر الشامي عن الباقر عليه السلام و قد سأله عن السماء الدنيا . فقال : هي من موج مكفوف .

« وعليهن سقفاً محفوظاً » هكذا في النهج ولكن في مطالب السؤال نقله : وسقفاً محفوظاً بدون كلمة (عليهن) و عليه يصير المعنى كون سفلاهن سقفاً محفوظاً ككونها

موجاً مكفوفاً ، وكأنه أصبح . فقال تعالى « وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون » (١) فجعل السفلى سقفاً محفوظاً ، وكذلك قوله ﷺ : « وسمكت مرفوعاً » لم يخصه الله تعالى بالعلياء . فقال « أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها » (٢) وقال - عز وجل - « والسقف المرفوع » (٣) بل قوله في ما يأتي « ثم زينها بزينة الكواكب » أيضاً يشهد لزيادة كلمة (عليها) وعلمه فلا يحتاج إلى ما تكلفه المجلسي في شرح الفقرة على نقل النهج ، فقال : يخطر بالبال أن يكون المراد أنه تعالى جعل الجهة السفلى من كل من السماوات موجهة متحركة واقعاً أو في النظر والجهة العليا منها سقفاً محفوظاً تستقر عليه الملائكة ، ولا يمكن للشياطين خرقها .

« بغير عمد يدهمها » : أي يكون عماداً لها .

« ولادسار » : أي مسمار .

« ينظمها » هكذا في المصرية ، والصواب : ينتظمها كما في (حد ، والخطية) .

« ثم زينها بزينة الكواكب » ولا ريب أن الضمير في (زينها) يرجع إلى السماء الدنيا لقوله تعالى « إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب » (٤) وقوله - عز وجل - « ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح » (٥) .

« وضيء الثواقب » والأصل في الثقب ثقب الدر ، والمراد ثقبها بضوئها . قال تعالى « وما أدريك ما الطارق النجم الثاقب » (٦) وعن الصادق ﷺ : النجم الثاقب زحل ومطلعه في السماء السابعة وأنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا . فمن ثم سماه الله النجم الثاقب .

(١) الانبياء ٢٣

(٢) النازعات ٢٧

(٣) الطور ٥

(٤) الصافات ٤

(٥) الملك ٥

(٦) الطارق ٢-٣

« وأجرى فيها سراجاً مستظيراً » قال تعالى « وجعلنا سراجاً وهاجاً » (١) وقال - عز وجل - « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (٢) وقال الصادق عليه السلام للمفضل فكر في تنقل الشمس في البروج الاثني عشر لإقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير - إلى أن قال - وانظر إلى شروقها على العالم كيف دبّر أن يكون فإنها لو كانت تبرز في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات لأن الجبال والجدران كانت تحجبها عنها . فجعلت تطلع في أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استقر عنها في أول النهار . فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ بقسط من المنفعة منها والارب التي قدرت له .

« وقمرأ منيراً » « وجعل القمر فيهن نوراً » (٣) .

« في فلك دائر و سقف سائر و رقيم : أي منتقش .

« مائر » : أي متحرك ، والظاهر أن (دائر) خبر لكلمة (كل) محذوفة لصفة افلك ، و في فلك متعلق به و مثله (سائر) و (مائر) فيكون المعنى : كل من الكواكب والشمس والقمر دائر في فلك ، و سائر في سقف ، و مائر في رقيم . فيكون مساوفاً لقوله تعالى - بعد ذكر الشمس والقمر - « كل في فلك يسبحون » (٤) قال الصادق - بعد ذكر مقدار من حكمه تعالى في الشمس والقمر والنجوم - : مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة و مشرقة ومغربة من العبر . فإنها تسير أسرع السير وأحسبها رأيت لو كان الشمس والقمر والنجوم بالقرب سنأ حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه ألم تكن تخطف الأبصار بوهجها وشعاعها كالذي يحدث أحياناً من البروق إذا توالى واضطربت في الجو ، وكذلك أيضاً لو أن ناساً كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم

(١) النبأ ١٠

(٢) يس ٣٨

(٣) نوح ١٦

(٤) يس ٤٠

دوراناً حيثما لحارت أبصارهم حتى يخرقوا لوجوههم فانظر كيف قدر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضرب الأبصار وتنكأها وجعل سيرها بأسرع السير لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها .

٢ ر في ٨٧ ر ١ (منها في صفة السماء) وَ نَظَمَ بِلاَ تَعْلِيْقٍ ،
 رَهَوَاتٍ فُرَجِيهَا ، وَ لَاحِمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِيهَا ، وَ وُشَّجَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ أَزْوَاجِيهَا
 وَ ذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ ، وَ الصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حَزُونََةَ مِعْرَاجِيهَا ،
 نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِيهَا ، وَ فَتَقَ بَعْدَ الْإِرْتِنَاقِ
 صَوَامِتِ أَبْوَابِيهَا ، وَ أَقَامَ رَصْدًا مِّنَ الشَّهْبِ الثَّوَابِقِ عَلَى نِقَابِيهَا ، وَ
 أَمَسَّهَا مِمَّنْ أَنْ تَمُورَ فِي خُرَاقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِ ، وَ أَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ
 مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ ، وَ جَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا وَ قَمَرَهَا آيَةً
 مَمْحُوءَةً مِّنْ لَّيْلِهَا ، فَاجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا ، وَ قَدَّرَ سَيْرَهُمَا
 فِي مَدَارِجِ دَرَجِيهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بِهِمَا ، وَ لِيَعْلَمَ عَدَدَ
 السَّنِينَ وَ الْحِسَابَ بِمَقَادِيرِهِمَا . ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَا فَلَكَهَا ، وَ نَاطَ بِهَا
 زِينَتَهَا مِّنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيهَا ، وَ مَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا ، وَ رَمَى مُسْتَرْقِي
 السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شَهْبِهَا ، وَ أَجْرَاهَا عَلَى إِذْ لَالِ تَسْخِيرِهَا مِّنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا
 وَ مَسِيرِ سَائِرِهَا ، وَ هَبُوطِهَا وَ صُعُودِهَا ، وَ نُحُوسِهَا وَ سَعُودِهَا .

« و نظم بلا تعليق رهوات فرجها » قال (حد ، و تبعه خو) : معنى الجملة أن

السماء كانت أوّل ما خلقت غير منتظمة الأجزاء بل بعضها أرفع وبعضها أخفض . فنظمها سبحانه فجعلها بسيطاً واحداً نظماً اقتضته القدرة الإلهية من غير تعليق لا كما ينظم الإنسان ثوباً مع ثوب أو عقداً مع عقد بالتعليق والخياطة .

قلت : فيه أوّلاً أنه هل كان بنائه تعالى للسماء كبناء الناس لشيء أوّلاً غير منظم لعدم فهمهم الخلل . ثمّ ينظمونه بعد الوقوف على خلله تعالى عن ذلك ، و ثانياً أن المعنى الذى قال يستلزم استعمال (الرهوات) في معنيين . قال الصحاح : الرهو والرهوة المكان المرتفع والمنخفض أيضاً يجتمع فيه الماء ، وهومن الأضداد ، واستعمال المشترك في معنيين غير جائز ، والأظهر أن (رهوات) في كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ بمعنى المنقححات كقوله تعالى « و اترك البحر رهواً » ^(١) والمراد نظمها أوّلاً و يشهد له إضافتها إلى فرجها .
« ولاحم صدوع انفراجها » : أى جعلها ملصقة ابتداء .

« ووشج » : أى خلط ، والأصل فيه الاشتباك ، ولهذا يطلق الوشيجة على عرق الشجر ، وعلى ليف يقتل لشدّ الحمل لأنّهما يشتبكان .

« بينها و بين أزواجها » : أى قرائنها كقوله تعالى « احشروا الذين ظلموا و أزواجهم » ^(٢) و قال (ثم) : المراد بأزواجها نفوسها التي هي الملائكة السماوية ، وردّه المجلسى بنقل المرتضى الإجماع من المسلمين على أن الأفلاك لا شعور لها ، وقال : يمكن أن يراد بالأزواج الملائكة الموكلون بها أو القاطنون فيها أو أشباهها من الكواكب والأفلاك الجزئية أو أشباحها في الجسمية و الامكان من الأرضيات ، وهو كما ترى لاسيما أوّل والأخير من وجوهه . فلا معنى للتوشيج بين السماوات والملائكة ، و بينها و بين الأرضيات .

« و ذلك للهابطين : » أى للملائكة الهايطين .

« بأمره » من السماء .

« والصاعدين بأعمال خلقه » من الأرض .

(١) الدخان ٢٤

(٢) الصافات ٢٢

« حزونة » : أى خشونة .

« معراجها » : أى العروج إليها .

« ناداها » هكذا من المصرية ، والصواب : وناداها كما في (حد ، وثم ، والخطية) .
« بعد إذ هى دخان » الأصل في كلامه عَلَيْهَا قوله تعالى « ثم استوى إلى السماء
وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع
سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها » ^(١) والنداء في كلامه عَلَيْهَا كالقول في
الآية حالى لا مقالى .

« فالتحمت عرى » جمع عروة . عروة الكوز وغيره .

« أشراجها » جمع الشرج ، قال الفيروز آبادى : الشرج محرّكة العرى و منفسح
الوادى ومجرة السماء ، وفرج المرثة ، وانشقاق في القوس . قلت : والظاهر أن الأصل
في معناه الانشقاق فهو يجمع معان ذكرها ، ولكن ذكر النهاية له معنيين آخرين فقال :
وفي حديث الصوم . فأمرنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالفطر فأصبح الناس شرحين . يعنى : نصف
صيام ، ونصف مفاطير ، وفي حديث مازن : فلا رأيهم رأى ، ولا شرحهم شرحى : أى
شكلهم شكلى ، ومنه حديث علقمة : وكان نسوة يأتينها مشارجات لها : أى أتراب وأقران
قلت : ويمكن إرجاعهما إليه أيضاً ، وكيف كان فقال (حد) : الشرج: عرى العيبة وسمى
مجرة السماء شرحاً تشبيهاً بشرج العيبة . قلت : لم يقل أحد أن الشرج عرى العيبة بل
مطلق العرى ، ومنشأهم (حد) أن الجوهرى قال : شرح العيبة: عراها . ففسر شرح
العبية بعرى العيبة لامطلق الشرج . ثم على تفسيره ماذا يجعله معنى الكلام فيصير معناه
فالتحمت عرى عرى عيبتها وهو بلا معنى كما أن ما ذكره من أن مجرة السماء سميت
شرحاً تشبيهاً بشرج العيبة لم يذكره أحد ، وأى شباهاً بينهما حتى تشبه به .

« وفتق بعد الارتناق صوامت أبوابها » قال تعالى « أو لم ير الذي كفروا أن
السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما » ^(٢) لكن الأخبار فسرت الآية بأن السماء

(١) فصلت ١١

(٢) الانبياء ٣٠

كانت رتقاً لا تمطر ، والأرض رتقاً لانبت . ففتقنا بالأقطار والنبات ، وأمّا قوله ﷺ (صوامت أبوابها) فقال (حد) هو وقوله بعد (على نقابها) صريح في أن للسماء أبواباً وهو مطابق لقوله تعالى « لا تفتح لهم أبواب السماء »^(١) والقرآن وكلام الإمام ﷺ أولى بالتباعد من كلام الفلاسفة الذين أحالوا الخرق على الفلك ، وقال المجلسي: وفتق صوامت الأبواب إما كناية عن إيجاد الأبواب فيها وخرقها بعد ما كانت رتقاً لا باب فيها أو فتح الأبواب المخلوقة فيها حين إيجادها ، وهذه الأبواب هي التي منها عروج الملائكة منها وهبوطها وصعود أعمال العباد وأدعيتهم وأرواحهم كما قال تعالى « لا تفتح لهم أبواب السماء » أو التي تنزل منها الأمطار كما أشار إليه تعالى بقوله « ففتقنا أبواب السماء بماء منهمر »^(٢) قلت : لقائل أن يقول : إن الآية الأولى كناية عن عدم المبالاة بهم فبعدها « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » والآية الثانية المراد بالسماء فيها جهتها كما أن كلامه ﷺ لا إباء فيه عن تفسيره بما فسره الآية المتقدمة كما عرفت ، وبالجملة كلامه ﷺ كالقرآن لا صراحة فيه في مادتها .

« و أقام رسداً من الشهب الثواقب على نقابها » نقاب : جمع نقب الطريق بين الموضوعين . قال تعالى « وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً »^(٣) لكن ظاهر كلامه ﷺ أن الإرسال كان من الأول ، و ظاهر الآية حكاية عن الجن أنه كان أخيراً والمراد بعد مولد النبي ﷺ وجمع بينهما بكونه أولاً خفيفاً و شدة أخيراً .

« وأمسكها من أن تمور » : أي تضرب . قال تعالى « يوم تمور السماء موراً »^(٤)

والمراد في القيامة .

(١) الاعراف ٤٠

(٢) القمر ١١

(٣) الجن ٩

(٤) الطور ٩

« في خراق » جمع : خرق : أى متسعَات .

« الهواء بأيدِهِ » : أى بقوّته . قال تعالى « والسماء بنيناها بأيدٍ » (١) « إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » (٢) .
« وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره » ، « وأوحى في كل سماء أمرها » (٣) .
« وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها ، وقمرها آية محوّة من ليلها » ، « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم » (٤) .

قال الصادق عليه السلام للمفضل: فكّر في طلوع الشمس وغروبها لإقامة دولتي النهار والليل . فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كلّهُ فلم يكن الناس يسعون في معاشهم، ويتصرفون في أمورهم ، والدنيا مظلمة عليهم ، ولم يكونوا يتهنأون بالعيش مع فقدهم لذّة النور وروحه والإرب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب في ذكره ، والزيادة في شرحه .

بل تأمل المنفعة في غروبها . فلولا غروبها لم يكن للناس هدى ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدى والراحة لسكون أبدانهم ، وجموم حواسهم ، وانبعاث القوّة الهاضمة لهضم الطعام ، وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء . ثم كان حرص سيحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم ، فإن كثيراً من الناس لولا جنوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدى ولا قرار حرصاً على الكسب والجمع والادخار . ثم كانت الأرض ستحمى بدوام الشمس بضياءها ، وتحمى كل ما عليها من حيوان ونبات . فقدّرها الله بحكمته وتدييره تطلع وقتاً وتغرب وقتاً بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت

(١) الذاريات ٤٧

(٢) فاطر ٤١

(٣) فصلت ١٢

(٤) الاسراء ١٢

تارة ليقضوا حوائجهم . ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤوا ويقرّوا ، فصار النور والظلمة مع تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه .

ثم فكّر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة ، وما في ذلك من التدبير والمصلحة . ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات . فيتولد فيهما مواد الثمار ، ويستكشف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر ، وتشتدّ أبدان الحيوان وتقوى ، وفي الربيع تتحرك وتظهر المواد المتوكدة في الشتاء . فيطلع النبات وتنور الأشجار ، ويهيج الحيوان للسفاد ، وفي الصيف يحتمد الهواء فتضج الثمار ، وتحلل فضول الأبدان ، وتجفّ وجه الأرض فتبها للبناء والأعمال .

وفي الخريف يصفو الهواء ، ويرتفع الأمراض ، وتصحّ الأبدان ، ويمتدّ الليل ويمكن فيه بعض الأعمال لطوله ويطيب الهواء فيه إلى مصالح أخزى لو تفصّيت لذكرها لطال الكلام .

فكّر الآن في تنقل الشمس في البروج الإثني عشر لإقامة دور السنة ، وما في ذلك من التدبير ، فهو الدور الذي تصحّ به الأزمنة الأربعة من السنة : الشتاء والربيع والصيف والخريف ، ويستوفيهما على التمام ، وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار ، وتنتهي إلى غاياتها ثم تعود فيستأنف النشو والنمو ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحوت . فبالسنة يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كل وقت وعصر من غابر الأيام ، وبها يحسب الناس الأعمار والأوقات الموقّنة للديون ، والإجارات والمعاملات ، وغير ذلك من أمورهم ، وبمسير الشمس تكمل السنة ، ويقوم حساب الزمان على الصحة . إلى أن قال :

و لو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان حالهم بل كيف يكون لهم مع ذلك بقاء أفلا يرى الناس كيف هذه الأمور الجلييلة التي لم يكن عندهم فيها حيلة ، فصارت تجرى على مجاريها لا تعتلّ ، ولا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاءه .

فكّر في إنارة القمر في ظلمة الليل والإرب في ذلك . فإنّه مع الحاجة إلى الظلمة

لهدهم الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ذا ظلمة داجية لا ضياء فيها . فلا يمكن فيه شيء من العمل لأنه ربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في تقصي الأعمال بالنهار أو لشدة الحر وإفراطه . فيعمل في ضوء القمر أعمالاً شتى كحراث الأرض ، وضرب اللبن ، وقطع الخشب ، وما أشبه ذلك . فجعل ضوء القمر معونة للناس على معاشهم إذا احتاجوا إلى ذلك وأنساً للسائرين وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض ، ونقص مع ذلك من نور الشمس وضياءها لكيلا ينسبظ الناس في العمل إنبساطهم بالنهار ، ويمتنعوا من الهدء والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرف القمر خاصة في مهله ومحاقه وزيادته ونقصانه ، وكسوفه من التنبيه على قدرة خالقه المصروف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر فيه المعبرون .

و عن أمير المؤمنين عليه السلام في الخطاب إلى الشمس عند طلوعها : أيتها الشمس البديعة التصوير . المعجزة التقدير . أني جعلت سراجاً للابصار ، ونفعاً للسكان الأمصار شروقك حياة ، وغروبك وفاة . إن طلعت إلى أمر عزيز . وإن رجعت إلى مستقر حريز أسأل الذي زين بك السماء ، وألبسك الضياء ، وصدع لك أركان المطالع ، وحجبتك بالشعاع اللامع ، فلا يشرف بك شيء إلا امتحق ، ولا يواجهك بشر إلا احترق . أن يهب لنا بك من الصحة ودفع العلة ، ورد العزبة ، وكشف الكربة - الخ - .

و عن السجاد عليه السلام في الخطاب إلى القمر عند مستهله : أيتها الخلق المطيع الدائب السريع . المتردد في منازل التقدير . المتصرف في فلك التدبير آمنت بمن نور بك الظلم ، وأوضح بك البهم . وجعلك آية من آيات ملكه ، وعلامة من علامات سلطانه وامتتهك بالزيادة والنقصان ، والطلوع والأفول ، والإبارة والكسوف في كل ذلك أنت له مطيع ، وإلى إرادته سريع . سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك . وألطف ما صنع في شأنك ، جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث . فاسأل الله ربّي وربك وخالقي وخالقك ، ومقدري ومقدرك ، ومصوري ومصورك أن يصلي على محمد وآله . وأن يجعلك هلال بركة لا تمحقها الأيام ، وطهارة لا تدنسها الآثام . هلال أمن من الآفات وسلامة من السيئات . هلال سعد لا نحس فيه ، ويمن لا نكد معه ، ويسر لا يمازجه

عسر ، و خير لا يشوبه شر ، هلال أمن و إيمان و نعمة و إحسان و سلامة و إسلام .
اللهم صلّ على محمد و آله ، و اجعلنا من أرضى من طلع عليه ، و أركبى من نظر
إليه ، و أسعد من تعبد لك فيه ، و وفقنا فيه للتوبة ، و اعصمنا فيه من الحوبة ، و احفظنا
من مباشرة معصيتك ، و أوزعنا فيه شكر نعمتك ، و ألبسنا فيه جنن العافية ، و اتمم علينا
باستكمال طاعتك فيه المنّة . إنك المنان الحميد - إلخ - .

« فأجراهما » هكذا في المصرية ، والصواب : و أجراهما كما في (حد ، و ثم ،
والخطية) .

« في مناقل » جمع منقل اسم مكان .

« مجراهما » مجرى مصدر ميمي .

« و قدّر سيرهما » هكذا في المصرية ، والصواب : مسيرهما كما في (حد ، و ثم ،
والخطية) .

« في مدارج درجهما » : أى حركتهما . قال تعالى في الأوّل « والشمس تجري
لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم »^(١) و في الثانی « والقدر قدّره منازل حتّى عاد
كالعرجون القديم »^(٢) ، و روى الصولى عن ابن عباس في منازل القمر أنّها ثمانية
و عشرون ينزل القمر كلّ ليلة منزلاً منها ، وهى : الشرطين ، والبطين ، والثريا ،
والدبران ، و الهقعة ، و الهنعة ، و الذراع ، و النثرة ، و الطرف ، و الجبهة ، و الزبرة
و الصرفة ، و العواء ، و السماك ، و الغفر ، و الزبانا ، و الأكليل ، و القلب ، و الشوالة ، و النعائم
و البلدة ، و سعد الذابح ، و سعد بلع ، و سعد السعود ، و سعد الأخبية ، و الفرغ المقدم
و الفرغ المؤخّر ، و بطن الحوت .

و في الصحاح النعائم من منازل القمر ثمانية أنجم كأنّها سرير معوج أربعة صادرة
و أربعة واردة .

(١) يس ٣٨

(٢) يس ٣٩

« ليميز بين الليل والنهار بهما » اختلف في أن أيهما أسبق . فروى الطبرى عن ابن عباس تقدم الليل و عن آخرين العكس ، و روى ابن طاووس في نجومه عن كتاب واحدة ابن جمهور القمى أن من مسائل ذى الرياستين للرضا عليه السلام أن الناس تذاكروا بين يدي المأمون في خلق الليل والنهار أيهما قبل ورجعوا بالسؤال إليه عليه السلام فقال عليه السلام : إن الله - عز وجل - خلق النهار قبل الليل ، و خلق الضياء قبل الظلمة . فإن شئتم أو جدتكم ذلك من النجوم ، و إن شئتم من القرآن . فقال ذوا الرياستين : أوجدنا من الجهتين جميعاً ، فقال عليه السلام : أما من النجوم فقد علمت أن طالع العالم السرطان . و لا يكون ذلك إلا والشمس في شرفها في نصف النهار ، و أما من القرآن فاستمع قوله تعالى فيه « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار »^(١) و رواء عن دلائل النعماني أيضاً .

« وليعلم عدد السنين » السنى الشمسية ، و السنى القمرية .

« والحساب بمقاديرهما » الأصل فيه قوله تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً و قدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق » يفصل الآيات لقوم يعلمون »^(٢) « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب و كل شيء فصلناه تفصيلاً »^(٣) « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج »^(٤) .

ومر قول الصادق عليه السلام للمفضل : فكرر الآن في تنقل الشمس في البروج الاثني عشر لا إقامة دور السنة . إلى أن قال : و استدل بالقمر . ففيه دلالة جلييلة تستعملها العامة في معرفة الشهور ، و لا يقوم عليه حساب السنة لأن دوره لا يستوى الأزمنة الأربعة و نشو الثمار و تصرفها ، و لذلك صارت شهور القمر و سنوه تتخلف عن شهور

(١) يس ٤٠

(٢) يونس ٥

(٣) الاسراء ١٢

(٤) البقرة ١٨٩

الشمس و سنيها ، و صار الشهر من شهور القمر ينتقل . فيكون مرة بالشتاء ، و مرة بالصيف .

« ثم علق في جوتها فلكتها » الظاهر أن معناه أنه تعالى علق في جوت السماء فلك الشهب والشمس والقمر قال تعالى « و كل في فلك يسبحون » (١) .

« و ناظ : أي علق والحق .

« بها زينتها من خفيات دراريها » : أي كواكبها الصغار التي كالدر .

« و مصابيح » من إضافة الصفة .

« كواكبها » : أي كواكب كالسراج .

« و رمى مسترقى » على وزن مفتعلى لأنه من سرق .

« السمع » : أي شياطين مسترقين للسمع .

« بثواقب شهبها » « و لقد جعلنا في السماء بروجاً و زينناها للناظرين و حفظناها

من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأبعه شهاب مبین » (٢) .

« و أجزاها على إزالال تسخيرها » « و سخر لكم الشمس والقمر دائبين و سخر

لكم الليل والنهار » (٣) « و النجوم مسخرات بأمره إن في ذلك -إلى- لقوم يذكرون » (٤) .

« من ثبات ثابتها و مسير سائرها » كل منهما لحكمه . قال الصادق عليه السلام للمفضل

فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة و تحجب في بعضها كمثل الثريا و الجوزاء

و الشعرين و سهيل ، فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد منها

على حياله دلالات يعرفها الناس و يهتدون بها لبعض أمورهم كعرفتهم الآن بما

يكون من طلوع الثريا و الجوزاء إذا طلعت ، و احتجابها إذا احتجبت . فصار ظهور

(١) يس ٤٠

(٢) الحجر ١٦-١٨

(٣) ابراهيم ٣٣

(٤) النحل ١٢-١٣

كل واحد واحتجابه في وقت غير وقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منهما على حدته ، وكما جعلت الثريا وأشباهاها تظهر حيناً وتحجب حيناً لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لا تغيب ولا تتوارى . فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شأؤوا وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الإرب والمصلحة .

و فيها مآرب أخرى علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس ، والسفر في البر والبحر ، وأشياء مما يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحر والبرد ، و بها يهتدى السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة ، والليج الهائلة .

وقال عليه السلام - و نقله (خو) أيضا : فكريا مفضل في النجوم واختلاف مسيرها . فبعضها لا يفارق مراكزها من الفلك ، ولا تسير إلا مجتمعة ، وبعضها منتقل في البروج ، وتفترق في مسيرها . فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين :

أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب ، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرحي . فالرحي تدور ذات اليمين ، والنملة تدور ذات الشمال ، والنملة تتحرك في تلك حركتين : إحداهما بنفسه . فتوجهه أمامها ، والآخرى مستكرهه مع الرحي تجذبها إلى خلفها . فأسأل الزاعمين أن النجوم صارت على ماهي عليه بالإهمال من غير عمد ، ولا صانع لها ما منعها كلها أن تكون راتبة أو تكون كلها منتقلة . فإن الإهمال معنى واحد . فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن و تقدير . ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد و تدبير ، و حكمة و تقدير ، وليس بإهمال كما تزعمه المعطلة .

فإن قال قائل : ولم صار بعض النجوم راتبا ، وبعضها منتقلا ؟ قلنا : إنها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المتقلة ، و مسيرها في كل برج من البروج كما قد يستدل على أشياء مما تحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ، و لو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ، ولا رسم يوقف عليه

لأنه إنما يوقف بمسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر في الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها ، ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلف نظامها و بطلت المآرب فيها ، ولساغ لقائل أن يقول : إن كينونتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال .

« وهبوطها وصعودها » روى أن الصادق عليه السلام سئل عن الحر والبرد مما يكونان فقال عليه السلام : إن المرّ يخ كوكب حار ، وزحل كوكب بارد . فإذا بدء المرّ يخ في الارتفاع انحطّ زحل ، وذلك في الربيع فلا يزال كذلك كلما ارتفع زحل درجة انحطّ المرّ يخ درجة حتى ينتهي المرّ يخ في الهبوط ، وينتهي زحل في الارتفاع فيجول زحل ، وذلك في أول الشتاء ، وآخر الخريف . فلذلك يشتدّ البرد . وكلما ارتفع هذا هبط هذا ، وكلما هبط هذا ارتفع هذا . فإذا كان في الصيف يوم بارد . فالفعل في ذلك للقمر ، وإذا كان في الشتاء يوم حار . فالفعل في ذلك للشمس .

« و نحوسها و سعودها » قالت أهل النجوم : زحل النحس الأكبر ، و مرّ يخ النحس الأصغر ، والمشتري السعد الأكبر ، و زهرة السعد الأصغر ، و عطارد مع السعد سعد و مع النحس نحس ، والنيران الشمس والقمر سعدان من التثليث والتسدیس ، و نحسان من المقابلة والتربيع ، والمقارنة والرأس سعد ، والذنب والكبد نحسان .

وقال الجوهري : سعود النجوم عشرة : أربعة منها في برج الجدى ، والدلو ينزلها القمر ، و هي سعد الذابح ، و سعد بلع ، و سعد الأخيبة ، و سعد السعود ، و هو كوكب منفرد نير ، و أمّا الستة التي ليست من المنازل ، فسعد ناشرة ، و سعد الملك ، و سعد البهام ، و سعد البهام ، و سعد البارع ، و سعد مطر ، و كل سعد من هذه الستة كوكبان بين كل كوكبين في رأى العين قدر ذراع ، و هي متناسقة ، و أمّا سعد الأخيبة فثلاثة أنجم كأنها أثافي ، و رابع تحت واحد منهن ، و سعد بلع من منازل القمر كوكبان متقاربان زعموا أنه طلع لما قال تعالى للأرض « ابلعي ماءك » يعنى سمى بلع لذلك .

و في كنايات الجرجاني ، والعرب تكنى عن الحشرات بجنود سعد ، و يريدون

سعد الأخبية لأنه إذا طلع انتشرت الهوام ، و خرج منها ما كان مختبئاً ، و يقال :
لذلك سمى سعد الأخبية . قال الشاعر :

قد جاء سعد مؤذنا بشره * مؤذنة جنوده بحرّه

هذا ، ومن أمثالهم : (أسعد أم سعيد) والأصل فيه أن سعداً و سعيذاً إبناضبة
خرجا ، فرجع سعد ، و فقد سعيد . فصار سعيد ممّا يتشأم به .

و منها ، قولهم (بكلّ واد بنوسعد) والأصل فيه أن الأضببط بن قريع السعدي
من سعد بن زيد مناة بن تميم رأى جفوة من قومه . فتحول في قبائل أخرى . فرآى
أيضاً منهم الجفوة . فرجع ، و قال : بكلّ واد بنوسعد .

هذا ، و في وزراء هلال بن محسن الصابي قال أبو العباس بن الفرات : إن
منجماً أخبره أنه لم ينزل زحل في برج السنبله إلا حدث حادثة ، و قد جرت العادة
بذلك على مضي الأوقات ، و من ذلك أنه نزل هذا البرج سنة ثمان للهجرة . فكان
في تلك السنة فتح خيبر ومكة ، و نزل في سنة (٣٨) فكانت حرب صفين بين علي عليه السلام
و معاوية ، و نزل في سنة (٦٨) فكان فيها حرب المختار و عبد الملك و قضية عبد الله بن الزبير
و نزل في سنة (٩٨) فمات سليمان بن عبد الملك ، و انتقل الأمر إلى عمر بن عبدالعزيز
و نزل في سنة (١٢٨) فظهر أبو مسلم و جرت قضية مروان بن محمد ، و نزل في سنة (١٥٨)
فمات المنصور ، و نزل في سنة (١٨٨) فأوقع الرشيد بالبرامكة ، و نزل في سنة (٢١٨)
فتوفى المأمون ، و نزل في سنة (٢٤٨) فتوفى المنتصر و قتل المتوكل ، و نزل في سنة
(٢٧٨) فتوفى الموفق ، و حدث من الأمور ما حدث .

هذا و يقال : أسعد الله فهو مسعود ، ولا يقال : مسعد على خلاف أصله .

٣ ر في ٨٧ ر ١ ايضاً - و منها في صفة الارض و دحوها على الماء

كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحَلَةٍ ، وَ لَجَجَ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ تَلْتَطِمُ

أَوَاذِي أَمْوَاجِهَا وَ تَصْطَفِقُ مُتَقَادِفَاتٍ أَثْبَاجِهَا ، وَ تَرَعُو زَبَدًا كَالْفُحُولِ

عِنْدَ هَيَاجِهَا . فَخَضَعَ جِمَاحَ الْمَاءِ الْمُتَلَاظِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا ، وَ سَكَنَ

هَيْجِ ارْتِمَائِهِ اِذْ وَطِئْتَهُ بِكَلْكِلِهَا ، وَذَلَّ مُسْتَخْدِيًا اِذْ تَمَعَّتْ عَلَيْهِ بِكِوَاهِلِهَا
فَاصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ اَمَواجِهِ سَاجِيًا مَقْهُورًا ، وَفِي حَكْمَةِ الذَّلِّ مُنْقَادًا
اَسِيرًا ، وَ سَكَنَتِ الْاَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ ، وَ رَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ
بَاوِهِ وَ اعْتِلَائِهِ ، وَ شَمُوخِ اَنْفِهِ ، وَ سَمُوغِ غُلُوَائِهِ ، وَ كَعَمْتِهِ عَلَيَّ كِظَّةِ
جَرِيَّتِهِ . فَهَمِدَ بَعْدَ نَزْقَاتِهِ ، وَ لَبِدَ بَعْدَ زَيْفَانِ وَ ثَبَاتِهِ ، فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجَ
الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ اَكْنَفِهَا ، وَ حَمَلَ شِوَاهِقَ الْجِبَالِ الشَّمْعِ الْبُدْخِ عَلَيَّ اَكْتِنَافِهَا
فَجَرَّ يَنَابِيعَ الْعَيُونِ مِنْ عَرَانِينَ اَنْوَفِهَا ، وَ فَرَّقَهَا فِي سُهوبِ بِيَدِهَا
وَ اَخَادِيدِهَا ، وَ عَدَلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَّاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا ، وَ ذَوَاتِ
الشَّخَابِيبِ الشَّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا ، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمِيدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ
فِي قِطْعِ اَدِيمِهَا ، وَ تَغْلَغَلَهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جُوبَاتِ خِيَّاشِيمِهَا ، وَ رَكُوبِهَا
اَعْنَاقِ سُهولِ الْاَرْضِينَ وَ جَرَاثِيمِهَا ، وَ فَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَ بَيْنِهَا ، وَ
اَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسِّمًا لِسَاكِنِهَا ، وَ اَخْرَجَ اِلَيْهَا اَهْلَهَا عَلَيَّ تَمَامِ مِرَافِقِهَا .
ثُمَّ لَمْ يَدْعُ جُرْزَ الْاَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعَيُونِ عَنْ رِوَابِهَا ، وَ لَا
تَجِدُ جَدَاوِلَ الْاَنْهَارِ ذَرِيْعَةً اِلَى بُلُوغِهَا حَتَّى اَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةً سَحَابٍ تُحْيِي
مَوَاتِنَهَا ، وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا . اَلْفَ غَمَامِهَا بَعْدَ اِفْتِرَاقِ لَمْعِهِ ، وَ تَبَايُنِ

قَزَعَهُ حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمَزْنِ فِيهِ ، وَالتَّمَعَ بَرْقَهُ فِي كَفِّهِ ، وَلَمْ
يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهُورِ رَبَابِهِ ، وَمَتْرَاكِمِ سَحَابِهِ ، أَرْسَلَهُ سَحَابًا مَتَدَارِكًا
قَدْ اسْفَّ هَيْدَبُهُ تَمْرِيهِ الْجُنُوبِ دَرَرَ أَهَاضِيْبِهِ ، وَ دَفَعَ شَآئِبِيْبِهِ . فَلَمَّا
الْقَتَّ السَّحَابُ بَرَكَ بَوَانِيْهَا وَ بَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبَاءِ الْمَحْمُولِ
عَلَيْهَا . أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتِ ، وَ مِنْ زَعْرِ الْجِبَالِ
الْأَعْشَابِ . فَهِيَ تَبْهَجُ بِزَيْنَةِ رِيَاضِهَا ، وَ تَزْدَهِي بِمَا الْبِسْتَةُ مِنْ رِيْطِ
أَزَاهِيْرِهَا ، وَ حَلِيَّةٍ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا ، وَجَعَلَ ذَلِكَ
بَلَاغًا لِلْأَنَامِ ، وَ رِزْقًا لِلْأَنْعَامِ ، وَ خَرَقَ الْعِجَاجَ فِي آفَاقِهَا ، وَ أَقَامَ
الْمَنَارَ لِلسَّالِكِيْنَ عَلَى جَوَادِ طُرُقِهَا .

أقول: رَوَاهُ أُمَّةٌ غَرِيْبٌ اللُّغَةِ كَمَا يَفْهَمُ مِنْ تَفْسِيْرِ النَّهْيَايَةِ لِبَعْضِ فِقْرَاتِهَا كَقَوْلِهِ عَلَيْهَا:

تَلْتَظِمُ أَوَاذِيَّ أَمْوَاجِهَا ، وَغَيْرِهِ كَمَا يَأْتِي .

« كَبَسَ » : أَي أَهْجَمَ .

« الْأَرْضُ عَلَى مَوْرٍ » : أَي مُضْطْرَبٌ . مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ .

« أَمْوَاجٌ مُسْتَفْحَلَةٌ » قِيلَ : أَي هَائِجَةٌ هَيْجَانِ الْفُحُولِ ، وَقِيلَ : أَي صَائِلَةٌ .

« وَلِجَجٌ » جَمْعُ لُجَّةٍ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : لُجَّةٌ الْمَاءُ : مَعْظَمُهُ .

« بَحَارٌ زَاخِرَةٌ » : أَي الْمُمْتَدَّةُ الْمُرْتَفِعَةُ .

« تَلْتَظِمُ أَوَاذِيَّ » جَمْعُ آذِيٍّ : أَي شِدَائِدٌ ، وَ تَفْسِيرُ الْجَوْهَرِيُّ ، وَالْفِيْرُوْزَابَادِيُّ

لِلْآذِيِّ بِالْمَوْجِ غَلَطٌ ، وَ إِنَّمَا يَأْتِي صِفَةُ الْمَوْجِ كَمَا فَسَّرَهُ النَّهْيَايَةُ ، وَ إِضَافَتُهُ مِنْ بَابِ

إِضَافَةِ الصِّفَةِ .

« أمواجها » : أى أمواج تلك البحار .
 « و تصطفق » من « صفقت العود فاصطفق » إذا حرّكت أوتاره . قال :
 و يوم كظّل الرمح قصر طولهُ ✽ دم الزقّ عنّا واصطفق المزاهر
 « متقاذفات » : أى قذف هذا بذاك ، و قذف ذاك بهذا .
 « أئباجها » جمع ئبج : أى أوساطها . ففى الأساس : التقمّ لقمّاً مثل أئباج القطا
 و هى أوساطها . قال نوارمة : بجرع كأئباج القطا المتتابع ، و يمكن أن يكون
 استعارة من الشبج بمعنى ما بين الكاهل إلى الظهر كقول الراعى :
 إذا الرمل قدّم أئباجه ✽ أبان لراكبها المخصر
 والأوّل أظهر ، و فى خبر أمّ حرام : قوم يركبون ئبج هذا البحر : أى وسطه ،
 و معظمه .

« و ترغو » من (رغا البعير) إذا صوت .
 « زبدأ » تميز .
 « كالفحول » : أى كالإبل الفحول .
 « عند هياجها » : أى هيجانها للسفاد .
 « فخصع » استعارة لسكونه .
 « جماح » استعارة أيضاً من (جمع الفرس براكبه) إذا غلبه .
 « الماء المتلاطم » من البحار الزاخرة .
 « لثقل حملها » بالأرض .
 « و سکن هيج » : أى هيجان .
 « ارتمائته » : أى تراميه .
 « إنوطئته بكلكها » : أى صدرها ، والمراد كلها : فالوطئ بالكلكل لا يمكن إلا
 بالكل .

« و ذلّ مستخذاً » : أى مسترخياً و منقاداً .
 « إن تمعكت » : أى تمرّغت ، و تدلكت عليه .

- « بكواهلها » الكاهل مقدم ظهر البعير الذي يكون عليه المحمل ، و هو أيضاً كناية عن الكل . فالتمعك بالكواهل يستلزمه .
- « فأصبح بعد اصطخاب » من (اصطخاب الطير) : أي اختلاط أصواتها .
- « أمواجه ساجياً » : أي ساكناً ليناً .
- « مقهوراً و في حكمة » بفتحين ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه .
- « الذل منقاداً أسيراً » : كفرس ملجم لصاحبه ، و من صار أسيراً لك .
- « و سكنت الأرض مدحوة » : أي مبسوطه .
- « في لجة تياره » : أي موجه .
- « و ردت من نخوة بأوه » : أي كبره .
- « و اعتلائه » : أي تعاليه .
- « و شموخ » : أي ارتفاع .
- « أنفه و سمو » : أي علو .
- « غلوائه » : أي غلوه ، و تجاوزه عن حده .
- « و كعتمه » : أي شدت فاه .
- « على كظفة » : أي امتلاء .
- « جريته » : أي جريانه .
- « فهمد » : أي سكن .
- « بعد نزقاته » من (نزق الفرس) : أي نزا .
- « و لبد » : أي أقام ولصق .
- « بعد زيفان » : أي تبختر . قال (حد) و (يروي) (زيفان) : أي شدة .
- « و ثباته » الوثبات جمع الوثبة .
- « فلما سكن هياج » هكذا في المصرية ، والصواب (هيج) كما في (حد) ، وثم ، والخطية) .
- « الماء من تحت أكنافها » : أي جوانبها .

- « و حمل شواحق » : أى مرتفعات .
- « الجبال » والأصل الجبال الشواحق .
- « الشمخ » هكذا في المصرية ، والكلمة زائدة لعدم وجودها في (حد ، و ثم ، والخطية) .
- « البذخ » : أى العوالى .
- « على أكتافها فجر » جواب (لما) .
- « ينابيع العيون » يفهم من إضافته بالتالي الينابيع إلى العيون كون الينبوع غير العين ، وأن الينبوع أصل العين ، و محل خروج الماء ، والعين مائه المجتمع لا كما توهم من اتحادهما .
- « من عرائن أنوفها » قال الجوهرى : عرين : الأنف تحت مجتمع الحاجين ، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم .
- « و فرقها » : أى فرق الينابيع .
- « في سهوب » : أى واسعات .
- « بيدها » اليد جمع البيداء : أى الأرض البر .
- « وأخايدها » أخايد : جمع أخدود : أى شق في الأرض مستطيل .
- « و عدل حركاتها » ظاهر كلامه بالتالي أن للأرض حركات متعددة .
- وفي الهيئة والاسلام : وحكماء عصرنا يذكرون لكثرة الأرض خمس حركات مختلفة وهى المشهورة ، و حكى (فيلكس ورنه) عنهم القول بأحدى عشرة حركة ، وقد اتخبت من كتبهم حركات ثمانية :
- الأولى : الحركة المحورية على منطقة الاستواء ، وهى في حينها ، وموضعها ، و لذلك تسمى بالحركة الوضعية ، والاستوائية ، و يتم دورها في (٢٣) ساعة و (٥٨) دقيقة و (٤٩) ثانية و يحصل منها الليل والنهار ، و تولد من تركيب هذه الحركة مع جزء من الحركة السنوية الحركة اليومية كما تقدم . فيتم الدور في (٢٤) ساعة .
- الثانية : الحركة السنوية حول مركز الشمس على منطقة البروج في دائرة بيضية

و يتم دورها في (٣٦٥) يوماً و (٦) ساعات و (٨) دقائق و (٣٨) ثانية ، و بها تحصل الأشهر الفرسية والرومية والنجومية و نحوها ، و تتولد الحركة الطيلية من هذه الحركة بسبب انحراف محور الأرض عن سطح دائرة البروج (٢٣) درجة و نصف تقريباً ، و هذه الحركة غير مستقلة ، و بها نرى للشمس في كل سنة كراً من الشمال إلى نقطة الجنوب ، ثم رجوعها منها إلى نقطة الشمال ، ولوعدت هذه الحركة والحركة اليومية مستقلتين بلغت الحركات عشرة .

الثالثة : الحركة الإقبالية : أي إقبال دائرة البروج إلى دائرة الاستواء في كل (٦٧٠) عاماً درجة واحدة ، وهذه الحركة محصورة في زاوية ثلاث درجات ، ولاتكمل دورة مستديرة . فلا ترتقب زماناً تنطبق فيه إحدى الدائرتين على الأخرى كما كان القدماء يتوقعون ذلك ، و به فسّر بعضهم قيامة الدنيا .

الرابعة : حركة نقطتي الأوج والحضيض حول المحيط من دائرة البروج في كل (٢٠٩٣١) سنة دورة كاملة بسبب تجاذب المشتري وزهرة مع الأرض ، و بذلك تتغير أزمنة الفصول . ففي سنة (٦٤٨) كانت نقطة الحضيض على نقطة الانقلاب الصيفي . فكانت أيام الصيف مساوية لآيام الربيع ، و بهذه الحركة تقرب الأرض من الشمس في نقطة الحضيض ثلاثمائة ألف فرسخ بالنسبة إلى أوجها . فتزداد قوة جاذبية الشمس في الأرض قدر الخمس مما كان لها قبل إن ، و من آثار اشتداد هذه القوة سرعة تحرك الأرض في فلكها كل يوم واحداً و ستين دقيقة مع أنها تتحرك في أوجها كل يوم سبع و خمسين دقيقة من فلكها .

ومن آثارها أيضاً ارتفاع السائلات المستتبطة على وجه الأرض كمياء البحار والمحيطات وتراكمها نحو أقرب نقاط الأرض إلى الشمس حال إن . فنحن الآن نرى الميائ متراكمة في النواحي الجنوبية من عرض أربعين درجة بحيث توجد ثمة بقاع تلمع بصفاح متسعة كالأقطار الشمالية لكن الأمر ينعكس بعد اليوم بخمسة آلاف سنة حيث تنتقل نقطة الحضيض إلى شمالنا فتتجه الميائ نحو الشمال طالبة أقرب النقاط إلى الشمس فتحسر الأقطار

الجنوبية قناع الغمر عن أوجهها و تبدى محاسنها وما أودع الله فيها النوع البشر، ويصبح فيها العمران والعلم والتمدن الأواخر . و تدعونا نحوها مبشرات ، و يمسي في شمالنا الفرق والخراب والعطالة و تزجرنا بالخروج منذرات فتعرف الأمم عند ذلك أثمان المراكب البحرية والهوائية ، و يومئذ ينجو المخلصون .

الخامسة : حركة تقديم الاعتدالين الربيعي والخريفي ، و بها ترى الثوابت متحركة على موازاة دائرة البروج في (٢٦٠٠٠) سنة شمسية مرة ، و كان القدماء يظنون أن الثوابت بأسرها مركزوزة في ثخن فلك يدور دورة في تلك المدّة .

السادسة : الحركة الرقضية أو الارتعاش القمري ، وهي التي تعرض على محوري الأرض . فتميل بذلك إلى دائرة البروج في كل (٢٩) سنة مرة . اكتشفها الفلكي (برادله) سنة ١٨٤٤ م ، ومنشأها تأثير الجاذبتين من الشمس والقمر في أرضنا مع تسطحها القطبي وتفرطحها الاستوائي ، وينتقل محور الأرض بهذه الحركة في دورة عقدتي القمر بمقدار (١٨) درجة و كسر إلى الجنوب والشمال .

السابعة : الارتعاش الشمسي . قال في حدائق : النجوم مامعناه أن الأرض يرتعش محورها - أي يرتعش محورها من طرف قطبيها - بجاذبية الشمس ، وتمّ في سنة شمسية و غايتها دقيقة من الفلك .

الثامنة : الحركة التبعية ، وهي سير الأرض كباقي السيارات بتبعية الشمس في الفضاء المهول حول مركز مجهول ، والأرجح أن الحركات أكثر مما وصلوا إليه - إلخ - .

نقلناه بطوله لاشتماله على وجود حركات للأرض ، و إن كانت تفاصيل ما قاله غير معلومة ، و نكله إلى أهل فنّه .

« بالراسيات » : أي الثابتات صفة (الجبال) مقدرة .

« من جلا ميدهاى » : أي صخورها العظيمة .

« و نوات » : أي بصاحبات .

- « الشناخيب » : أى الرؤوس . قال الجوهري : الشخوب والشخوب واحد شناخيب : الجبل وهى رؤوسها .
- « الشم » : أى الطوال .
- « من صياخيدها » : أى شدادها .
- « فسكنت من الميدان » : أى من الاضطراب و حركة غير معتدلة .
- « لرسوب » هكذا فى المصرية ، والصواب (برسوب) كما فى (حد ، وثم ، والخطية) من (رسب الشيء فى الماء) : أى سفلى فيه .
- « الجبال فى قطع » بالكسر فالفتح جمع قطعة ، و قال (حد) و يروى بالكسر . فالسكون : أى طنفسة الرحل ، و هو استعارة كأنه جعل الأرض ناقه و جعل لها قطعاً . قلت : إنما كان يناسب ما قاله لو كان عَلَيْهِ السَّلَامُ قال (بركوب الجبال) لا (برسوب الجبال) فالصواب الأول مع أن قرينتها (جوبات) أيضاً جمع .
- « أديما » هكذا فى النسخ ، والظاهر كونه مصحف (أياديما) : أى متونها ، و أما (أديما) فهو ما ظهر منها ، ولامناسبة له مع أن قرينته (خياشيمها) أيضاً جمع .
- « و تغلغلها » : قال الجوهري : الغلغلة : سرعة السير ، و تغلغل الماء فى الشجر : إذا تخللها ، والظاهر أن المراد هنا الثانى بأن يكون المعنى تخللت الجبال فى الأرض تغلغل الماء فى الشجر .
- « متسرّبة » : أى بلا مانع للجبال من التخلل . قال الجوهري : السارب : الذهاب على وجهه من الأرض ، و قولهم : اذهب فلا أنده سربك : أى لا أردّ إيلك تذهب حيث شئت ، و كانوا يقولون فى الجاهلية للمرثّة : اذهبي فلا أنده سربك . فتطلق .
- « فى جوبات » الجوبات جمع الجوبة : أى الحفرة المستديرة الواسعة .
- « خياشيمها » : أى أنوفها .
- « وركوبها » : أى ركوب الجبال .
- « أعناق سهول الأرضين » : أى مسطحاتها .

« وجرائيمها » : وهى ضدّ سهولها ، و في النهاية الجرائم أماكن مرتفعة من تراب أوطان .

« وفسح » . أى وسع .

« بين الجو وبينها » : أى و بين الأرض .

« و أعدّ الهواء متنسّما » : أى سبب تنفس .

« لساكنها » من البشر وغيره .

قال الصادق عليه السلام للمفضل : انبتهك على الريح ، و ما فيها ألت ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد أن يأتي على النفوس ، و يحرض الأصحاء ، و ينهك المرضى ، و يفسد الثمار ، و يعفن البقول ، و يعقب الوباء في الأبدان ، والآفة في الغلات . ففى هذا بيان أن هبوب الريح من تدير الحكيم في إصلاح الخلق ، و انبثك عن الهواء بخلة أخرى . فإن الصوت أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء ، و الهواء يؤدى به إلى المسامع ، و الناس يتكلمون في حوائجهم ، و معاملاتهم ، طول نهارهم و بعض ليلهم . فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلاً العالم منه . فكان يكرههم و يفدحهم ، و كانوا يحتاجون في تجديده و الاستبدال به إلى أكثر مما يحتاج إليه في تجديد القراطيس لأن ما يلقى من الكلام أكثر مما يكتب ، و حسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبدة و ما فيه من المصالح فإنّه حياة هذه الأبدان ، و الممسك لها من داخل بما تستشوق منه ، و من خارج بما تباشر من ريحه ، و فيه تطرد هذه الأصوات فيؤدى به من البعد البعيد ، و هو الحامل لهذه الأرايح ينقلها من موضع إلى موضع .

ألا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهبّ الريح . فكذلك الصوت ، و هو القابل لهذا الحرّ و البرد اللذان يعقبان على العالم لصالحه ، و منه هذه الريح الهابّة . فالريح تروح عن الأجسام و تروحى السحاب من موضع إلى موضع ليعمّ نفعه حتى يستكشف فيمطر و تفضّه حتى يستخفّ . فينقى و تلقح الشجر ، و تسيّر السفن ، و ترخى الأظعمة ، و تبرّد الأشربة ، و تشبّ النار ، و تجفّف الأشياء النديّة ، و بالجملة

إنّها تحيي كلكم في الأرض . فلو لا الريح لذوى النبات ومات الحيوان ، وسمت الأشياء وفسدت .

«وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها، وكمال مصالحها . قال الصادق عليه السلام للمفضل: أوّل العبر ، والأدلة على الباري - جلّ قدسه - تهيئة هذا العالم ، وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه . فإنّك إذا تأملت العالم بفكرك ، وميزته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده . فالسما مرفوعة كالسقف ، والأرض ممدودة كالسطح ، والنجوم منضودة كالمصابيح ، والجواهر مخزونة كالذخائر ، وكلّ شيء فيها لشأنه معدّ .

والإنسان كالمملك ذلك البيت ، والمخوّل جميع ما فيه ، وضروب النبات مهياة لمآربه ، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه . ففي هذا دلالة على أنّ العالم مخلوق بتقدير وحكمة ، ونظام وملائمة وأنّ الخالق له واحد ، وهو الذي ألفه ونظم بعضه إلى بعض .

« ثم لم يدع » : أي لم يترك .

« جرز » بتقديم الراء على الزاء : أرض انقطع عنها النبات ، وفيه لغات: بضمّين

وفتحّتين ، وضم فسكون ، وفتح فسكون .

« الأرض التي تقصر مياه العيون عن روابيها » : أي عواليها .

« ولا تجد جداول » قال الجوهري : جدول : النهر الصغير .

« الأنهار » : والمراد الكبيرة .

« ذريعة » : أي وسيلة .

« إلى بلوغها » : أي بلوغ تلك الروابي كرؤوس الجبال والآكام ؛ أو بلوغ تلك

الأرض الجرز كأراضي ليست فيها أنهار ولا عيون .

« حتّى أنشأ لها ناشئة سحب تحيي مواتها ، وتستخرج نباتها » بالأقطار النازلة

من السحاب . قال الصادق للمفضل تأمل في نزول المطر على الأرض ، والتدبير في ذلك

فإنّه جعل ينحدر عليها من علو ليغشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه ، ولو كان إنّما

يأتيها من بعض نواحيها لما علا على المواضع المشرفة منها ، و يقل ما يزرع في الأرض
ألا ترى أن الذي يزرع سيحاً أقل من ذلك .

فالأمطار هي التي تطبق الأرض ، وربما تزرع هذه البراري الواسعة ، وسفوح
الجبال و ذراها . فتغل الغلة الكثيرة ، و بها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة
سياق الماء من موضع إلى موضع ، و ما يجري في ذلك بينهم من الشاجر والنظام حتى
يستأثر بالماء ذوو العزة والقوة ، و يحرمه الضعفاء .

ثم إنه حين قد ر أن ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرش
ليغور في قعر الأرض ، فيرويه ، ولو كان يسكبه إنسكاباً كان ينزل على وجه الأرض
فلا يغور فيها . ثم كان يحطم الزرع القائمة إذا اندفق عليها . فصار ينزل نزولاً رقيقاً .
فينبت الحب المزروع ، و يحيى الأرض والزرع القائم ، و في نزوله أيضاً مصالح أخرى
فإنه يلين الأبدان ، و يجلو كدر الهواء . فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ، و يغسل
ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمى باليرقان إلى أشباه هذا من المنافع ،
« ألف غمامها » : أي سحابها .

« بعد افتراق لمعه » بالضم فالفتح جمع لمعة بالضم فالسكون : أي قطعاته سميت
القطعة من الغمام لمعة للمعانها كما سميت القطعة من النبات إذا يبست لمعة للمعانها ،
و كما سميت قطعة من الجسد لم يصبها الماء في الوضوء والغسل لمعة للمعانها .
« و تباين » : أي انفصال .

« قرعه » بالضم فالفتح أيضاً جمع (قرعة) بالضم . فالسكون : أي قطعة الرقيقة
التي تعد و سريعاً ، والأصل في القرعة السرعة في العدو .

« حتى إذا تمخضت » الأصل في المخاض قرب الولادة . قال :

تمخضت المنون له بيوم * أنى و لكل حامله تمام

« لجة » قالوا : لجة الماء : معظمه .

« المنز » أي السحابة البيضاء .

« فيه » الضمير فيه راجع إلى الغمام كما في (لمعة) و قرعة ، و قال (حد) : أي

في المزن ، وهو كما ترى .

« والتمع برقه في كفه » بالكسر فالفتح جمع كفة بالفتح : أى في أطرافه ، وسمى الطرف كفه لأن الشيء إذا انتهى إلى الطرف كف عن الزيادة كما أن الرزق الكفاف يكف صاحبه عن الناس .

« ولم ينم و ميضه » قال الجوهري (و مض البرق و ميضاً) ملح لمعاً خفيفاً ، ولم يعترض في نواحي الغيم . فإن اعترض فهو الخفو . فإن استطال في وسط السماء وشق الغيم من غير أن يعترض يميناً و شمالاً فهو العقيقة .

« في كنهور » قال الجوهري في كهر : (والكنهور العظيم من السحاب) وجعله القاموس خماسياً كسفرجل .

« ربابه » قال الجوهري (رباب) السحاب الأبيض واحدته بهاء ، و مراده أنه اسم جنس كتمر و تمره ، و توهم (حد) أن مراده كونه جمعاً ، و قال الجوهري أيضاً : و يقال : إن (رباب) السحاب الذي تراه كأنه دون السحاب ، و قد يكون أسود ، و قد يكون أبيض .

« و متراكم سحابه » الذى بعضه فوق بعض .

« أرسله سحاً » أى صاباً .

« متداركاً » : أى ملحقاً آخره بأوله .

« قدأسف » : أى دنا من الأرض . قال عبيد في سحاب قرب من الأرض كثيراً :

دان مسف فويق الأرض هيدبه ✽ يكاد يدفعه من قام بالراح

« هيدبه » قال الجوهري (هيدب السحاب) ما تهدب منه إذا أراد الودق كأنه

خيوط .

« تمر به » قال الجوهري (الريح تمرى السحاب و تمر به) : أى تستدره .

« الجنوب درر » : أى صب .

« أهاضبيه » أى مطراته ، والمراد مطرة بعد مطرة .

« و دفع شأبيبه » جمع شؤبوب : أى دفعة بعد دفعة . قال الشاعر :

« النبات » والأصل في قوله **لِيُخْرِجَ مِنْهَا** من « فلما القت . إلى النبات » قوله تعالى « وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميثاً فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون،^(١) .
 « ومن زعر الجبال » من إضافة الصفة : أى جبال قليلة النبات .
 « الأعشاب » : أى أخرج منها الأعشاب ، والأعشاب جمع العشب : الكلاء والرطب .

« فهى تبهج بزينة رياضها » : كمرثة تبهج بزينة حليها ، و ألبستها المملونة .
 « و تزدهى » : أى تتكبر .
 « بما ألبسته من ريط » قيل : ريطه : كل ثوب رقيق لين .
 « أزاهيرها » أزاهير جمع زهرة بالفتح ، و زهرة : النبات نورة .
 « و حلية » عطف على (ما) في قوله (بما) لاعلى قوله (ريط) كما هو المتبادر في بادى النظر كما لا يخفى على من تدبر .
 « ماسمطت » قال الجوهري : السمط : الخيط مادام فيه الخرز ، وإلا فهو سلك .
 قال طرفة : مظاهر سمطى لؤلؤ و زبرجد .
 « به من ناصر » : أى رونق .

« أنوارها » أنوار جمع نور بالفتح : أى أزهارها . قال تعالى « و ترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت و ربّت و أنبتت من كل زوج بهيج »^(٢) و قال أبو عمران المخزومي : أتيت مع أبى والياً كان بالمدينة من قريش ، و عنده ابن مطير الشاعر . فقال له الوالى : صف لى هذا المطر . فقال له دعنى أشرف عليه ، فأشرف ثم نزل . فقال :

كثرت، لكثرة، قطره، أطباؤه ✽ فإذا تحلب فاضت الأطباء

(١) الاعراف ٥٧

(٢) الحج ٥

وله رباب هيدب لرفيفه	☆	قبل التبعق ديمة و طفاء
و كأن ريقه و لمسا يحتفل	☆	ودق السماء عجاجة كدراء
و كأن بارقه حريق تلتقى	☆	ريح عليه و عرفج و إلاء
مستضحك بلوامع ، مستعبر	☆	بمدامع لم تمرها الأقداء
فله بلا حزن ولا بمسرة	☆	ضحك يؤلف بينه و بكاء
حيران متبعب صباحه يقوده	☆	وجنوبه كنف له و وعاء
غدق ينتح في الأباطح فرقا	☆	تلد السيول و مالها أسلاء
نمر محجلة دوالج ضمنت	☆	حمل اللقاح و كلها عذراء
سحيم فهن إذا كظمن سواجم	☆	سود و هن إذا ضحكن و ضاء
لو كان من لجج السواحل مائه	☆	لم يبق في لجج السواحل ماء

«وجعل ذلك بلاغاً للأنام و رزقاً للأنعام» قال تعالى «وفاكهة و أبا متاعاً لكم و لا نعامكم» (١).

« و خرق العجاج » هكذا في المصرية ، والصواب (الفجاج) كما في (حد، و ثم، والخطية) ، والفجاج جمع الفج : الطريق الواسع بين الجبلين .

« في آفاقها » : أي أطرافها . قال تعالى « وجعلنا لكم فيها فجاجاً سبلا لعلمهم يهتدون » (٢) و قال الصادق عليه السلام : « لو لا امتداد هذه الأرض كيف كانت تتسع لمسكن الناس ، و مزارعهم ، و منابت أعشابهم و أحطابهم ، والعقاير العظيمة ، والمعادن الجسيمة .

« و أقام المنار » للناس بنجوم السماء . قال تعالى « و علامات و بالنجم هم يهتدون » (٣) .

(١) عبس ٣٢

(٢) الانبياء ٣١

(٣) النحل ١٦

« على جواد » بالتشديد جمع الجادة .

« طرقها » : أى طرق الأرض .

٤ ٢٠٦٤ و من خطبة له (ع) : وَ كَانَ مِنْ أَقْتَدَارِ جَبْرُوتِهِ ، وَ بَدِيعِ

لَطَائِفِ صَنَعَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّائِحِ الْمَتْرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَسًا
جَامِدًا . ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا . فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِنَاقِهَا . فَاسْتَمْسَكَتْ

بِأَمْرِهِ ، وَ قَامَتْ عَلَى حَدِّهِ ، وَ أَرَسَى أَرْضًا يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُتَعَنِّجُ

وَ الْقَمَقَامُ الْمُسَخَّرُ ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ ، وَ أذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَ وَقَفَ الْجَارِي

مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ ، وَ جَبَلَ جَلَامِيدَهَا ، وَ نُشِوزَ مَتُونِهَا ، وَ أَطْوَادَهَا .

فَأَرْسَلَهَا فِي مَرَاسِيهَا ، وَ أَلْزَمَهَا قَرَارَتَهَا ، فَضَمَّتْ رُؤُوسَهَا فِي الْهَوَاءِ

وَ رَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ . فَانْهَدَ جِبَالُهَا عَنْ سَهُولِهَا ، وَ أَسَاحَ قَوَاعِدُهَا

فِي مَتُونِ أَقْطَارِهَا ، وَ مَوَاضِعِ انْصَابِهَا فَاشْهَقَ قَلَالِهَا ، وَ أَطَالَ انْشَاذَهَا ،

وَ جَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا ، وَ أَرَزَهَا فِيهَا أَوْ تَادًا ، فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ

تَمِيدَ بِأَهْلِهَا . أَوْ تَسِيخَ بِحَمْلِهَا ، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا : فَسَبْحَانَ مَنْ

أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا ، وَ أَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ اكْتِنَافِهَا . فَجَعَلَهَا

لِخَلْقِهِ مِهَادًا ، وَ بَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشًا فَوْقَ بَحْرِ لَجِي . رَاكِدٍ لَا يَجْرِي ،

وَ قَائِمٍ لَا يَسْرِي . تَكَرَّرَهُ الرِّيحُ الْعَوَاصِفُ ، وَ تَمَخَّضَهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ

(أَنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) .

أقول: رواها أيضاً أئمة غريب اللغة كما يفهم من تفسير النهاية لبعض فقراتها .
 « وكان من اقتدار جبروته » إضافة الاقتدار إلى جبروته تعالى مع أن الأصل
 إضافته إليه تعالى كما في نسبة الإكرام إلى مثنوى يوسف عليه السلام في قوله تعالى « أكرمي
 مثواه » ^(١) مع أن الأصل النسبة إليه عليه السلام للدلالة على المبالغة .
 « وبديع » عطف على (اقتدار) والبديع ما لا مثال له قبله .
 « لطائف صنعته » وكيف لا وقد خلق الأرض والسموات السبع من ماء كما
 خلق كل شيء من ماء .

« أن جعل من ماء البحر الزاخر » : أي المرتفع الممتد .
 « المتراكم » : أي الذي بعضه فوق بعض .
 « المتقاصف » : أي المتدافع .

« يبسا » قال (حد) : اليبس بالتحريك : المكان يكون رطباً . ثم يببس ، ومنه
 قوله تعالى « فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً » ^(٢) و بالسكون : اليابس خلقة يقال
 (حطب يبس) هكذا يقوله أهل اللغة ، وفيه كلام لأن الحطب ليس يابساً خلقة
 بل كان رطباً من قبل . فالأصوب أن يقال : لا تكون هذه اللفظة محرّكة إلا في المكان .
 قلت : في ما قاله أو لا : أن اليبس بالتحريك ليس مختصاً بالمكان . فيأتي وصف
 المرثة والشاة أيضاً . قال الراجز : لي عجوز شنة الوجه يبس . فقوله (فالأصوب) خلاف
 الصواب .

و ثانياً : أن التفصيل الذي ذكره لم يقله جميع أهل اللغة كما هو مفهوم كلامه
 وإنما قاله الجوهري ، و أما الفيروز آبادي فعكس . فقال : يابس و يبس ، و يببس و
 يبس كان رطباً فجفّ كاتبس ، وما أصله اليبوسة ، ولم يعهد رطباً فيبس بالتحريك ،
 و أما طريق موسى في البحر فإنه لم يعهد طريقاً قط لا رطباً ولا يابساً وإنما أظهره

. (١) يوسف ٢١ .

. (٢) طه ٧٧ .

الله حينئذ لهم مخلوقاً على ذلك ، وقد تسكن الباء أيضاً ذهاباً إلى أنه وإن لم يكن طريقاً فإنه موضع كان فيه ماء فيبس .

وثالثاً : أن مناقشته بعدم كون الحطب يابساً خلقه في غير محله . فقال ثعلب (حطب يبس) كأنه خلقه . قال علقمة :

تخشش أبدان الحديد عليهم ✽ كما خششت يبس الحصاد جنوب

- الخ -

ورابعاً : أن الآية « فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً » لا كما نقله .

« ثم فطر » : أى خلق اختراعاً ، وعن ابن عباس ما كنت أدرى ما (فاطر السماوات والأرض) حتى احتكم إلى أعرابيان في بئر . فقال : أحدهما : أنا فطرتها : أى ابتدأت حفرها .

« منه أطباقاً » : أى سماوات أطباقاً . قال تعالى « ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً » (١) « الذى خلق سبع سماوات طباقاً » (٢) .

« ففتقها سبع سماوات بعد ارتفاقها » « أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما » (٣) .

« فاستمسكت بأمره » « وأوحى في كل سماء أمرها » (٤) .

« وقامت على حد » « الضمير راجع إليه تعالى : أى قامت السماوات على تحديده تعالى لها .

« وأرسى أرضاً » هكذا في المصرية ، وليست الجملة في (حد و ثم ، وخو ، و الخطية) رأساً . فيعلم عدم وجودها في النهج ، وإن كان المعنى بدونها مختلاً لأنه يصير

(١) نوح ١٥ .

(٢) الملك ٣ .

(٣) الانبياء ٤٠ .

(٤) فصلت ١٢ .

الضمير في قوله بعد (يحملها الأخضر) راجعاً إلى السماوات السبع ، و ليس كذلك ، ولذا تكلف (خو) فقال : إن الضمير في (يحملها) راجع إلى (الأرض) المستفادة من (اليبس) وهو كما ترى . فالظاهر أن المصرية نقلت الجملة من نسخة خلطت حاشية بالمتن .

« يحملها الأخضر » قال (حد) : الأخضر : البحر ، ويسمى أيضاً خضارة معرفة غير مصروف .

قلت : لم يقل أحداً بطلاق الأخضر مجرّداً على البحر بل مع الوصف (بالمتعرج) لأنه بمعنى السائل نعم (خضارة) مجرّدة تطلق عليه . ثم سوق كلامه إن (الأخضر) غير منصرف ، و ليس كذلك بل خضارة غير منصرف .

قال الجوهري (خضارة) بالضم البحر معرفة لا تجرى تقول : هذا خضارة طامياً ولو كان عبر (وخضارة معرفة غير مصروف) لسلم .

« المتعرج » قال الفيروز آبادي : المتعرج : السائل من ماء أودمع ، و بفتح الجيم وسط البحر ، و ليس في البحر ماء يشبهه ، و قال الجزري في حديث علي عليه السلام : يحملها الأخضر المتعرج : هو أكثر موضع في البحر ماء ، و منه حديث ابن عباس « فاذا علمي بالقرآن في علم علي عليه السلام كالقرارة في المتعرج » والقرارة الغدير الصغير .

قال (حد) تصغير المتعرج (و متعج) قلت : أخذه من الصحاح لكنه غلط منه لأن (المتعرج) رباعي مزيد فيه أصله (تعجر) لاثلاثي مزيد فيه أصله (تعج) قال في القاموس : قول الجوهري ، والصغاني تصغير (المتعرج) (متعج) و (متعيج) غلط ، و الصواب (تعيج) كما تقول في (محر نجم) (حريجم) .

« والقمقام » يأتي لمعان أحدها : البحر ، وهو المراد هنا .

« المسخر » من الله تعالى .

« قد ذل لأمره » والمراد أمره التكويني .

« و أذعن » : أي خضع .

« لهيبته ووقف الجارى منه » بعد حمله للأرض .

- « لخشيته » الطبيعي .
- « و جبل » : أى خلق .
- « جلاميدها » : أى صخورها الشديدة ،
- « ونشوز » : أى ارتفاع .
- « متونها » : أى ما صلب منها .
- « وأطوادها » : أى جبالها .
- « فأرسلها في مراسيها » : أى في مواقعها .
- « ورست » : أى ثبتت ، وفي نسخة (ورسبت) من (رسب في الماء) إذا هبط فيه .
- « أصولها » : أى عروقها .
- « في الماء » لكون الأرض على الماء .
- « فأنهد » : أى انهض .
- « جبالها عن سهولها » . سهل الأرض خلاف حزنها .
- « وأساخ » : أى أغاص من (ساخت قدمه في الأرض) إذا غاصت فيها .
- « قواعدها » وأساسها .
- « في متون أقطارها » : أى جوانبها .
- « و مواضع أنصابها » . أى في مواضع نصبت فيها .
- « فاشهق » : أى أعلى .
- « قلالها » قلال جمع قلعة : أعلى الجبل .
- « وأطال » : أى جعل طويلاً .
- « أنشازها » : أى ارتفاعاتها .
- « وجعلها للأرض عماداً » : أى عموداً .
- « وأرزها » : أى أثبتتها من (أرزت الشجرة) ثبتت .
- « فيها أوتاداً » قال تعالى « والجبال أوتاداً » (١) .

« فسكنت على حركتها » : أى مع حركتها فإن (على) في مثل الموضع بمعنى (مع) كقوله تعالى « الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق » ^(١) وقوله تعالى « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً و يتيماً وأسيراً » ^(٢) وكقول الشاعر :

وإننى على ليلى لزار وأئننى * على ذاك فى ما بيننا مستديهما

وقوله : على جوده ماجاد بالماء حاتم .

« من أن تميد » : أى تضطرب .

« بأهلها » كوقت يحصل الزلزال .

« أو تسيخ » : أى تغوص .

« بحملها » كبناء لم يستحكم أساسه .

« أو تزول عن مواضعها » التى عينها الله تعالى لها . قال فى الهيئة والإسلام : يظهر من قوله ﷺ « أو تزول عن مواضعها » تحرك الأرض فى مدار مخصوص . فإن الأرض عند المتأخرين لها مواضع لا تحصى لكنّها جميعاً فى مدار معين بازاء البروج الإثنى عشر . فبتم على هذا تفسير قوله ﷺ (على حركتها) بحركة الأرض السنوية ، و أن الجبال و عروقها هى الحافظة لهيئة أجزاء الأرض المانعة من تفرّقها و اضطرابها و زوالها عن مواضعها المخصوصة فى فلکها المخصوص ، و أما على القول بالسكون كما عليه المتقدمون فلا يتم هذا الكلام الكامل إذ الجسم لا يكون ذا مواضع إلا بتحركه الانتقالى ، و الساكن لا يكون إلا ذا موضع واحد .

ثم استدل صاحب الكتاب بحركة الأرض بآيات منها « الذى جعل لكم الأرض مهدياً » ^(٣) .

قال : والمهد يتحرك سريعاً بلا ميلان ، و منها « هو الذى جعل لكم الأرض

(١) إبراهيم ٣٩ .

(٢) الانسان ٨ .

(٣) طه ٥٣ .

ذلولاً» ^(١) قال فإن الذلول إبل يمتاز بنعومة الحركة و سرعة السير ، و منها «و ترى الجبال تحسبها جامدة و هي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء» ^(٢) قال : فلو كان المراد القيامة كما قالوا لما كان لقوله « صنع الله الذي أتقن كل شيء » مناسبة ، و منها « والأرض بعد ذلك دحاها » ^(٣) قال : بناء على أن المراد بالدحو الدفع والدحرجة كما يفهم من اللغة ، و من موارد استعماله دون البسط كما هو المشهور ثم تعرّض للاستدلال على مدعاه بكون المراد من الدحو في الآية الدفع والدحرجة دون البسط الذي قال غيره .

قلت : الظاهر أن المشهور فسّروه باللازم فإن دحرجة الملفوف تستلزم بسطه ، و ممّا يمكن أن يستدلّ به على ما قال ، وإن لم يتفطن له قول الحميري في تشبيهه رمى أمير المؤمنين عليه السلام للصخرة العظيمة التي كانت على عين في طريق صفين بكرة رماها قوى .

فكأنّها كرة بكف حزوّر ✽ عبد الذراعين دحاها في ملعب

كما أنّه فاته الاستدلال بكلامه عليه السلام في الخطبة (٦٩) : اللهم داحى المدحوات فإنّه مثل قوله تعالى « و الأرض بعد ذلك دحاها » و استدلّ بخبر الاحتجاج عن الصادق عليه السلام أن الأشياء تدلّ على حدوثها من دوران الفلك بما فيه ، و هي سبعة أفلاك ، و تحرك الأرض و من عليها ، و استدلّ بآيات و أخبار آخر ليس لها وضوح دلالة كقوله تعالى « فقال لها و للأرض اثنيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » ^(٤) فقال في معناه (اثنيا) : أى انتقلا و تحركا من حيز كما (طوعاً) لنظام هذه الشمس أو (كرها) عنها و طوعاً لنظام آخر ، و اتّباعاً لجاذبية عالم آخر (قالتا) بلسان الحال (أتينا

. (١) الملك ١٥ .

. (٢) النمل ٨٨ .

. (٣) النازعات ٣٠ .

. (٤) فصلت ١١ .

طائعين) لهذا النظام خاضعين لنواميس هذه الجاذبية التي سنسبها لله تعالى في هذا العالم وهو كما ترى .

« فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها » « إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » (١).

« وأجمدها بعد رطوبة أكنافها » : أى جوانبها .

« فجعلها لخلقه مهاداً » « ألم نجعل الأرض مهاداً » (٢).

« و بسطها لهم فراشاً » « الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء » (٣).

« فوق بحر لجى » بالضم : أى بحر مشتمل على اللجآت .

« راكد » : أى ساكن .

« لا يجرى » كما يجرى اليم .

« و قائم » في مكانه .

« لا يسرى » إلى موضع آخر .

« تكرر كره » : أى تردده .

« الرياح العواصف » : أى الشدائد .

« وتمخضه » من (مخض اللبن) إذا حررت سقائه لأخذ زبده .

« الغمام » : أى السحاب .

« الذوارف » من (ذرفت عينه) إذا سال منها الدمع ، شبه صَبَّ الغمام

للقطر بنساء يسكنن دموعهن قال (حد) ليس قوله صَبَّ (و تمخضه الغمام الذوارف)

صريحاً فى أن السحب تنزل فى البحر فتعترف منه كما قد تعترف فى المشهور العامى

نحو قوله :

كالبحر يمطره السحاب وما لها ❦ فضل عليه لأنه من مائه

(١) فاطر ٤١ .

(٢) النبأ ٦ .

(٣) البقرة ٢٢ .

بل يجوز أن تكون الغمام الذوارف تمخضه و تحركه بما ترسل إليه من الأمطار السائلة . قلت : أصل كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصف البحر الذي يحمل الأرض لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ لَأَ (يحملها الأخضر المتعنجر) وقوله أخيراً (فوق بحر لجى) لا البحر الظاهر في الأرض ، وحينئذ . فالظاهر وقوع تصحيف هنا أيضاً كما مر عند قوله (و يحملها الأخضر المتعنجر) وأن الأصل (ولا تكرر الرياح العواصف ، ولا تمخضه الغمام الذوارف) عطفاً على قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ (لا يسرى) بمعنى أنه بحر غير هذه البحار البارزة ، ولولا ما قلنا لكان تنافر أيضاً بين الجملتين ، وبين قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ (راكد لا يجرى و قائم لا يسرى) .

« إن في ذلك لعبرة لمن يخشى » اقتباس من القرآن الآية ٢٤ والنازعات .

١٦٦٥ ر ١٦٦٥ و من خطبة له عَلَيْهِ السَّلَامُ لما عزم على لقاء القوم بصفين :

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ، وَ الْجَوِّ الْمَكْفُوفِ . الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضًا لِلَّيْلِ
وَالنَّهَارِ ، وَ مَجْرَى لِّلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَ مُخْتَلِفًا لِلنَّجُومِ السَّيَّارَةِ ، وَ جَعَلْتَ
سُكَّانَهُ سَبْطًا مِنْ مَلَائِكَتِكَ ، لَا يَسْمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ ، وَ رَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ
الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلْأَنَامِ ، وَ مَدْرَجًا لِلْهَوَامِ ، وَ الْأَنْعَامِ ، وَ مَا لَا يَحْصَى
مِمَّا يَرَى وَ مِمَّا لَا يَرَى ، وَ رَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي . الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَادًا
وَ لِلخَلْقِ اعْتِمَادًا ، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا ، فَجَنَّبْنَا الْبَغْيَ ، وَ سَدَّدْنَا
لِلْحَقِّ ، وَ إِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ ، وَ جَنَّبْنَا الْفِتْنَةَ . إِيَّاكَ الْمَانِعِ
لِلذَّمِّ ، وَ الْغَائِرِ عِنْدَ نَزْوِلِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاطِ . الْعَارُ وَرَائِكُمْ . وَ
الْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ .

أقول: رواه ابن طاووس في مهجه عن كتاب دعاء الحسين بن سعيد الأهوآزي بإسناده عن يعقوب بن شعيب عن الصادق عليه السلام قال: كان من دعاء أمير المؤمنين يوم صفين: اللهم رب السقف المرفوع - إلى أن قال - وجنبنا الكبر و سدّ دنا للرشد - إلى أن قال - و اعصم بقية أصحابي من الفتنة ، ورواه الطبري في تاريخه عن زيد بن وهب ، و زاد بعد قوله عليه السلام (ومما لا يرى) قوله (من خلقك العظيم وربّ الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وربّ السحاب المسخر بين السماء والأرض ، وربّ البحر المسجور المحيط بالعالم) ، ورواه نصر بن مزاحم في صفينه .

« اللهم ربّ السقف المرفوع » هو لفظ القرآن في التعبير عن السماء قال تعالى « والسقف المرفوع »^(١).

« والجو المكفوف » المراد بالجو المكفوف: السماء كالسقف المرفوع و مرّ قوله عليه السلام في العنوان الأوّل من الفصل: « جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً » وفي صفين نصر (اللهم ربّ هذا السقف المحفوظ المكفوف الذي جعلته - إلخ - قال الشهرستاني في الهيئة: يعنى عليه السلام بالجو المكفوف الممنوع من الهطلان مع سيلان مادته الأثرية . « الذي جعلته مغيظاً لليل والنهار » قال (حد): أى يتولد الليل والنهار من جريان الفلك كنبت الشجر من المغيضة والأجمة . قلت: المغيض يستعمل في الخفاء لا الظهور . قال تعالى « وما تغيض الأرحام وما تزدان »^(٢) ويقال: غاض الكرام وفاض (اللثام) و (حد) عكس ، وقال الشهرستاني (المغيض) موضع يمصّ الماء و يبلعه فكأنّه عليه السلام استعار لفظ (الليل) و (النهار) لمعنى النور و الظلام ، و شبه انعدام ضوء النهار في الجو ليلاً ، وكذا انمحاء ظلام الليل فيه نهراً بمصّ الجو و ابتلاءه للظلام والضياء ، و يظهر من هذا التعبير ما استكشفه المتأخرون بألة (سبكتروب) وغيرها أن الجو أو الهواء يشرب ويمصّ من النور ما يقتضيه طبعه ، ويمجّ الباقي ،

(١) الطور ٥ .

(٢) الرعد ٨ .

إلينا ، وقد فتح عليهم هذا الباب ألف باب من العلم لكن باب مدينة العلم أعنى علياً عليه السلام قد علمه النبي صلى الله عليه وآله حسب الآثار الصحيحة ألف باب يفتح له من كل باب ألف باب وربما كان هذا وأشباهه من فروع هذه الأبواب التي يستشكف الحكيم منها ألف باب ، وأيم الله سبحانه إن المتأمل في كلمات علي عليه السلام بعد اطلاعه على فنون الفلسفة تنفجر عليه ينابيع الحكمة ، ويصدق عند إن من قال (إن كلام علي عليه السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين) .

« و مجرى للشمس و القمر » قال تعالى « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » (١) « والقمر قد رآه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » (٢) .

« و مختلفا للنجوم السيارة » في طلوعها و غروبها . قال الصادق عليه السلام للمفضل فكر في النجوم و اختلاف مسيرها . فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ، ولا تسير إلا مجتمعة ، و بعضها مطلقة تنقل في البروج ، و تفرق في مسيرها . فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين : أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب ، و الآخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرحي .

هذا ، و في أصل زيد النرسي - و زيد مختلف فيه - عن الصادق عليه السلام في خبر (و رب هورين ايسية عافني من كل عقرب و حية) قلت : وما هورين ايسية ؟ قال : كوكب في السماء خفية تحت الوسطى من الثلاث الكواكب التي في بنات نعش المتفرقات .

« و جعلت سكانه سبطاً » : أي طائفة .

« من ملائكتك » كما أن الأرض مسكن بني آدم .

« لا يسأمون » : أي لا يملكون .

« من عبادتك » و إن أداموا لا مثل البشر .

« و رب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام » « و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو »

(١) يس ٣٨ .

(٢) يس ٢٩ .

ولكم في الأرض مستقرّ و متاع إلى حين» (١) «أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها
أنهاراً» (٢) «الله الذي جعل لكم الأرض قراراً و السماء بناء» (٣) .
« و مدرجاً » : أى مسلّكاً .

« للهوام » : أى الحشرات يقال : خلّ درج الضبّ : أى طريقه لثلاث يسلك بين
قدميك . فتنفخ ، وفسرت (الهامة) في حديث (الاستعازة من كلّ سامة وهامة) بحشرة
ذات سمّ لا تقتل كالعقرب في قبال (السامة) حشرة ذات سمّ تقتل ، و المراد هنا المطلق
لجعلها في مقابل الأ نعام .

« و الأ نعام » : أى مطلق الحيوان لا خصوص الممال الراعية حيث جعل مقابلاً
للهوام .

« وما لا يحصى » من خلقك .

« ممّا يرى و ممّا لا يرى » وما لا يرى قسمان : قسم منها لغيبوبته عنّا مثل ما في
العلويات ، و قسم منها لصغر جسمها حتّى لا ترى بالعين ، و في القسم الثاني اخترعت
أدوات ترى بها .

« وربّ الجبال الرواسي » : أى الثوابت .

« التي جعلتها للأرض أوتاداً » لثلاث تضرب .

« وللخلق » الإنسان و أقسام الحيوان .

« اعتماداً » حتّى يمكنهم السكنى فيها .

« إن أظهرتنا على عدوّنا » فييده مفتاح الظفر و الهزيمة .

« فجنّبنا البغي » كما هو شأن أكثر الفاتحين .

« وسدّنا » : أى وقّقنا .

« للحق » و ترك الباطل .

(١) البقرة ٣٦ .

(٢) النمل ٦١ .

(٣) غافر ٦٤ .

« وإن أظهرتهم علينا » فيؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء» (١)
 « فإرزقنا الشهادة » في الحرب دون الأسر بيد العدو .
 « وجنبنا الفتنة » : أى الامتحان الذى يوجب الضلال .
 « أين المانع للذمار » : أى ما يلزمك حفظه ممّا وراءك ويتعلق بك .
 « والغائر » : أى الغيور .

« عند نزول الحقائق » : أى نزول أمور يحقّ على الرجل أن يحميها ، ويدفع عنها كعرضه وحرمة ، قالوا : كان ربيعة بن مكدم - من بنى فراس بن غنم - حامى الظعن بعد موته ، وذلك أنه عرض له فارسان من بنى سليم و معه طعائن من أهله يحميهم وحده . فطاعنهم فرماه أحدهما بسهم أصاب قلبه . فنصب رمحه فى الأرض واعتمد عليه ، وهو ثابت فى سرجه لم يزل . فسارت الطعائن حتى بلغت بيوت الحى ، و بنو سليم قائم بإزائه لا يقدمون عليه ، و يظنون أنه حيّاً حتى قال قائل منهم : إننى لا أراه إلا ميتاً ، ولو كان حيّاً لتحرك . فرموا فرسه بسهم . فوثب من تحته . فوقع وهو ميت وفاتهم الطعائن .

« من أهل الحفاظ » بالكسر : أى الذين يحافظون على ما يجب عليهم رعايته .
 « العار ورائكم » إن أجحمتكم عن عدوكم بالفرار ، بعث عميد الله بن زياد إلى أبى بلال الخارجى ، وقد كان خرج إلى آسك موضع بين أركان ورامهرمز ، وهو فى أربعين ومعبدين أسلم الكلابى فى ألفين . فانهزم وما رده شيء حتى ورد البصرة فكان الناس يصيحون به : يا معبداً وراك أبو بلال حتى شكاهم إلى ابن زياد .

ولمّا انهزم خالد بن الوليد بالناس يوم مؤتة بعد قتل جعفر و صاحبيه زيدوعبدالله بن حارثة ، و دنى من دخول المدينة جعل الناس يحشون على الجيش التراب ، ويقولون يا فرار . وكان فيهم سلمة بن هشام بن المغيرة فكان لا يحضر الصلوة مع النبى ﷺ فقالت أم سلمة لا امرأته : لم لا يحضر ؟ قالت : ما يستطيع كلما خرج صاح الناس

أفررتم في سبيل الله؟ فقعدي في البيت وما يخرج ، ومن المضحك أن إخواننا سموأخالداً سيف الله بتلك الهزيمة .

« و الجنة أمامكم » إن أفدمتم عليه حتى ترزقوا الشهادة ، وروى الكافي عن النبي ﷺ قال : للجنة باب يقال له : باب المجاهدين يمضون إليه . فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم . و الجمع في الموقف و الملائكة ترحب بهم .

٦ ر في ١١٥٥ فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ وَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ ، وَ كَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ ، وَ كَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ ، رَجَعَ طَرْفَهُ حَسِيراً ، وَ عَقَلَهُ مَبْهُوراً ، وَ سَمِعَهُ وَآلَهَا ، وَفِكْرَهُ حَائِراً .

« فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ » عن الشواغل .

« وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ » باطلته .

« لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ » روى توحيد الصدوق بإسناده عن الصادق عليه السلام قال إن للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كل موضع في القرآن صفة على حده ف قوله « رب العرش العظيم » يقول : الملك العظيم ، و قوله « الرحمن على العرش استوى » يقول : على الملك احتوى ، وهذا ملك الكيفية في الأشياء . ثم العرش في الوصل متفرّد من الكرسي لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب ، وهما جميعا غيبان ، وهما في الغيب مقرونان . لأنّ الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدء ، و منه الأشياء كلها .

و العرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف و الكون ، والقدر والحد والأين والمشية ، وصفة الإرادة ، و علم الألفاظ والحركات و التركيب ، و علم العود والبدء .

فهما في العلم بابان مقرونان لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي ، وعلمه أغيب من علم الكرسي . فمن ذلك قال : رب العرش العظيم : أى صفته أعظم من صفة الكرسي - الخبر .

و روى روضة القتال مرسلًا عنهم عليهم السلام قالوا : إن في العرش تمثال ما خلق الله في البر والبحر ، وهذا تأويل قوله تعالى « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه » ^(١) وإن بين القائمة من قوائم العرش ، والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسير ألف عام ، و العرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور ، لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة .

وإن لله تعالى ملكاً يقال له حزقائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام . فخطر له خاطر هل فوق العرش شيء فزاده تعالى مثلها أجنحة فكان له ست وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام . ثم أوحى إليه طر . فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأس قائمة من قوائم العرش . ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة وأمره أن يطير فطار . مقدار ثلاثين ألف عام لم ينل أيضاً فأوحى إليه لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لا تبلغ إلى ساق عرشي . فقال الملك (سبحان ربى الأعلى) فانزل - عز وجل - (سبح اسم ربك الأعلى) ^(٢) فقال النبي صلى الله عليه وآله : اجعلوها في سجودكم .

« وذرات » : أى كثرت ونشرت .

« خلاق » « وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون » ^(٣) « جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير » ^(٤) .

(١) الحجر ٢١ .

(٢) الأعلى ١ .

(٣) المؤمنون ٧٩ .

(٤) الشورى ١١ .

- « وكيف علقت في الهواء سماواتك » « الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها »^(١)
- « خلق السماوات بغير عمد ترونها »^(٢).
- « وكيف مددت على مور الماء » : أى اضطرابه ونهايه و مجيئه .
- « أرضك » فاستقرت .
- « رجع طرفه » : أى عينه و بصره . قال تعالى « لا يرتد إليهم طرفهم »^(٣) .
- « حسيراً » : أى كليلاً و منقطعاً ، و الأصل فيه قوله تعالى « ينقلب إليك البصر خاسئاً و هو حسير »^(٤) .
- « و عقله مبهوراً » : أى مغلوباً .
- « و سمعه والهأ » ، أى متحيراً .
- « و فكره حائراً » غير واصل إلى مقصد .
- إلى هنا تم الجزء الأول حسب تجزئتنا ، و يليه الجزء الثانى أوله : الفصل الثالث فى خلق الملائكة .



(١) الرعد ٢

(٢) لقمان ١٠ .

(٣) ابراهيم ٤٣ .

(٤) الملك ٤ .

فهرست مافی هذا الجزء من الخطب و المطالب

رقم الصحيفة	العنوان
٣	مقدمة المؤلف
٧	ذكر مافی شرح ابن أبي الحديد من المعایب
٨	رد المؤلف علی ابن میثم و الخوئی
١٩	وجه تسمية الكتاب ببهج الصباغة
٢٠	خطبة الرضى
٣٢	ما قال معاوية رداً لمحفن في فصاحة علی <small>عليه السلام</small>
٣٣	رأية إبراهيم بن المهدي علياً في المنام ، و ماجري بينهما ، و تفسير المأمون جواب علی <small>عليه السلام</small> له
٣٦	اعترافات الفصحاء بأن علياً <small>عليه السلام</small> أفصح الناس
٤١	حديث من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه - إلخ -
٤١	نقل كلام شارح المعتزلي في فضائله <small>عليه السلام</small>
٥٦	نسب الرضى
٥٨	ما قال ابن أبي الحديد في رد من نسب النهج إلى الرضى
٦٧	الإشارة إلى الموارد التي ذكرها المورخون في شجاعته <small>عليه السلام</small> وقول النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> له : لا فتى إلا علي
٦٨	الإشارة إلى طرف من زهده <small>عليه السلام</small>
٦٩	في أنه جمعت في صفاته <small>عليه السلام</small> الأضداد
٧٦	الإشارة إلى كرائم كلامه <small>عليه السلام</small>
٨٤	ما نقل عنه <small>عليه السلام</small> في معنى البلاغة
٨٧	خطبة عمر بالجابية و إيراد القس عليه
٨٩	ما قاله <small>عليه السلام</small> في جواب من سأله أن الحرب أكان بقضاء من الله وقدره؟

رقم الصحيفة	العنوان
٩١	الفصل الاول فى التوحيد
٩١	العنوان - ١ - من الخطبة - ١ - يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض
٩٣	الفرق بين كلمة إله والله ، ورد المؤلف على ابن أبي الحديد
٩٥	سؤال النبي عن قوم عنده عن أول نعمة وجواب على عليه السلام عنه
٩٥	ما رواه الزهرى عن علي بن الحسين عليه السلام قال : لم أشكر عشر العشير من نعمة واحدة
٩٩	العنوان - ٢ - من الخطبة - ١ - يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض
١٠٠	ما قال الرضا عليه السلام فى أول الفرائض
١٠١	نقل كلام الشهرستاني فى اختلاف السلف فى إثبات الصفات له تعالى
١٠٣	العنوان - ٣ - من الخطبة - ١ - يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض
١٠٦	حديث الديصاني مع الصادق عليه السلام
١٠٨	العنوان - ٤ - من الخطبة - ٤٨ - يذكر فيها صفات الربوبية والعلم الإلهي
١١٠	مناظرة الصادق عليه السلام مع ابن أبي العوجاء فى المسجد الحرام
١١٢	ما قال الصادق عليه السلام لداود الرقي
١١٣	ما قال الرضا عليه السلام فى جواب من سئله عن قول النبي صلى الله عليه وآله : إن الله خلق آدم على صورته
١١٤	العنوان - ٥ - من الخطبة - ٦٢ - يذكر فيها مباحث من العلم الإلهي
١١٥	الإشارة إلى خمسة عشر وصفاً من أوصافه تعالى
١١٧	سؤال الديصاني عن الهشام من قدرة الله ، وجواب الصادق عليه السلام له

العنوان	رقم الصحيفة
ما كتب ملك الصين إلى أنوشيروان	١١٩
العنوان - ٦ - من الخطبة - ٨١ - يذكر فيها صفات الله تعالى	١٢٢
حديث الزنديق مع الصادق وسؤاله أن كل موهوم مخلوق ، و جواب الصادق <small>عليه السلام</small> عنه	١٢٣
العنوان - ٧ - من الخطبة - ٨٦ - ألقاها في قدم الخالق	١٢٤
سؤال زيد بن وهب عن علي <small>عليه السلام</small> عن الحجب	١٢٥
مقال الصادق <small>عليه السلام</small> للزنديق المصرى	١٢٧
العنوان - ٨ - من الخطبة - ٨٧ - تعرف بخطبة الأشباح	١٣١
سؤال رجل عنه <small>عليه السلام</small> حين يخطب أن يصف له ربه وجوابه <small>عليه السلام</small>	١٣٣
العنوان - ٩ - من الخطبة - ٨٧ - تعرف بخطبة الأشباح	١٣٧
العنوان - ١٠ - من الخطبة - ٨٧ - تعرف بخطبة الأشباح	١٤٠
النهي عن التكلم في ذات الله ، وما قال الباقر والصادق <small>عليه السلام</small>	١٤٣
العنوان - ١١ - من الخطبة - ٨٧ - تعرف بخطبة الأشباح	١٤٤
ما قال الصادق <small>عليه السلام</small> للمفضل في علّة اختلاف الناس فيه تعالى ، والاشارة إلى اختلاف الفلاسفة في حقيقة الشمس	١٤٨
العنوان - ١٢ - من الخطبة - ٨٧ - تعرف بخطبة الأشباح	١٤٩
العنوان - ١٣ - من الخطبة - ٨٧ - تعرف بخطبة الأشباح	١٥١
كلام الصادق <small>عليه السلام</small> في حكمة خلق الرأس فرداً	١٥٢
قتل الواثق أحمد بن نصر الخزائي لما أظهر عقيدته عنده بالتجسم	١٥٣
ما رواه المروزي عن النبي <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> في معنى الكرسي	١٥٤
الإشارة إلى بعض عقائد العشوية	١٥٥
العنوان - ١٤ - من الخطبة - ٨٧ - تعرف بخطبة الأشباح	١٥٧
كلام الصادق <small>عليه السلام</small> في الحواس التي خص بها الإنسان	١٥٨

رقم الصحيفة	العنوان
١٦١	ماقال الصادق <small>عليه السلام</small> في أصناف الحيوانات
١٦٣	العنوان - ١٥ - من الخطبة - ١٠٤ - و هي من خطب الملاحم التي أشار فيها إلى فتنة بنى أمية
١٦٤	مكالمات الصادق <small>عليه السلام</small> مع ابن أبي العوجاء
١٦٦	العنوان - ١٦ - من الخطبة - ١٠٥ - ألقاها في بيان قدرته تعالى و انفراده بالعظمة
١٧١	ذكر كلام النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> : لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله
١٧٣	كلامه <small>عليه السلام</small> في جواب من سأله عن كيفية قدرة الله تعالى
١٧٤	العنوان - ١٧ - من الخطبة - ١٢٩ - ألقاها في بيان عظمة الله تعالى
١٧٧	العنوان - ١٨ - من الخطبة - ١٤٨ - التي يذكر فيها صفات الله تعالى
١٧٩	كلامه <small>عليه السلام</small> في جواب من سأله هل يقال : إن الله واحد
١٨٢	العنوان - ١٩ - من الخطبة - ١٥٨ - يذكر فيها حقيقة الخالق
١٩١	ذكر خبر صعود داود على الجبل في العرفات للدعاء ، وما أراه الله تعالى من آثار قدرته
١٩١	العنوان - ٢٠ - من الخطبة - ١٧٣ - قيل : خطبها بعد قتل عثمان
١٩٣	العنوان - ٢١ - من الخطبة - ١٦٦ - يحمده الله تعالى ويذكر ماجرى له يوم الشورى بعد قتل عمر
١٩٤	العنوان - ٢٢ - من الخطبة - ١٩٣ - ينسبه فيها على إحاطة علم الله بالجزئيات
١٩٦	كلام الصادق <small>عليه السلام</small> في كثرة نسل السمك
١٩٧	العنوان - ٢٣ - من كلامه <small>عليه السلام</small> - ١٧٤ - في جواب سؤال ذعبل اليماني
٢٠١	ما عليه الإمامية والمعتزلة على امتناع رؤيته تعالى

العنوان	رقم الصحيفة
العنوان - ٢٤ - من الخطبة - ١٨٠ - يحمد الله فيها و يصف خلقاً من الحيوان	٢٠٢
العنوان - ٢٥ - من الخطبة - ١٨١ - التي تجمع من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة	٢٠٧
مناظرة النبي ﷺ مع اليهود و النصارى	٢١٩
ما رواه عن الصادق ﷺ مع الزنديق ، وكلامه ﷺ في أنه تعالى سميع بصير	٢٢٢
كلام الهادي ﷺ في علة تسميته تعالى بسميع بصير	٢٢٣
كيفية كلامه التكليفي ، وما روى عن النبي ﷺ بأن الله تكلم معه ليلة المعراج مع لغة علي ﷺ	٢٢٥
كلام الصادق ﷺ حينما يعز به بإسماعيل	٢٣٣
العنوان - ٢٦ - من الخطبة - ١٩٠ - يحمد الله فيها ويشي على نبيه	٢٣٧
العنوان - ٢٧ - من الخطبة - ١٥١ - يذكر فيها بديع خلقه الخفّاش	٢٣٨
العنوان - ٢٨ - من الخطبة - ١٨٦ - يحمد الله فيها على نعمه وآلائه	٢٤١
العنوان - ٢٩ - من الخطبة - ١٧٧ - رواها نوف البكالي	٢٤٤
ترجمة نوف البكالي	٢٤٧
كلام الرضا ﷺ في كيفية خلق العرش و الماء و الملائكة قبل خلق السماوات	٢٥٢
كلام الصادق ﷺ في النجوم التي تظهر في بعض السنة و تحجب في بعض	٢٥٣
كلام الصادق ﷺ في إنارة القمر في ظلمة الليل	٢٥٤
ما أجاب الصادق ﷺ في جواب من سئله عن « وسع كرسيه السماوات والأرض » و « الرحمن على العرش استوى »	٢٥٧

العنوان	رقم الصحيفة
ما قال على <small>عليه السلام</small> في جواب جاثليق حين سئله عن وجه الرب	٢٦٠
العنوان - ٣٠ - من الخطبة - ١١٢ - يذكر فيها ملك الموت	٢٦١
العنوان - ٣١ - من الخطبة - ١٦٢ - يذكر فيها حقيقة الخالق	٢٦٢
كلام الصادق <small>عليه السلام</small> في كيفية تدبير الله الجنين في الرحم	٢٦٤
العنوان - ٢٣ - من الخطبة - ١٥٥ - يذكر فيها عظمة الله تعالى	٢٦٦
كلام الرضا <small>عليه السلام</small> في أدنى المعرفة	٢٦٩
العنوان - ٢٣ - من المختار من كتبه - ٣١ - من وصايا لابنه الحسن <small>عليه السلام</small>	٢٧٠
» - ٣٤ - من المختار من حكمه - ٢٥٠ -	٢٧٣
» - ٣٥ - من المختار من حكمه - ٣٥١ -	٢٧٥
» - ٣٦ - من الخطبة - ٨٠ - تسمى الغراء	٢٧٦
» - ٣٧ - من المختار من حكمه - ١٣ -	٢٨٠
» - ٣٨ - من المختار من حكمه - ٨٤ -	٢٨١
كلام المفيد في علة تكثير ذريته <small>عليه السلام</small>	٢٨٢
العنوان - ٣٩ - من المختار من حكمه - ١٣٩ -	٢٨٣
» - ٤٠ - من المختار من حكمه - ١٤٤ -	٢٨٤
» - ٤١ - من المختار من حكمه - ١٥ - و - ٤٥٩ -	٢٨٥
من احتال فانعكس عليه مقصوده	٢٨٧
العنوان - ٤٢ - من المختار من حكمه - ٧ -	٢٨٨
سؤال الديصاني عن الهشام من قدرة الله ، وما أجاب عنه الصادق <small>عليه السلام</small>	٢٩٠
العنوان - ٤٣ - من المختار من حكمه - ٣٠٢ -	٢٩١
» - ٤٤ - من كلام له <small>عليه السلام</small> - ١٩٤ - يوصى به أصحابه	٢٩٢
» - ٤٥ - من المختار من حكمه - ٢٧٣ -	٢٩٤

العنوان	رقم الصحيفة
العنوان - ٤٦ - من الخطبة - ٨٢ - وفيها بيان صفات الحق - جل جلاله -	٢٩٧
» - ٤٧ - من الخطبة - ٩٧ - وهي من الخطب الملاحم	٢٩٨
» - ٤٨ - من الخطبة - ١٧٨ - في قدرة الله تعالى	٢٩٩
» - ٤٩ - من الخطبة - ١٩٠ - ألقاها في حمد الله تعالى	٣٠٤
ما أجاب <small>عليه السلام</small> عما سئله رجلين من اليهود : أين ربك ؟	٣٠٦
مناظرة الصادق <small>عليه السلام</small> مع ابن أبي العوجاء	٣٠٩
العنوان - ٥٠ - من الخطبة - ٨٧ - تسمى بالأشباح	٣١٠
العنوان - ٥١ - من الخطبة - ٨٧ - تسمى بالأشباح	٣١٢
العنوان - ٥٢ - من المختار من حكمه - ٤٧٠ -	٣٢٢
العنوان - ٥٣ - من الخطبة - ٢٠٩ - يصف جوهر الرسول	٣٢٣
ما روى عنه <small>عليه السلام</small> من الخطب في التوحيد	٣٢٤
الفصل الثاني في خلق السماء و الارض و الشمس و القمر و النجوم و العرش و الكرسي	٣٣٢
العنوان - ١ - من الخطبة - ١ - يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض	٣٣٢
كلام الصادق <small>عليه السلام</small> للزنديق في الريح والهواء	٣٣٤
كلام الباقر <small>عليه السلام</small> في أن كل شيء كان ماء	٣٣٧
كلام الصادق <small>عليه السلام</small> في تنقل الشمس في البروج الاثني عشر	٣٣٩
العنوان - ٢ - من الخطبة - ٨٧ - تسمى بالأشباح	٣٤٠
كلام الصادق <small>عليه السلام</small> في طلوع الشمس وغروبها	٣٤٤
كلام الصادق <small>عليه السلام</small> للمفضل في النجوم و اختلاف مسيرها	٣٤٩
ما قال الجوهري في أن سعود النجوم عشرة	٣٥١
العنوان - ٣ - من الخطبة - ٨٧ - تسمى بالأشباح	٣٥٢
ما قال حكماء عصرنا في عدد حركات الأرض	٣٥٧

العنوان	رقم الصحيفة
كلام الصادق <small>عليه السلام</small> : أن هبوب الريح من تدبير الحكيم	٣٦١
تنبيه الصادق <small>عليه السلام</small> للمفضل على أن هذا العالم المنظم من صنع صانع حكيم	٣٦٢
في أوصاف المطر و فوائدها	٣٦٦
العنوان - ٣ - من الخطبة - ٢٠٦ - في عجيب صنعة الكون	٣٦٨
نقل كلام صاحب الهيئة و الإسلام في حركة الأرض	٣٧٣
العنوان - ٥ - من الخطبة - ١٦٦ - ألقاها لما عزم على لقاء القوم بصفين	٣٧٦
العنوان - ٦ - من الخطبة - ١٥٥ - في حمد الله و بيان عظمته	٣٨١
فهرس المطالب	٣٨٤
التصويبات	٣٩٢



التصويبات

الصواب	س	ص	الصواب	س	ص
و قطعن	١٠	٣٢	مواقع	٦	٤
واحتج	١٦	٣٢	وكما	٦	٥
حذا	١٣	٣٣	٣/٤٦٧	١٠	٥
عبق به الطيب	١٥	٣٦	ابن	١	٧
التقير	٢	٣٧	فمذاقه	١	٨
معاينه	٣	٣٧	مكارم	٢٠	١١
ابن	٢٠	٣٧	التعازى	١	١٢
على	١	٣٨	مختلطه	١٥	١٣
انزل	٥	٣٨	ولأن	١٦	١٣
ابن	٤	٤٠	والمفهوم	٢٣	١٥
بصر	٥	٤١	في نسخة	٣	١٦
فبيعض	٥	٤٨	وفى	٩	١٦
ومناجاتاته	١٥	٤٨	لعلك	١٦	٢٣
قراءة	٢١	٤٨	جارون	٣	٢٧
تصور ملوك	٢٤	٤٩	وخير	١٣	٢٧
شرف	١٩	٥٠	بعجبه	١٤	٢٩
الابن	٢٢	٥٠	عليه السلام كذلك	١٧	٣١

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٥١	١٩	دافعاً	٧٦	١٩	قوله في
٥٣	٥	عبّرت	٧٦	٢٤	منزلتى
٥٣	١٨	فار	٧٧	١	فأخذه
٥٤	٢١	الجديد	٧٧	١٦	وقال
٥٤	٢٤	هيجنت	٧٨	١١	فأعاد
٥٥	١١	حييش	٧٩	٧	انه
٥٦	١٢	يضطر	٧٩	١٥	فقدموا
٥٨	١	لهذا	٧٩	١٥	فقدموا
٥٨	٧	نعلم	٨٠	١٥	رايها
٥٩	١	ذكرها	٩٣	٩	لايبنى
٦٢	٦	ابن	٩٦	٤	الغائصة
٦٣	٢٠	ثانيه	٩٩	٤	أعدائهم
٦٣	٢١	فاتعظوا	١٠٧	٢٢	قلت إنما
٦٣	٢٣	الاسلام	١٠٨	٥	ساواهم في
٦٩	٦	ابن	١٠٩	١٧	لايجور
٦٩	١٢	وبدل	١١١	٥	وسمه
٧٠	١٤	والعلم	١١٢	١٤	والجاحدون
٧١	٨	يلمعن	١١٢	١٨	رجلاه
٧٣	٣	لم يكونوا	١١٩	٥	هاشميته
٧٣	١٤	ممدوحه	١١٩	١٥	مناور
٧٣	١٥	من اعاديه	١٢١	٢	آده
٧٣	٢٤	و ثم ،	١٢٢	٦	عبد أنصبه

الصواب	س	ص	الصواب	س	ص
العام	١١	١٧٦	نشاه ، و باختلاف دهره	٢٣	١٣٦
ثمره	٢٢	١٧٦	مثمر	٦	١٣٧
الصدوق	٤	١٧٨	زياداً	٣	١٣٩
وجوده	٨	١٧٨	و فاض	٢٠	١٣٩
الأمطار	١	١٨٦	الملحّين	١	١٤٠
وظلالهم	١٢	١٨٦	واستضيء	٥	١٤٠
لا يقال	٦	١٨٧	من الآية	١٩	١٤٢
واختلاف	٤	١٩٤	غيب	١	١٤٣
وتلاطم	٥	١٩٤	ذات الصدور	٦	١٤٦
سقط	١٤	١٩٧	يكون	٢٠	١٤٨
وحضريتها	٣	١٩٨	مفاصلهم المحتجبة	١٨	١٥٢
انتصاب	٩	١٩٨	احتجبت	٦	١٥٣
يخطب	٢١	١٩٨	و المشبه و المشبه به	١٨	١٥٣
١٢٢٩ر	٩	١٩٩	اذا قمت	٢	١٥٤
الجسيمة	٢١	٢٠١	الأثني	١٢	١٥٩
بالاختلاف	٦	٢٠٣	والنجارة والتجارة	٢٤	١٦١
الآلات	٤	٢٠٨	ذلك في ما	٩	١٦٧
ومثله	٩	٢٠٩	يتفياً	١٥	١٦٧
لوحاً	٨	٢١٢	فأوى	١٠	١٦٨
وتجهيره	٥	٢١٤	ومن هو	٦	١٦٩
ولما	١٦	٢١٨	عظيمه	١٧	١٧٢
لغزير	١٣	٢٢٠	يلطف	٥	١٧٣
إن	١٥	٢٢٢	العشايا	١	١٧٦

الصواب	ص	س	الصواب	ص	س
تقولون فقد	٣٠٩	٩	مخلوقه	٢٢٣	٥
غمره	٣٢١	١٥	لدجاجه	٢٢٣	١٩
شبهه	٣٢٤	١١	المطلاق	٢٢٤	٥
والمحيط	٢٢٤	١٥	ابن سيده	٢٢٨	٢
خاضعة	٣٢٩	١٦	فيكافئه	٢٣٠	١١
تؤمر الأوهام	٣٣٠	٤	احمد بن داود أن	٢٣٨	١١
الزخار	٣٣٢	١٤	وَأَبِينُ	٢٣٨	٢٠
مائره	٣٣٢	١٦	الوالدان التوأمين	٢٤٢	٩
مائرة أى متحركه	٣٣٦	٢١	عواصف	٢٤٦	٤
صوامت	٣٤٠	٨	خليفة	٢٤٧	١٦
عدد	٣٤٠	١٢	لم يولد	٢٥٠	١٦
في المصرية	٣٤٢	٣	العرب	٢٥٢	١
ومنشأوهم	٢٤٢	١٧	حياله دلالات	٢٥٣	٩
ففتقتا	٣٤٣	١	الثرياء	٢٥٣	١٠
الحرص	٣٤٤	١٥	وما	٢٥٣	١٢
أخرى	٣٤٥	١٠	٢٠ و ١٨ حياً	٢٦٦	
جماح	٣٥٢	٢٣	سماوات	٢٧١	٦
مدحوة	٣٥٣	٣	لا يعلمون أمن	٢٧١	٢١
وتباين	٣٥٣	١٥	عليه كان	٢٩٦	١٦
جمع الفرس	٣٥٥	١٦	فعضموا	٢٩٩	١٠
والتظام	٣٦٣	٥	يرجع	٢٩٩	١٦
قطعه	٣٦٣	١٨	جمع	٣٠٨	٣

الصواب	س	ص	الصواب	س	ص
عليه عرفج	٣	٣٦٧	لمعه وقزعه	٢٤	٣٦٣
وجعلنا فيها	١٥	٣٦٧	هو آمد	٢٤	٣٦٥
فارساتها	٩	٣٦٧	نوره	١٠	٣٦٤
			قال	١٧	٣٦٤

سقطت من صفحة ٣ سطر ١٠ بعد كلمة (ويأتى) هذه العبارة : فى خطبة المتقين أن
 همأماً لما سمع كلامه عليه السلام فى وصف اهل التقوى صعق صعقة كانت نفسه فيها وياتى .
 ومن صفحة ٨ سطر ١٣ بعد كلمة (وفى) هذه العبارة : شرح قوله عليه السلام من (أعمام
 وأخوال) وقد ذكرناه فى (٨) من فصل الامامة الخاصة وفى

Library of



Princeton University.

Princeton University Library



32101 047142904

از انتشارات کتابخانه صدر
تهران - خیابان امر خسرو - بازار محمدی
تلفن ۵۳۷۲۹۶